وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جمهورية العراق
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن / قسم الدراسات العليا

الشخصيةُ الثوريةُ الإصلاحيةُ في القرآنِ الكريمِ

دراسة موضوعية

اطروحـــة تقـــدم بـــها الطالب

محمد جابر علوان

إلى

مجلسِ كليةِ العلومِ الإسلاميةِ في جامعةِ بابلَ وهيَ جزءٌ منْ
متطلباتِ نيلِ شهادةِ الدكتوراة في علومِ القرآن

بإشراف

الإستاذ الدكتور عامر عمران الخفاجي

١٤٤٤ هـــ

٢٠٢٣ م

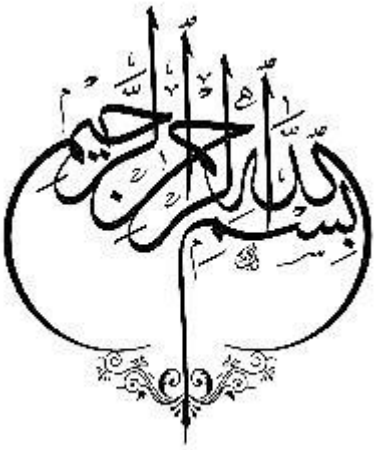

(يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

صدق الله العلي العظيم

(سورة الأعراف، آية : ٣٥).

الإهداء

إلى :
بحر الحب والحنان والنبض الساكن إمي العزيزة..
إلى
من أوصاني ربي به براً وأحساناً والدي (رحمه الله)
إلى
من أتذكره دائماً ولن أنساه ابداً ولدي المرحوم (مصطفى)...
والـــــى
تلك النفوس الزكية والأرواح الطاهرة وفاءً ورداً للجميل وطاعة للجليل ...(شهداء العراق)
إلى
اساتذتي في كلية العلوم الإسلامية واخص بالذكر استاذي المشرف الأستاذ الدكتور عامر عمران الخفاجي...
إلى
شموع حياتي (زوجتي) وعائلتي ...

الشكر و العرفان

أشكر الله عز وجل واسجد لهُ لنعمه وتوفيقه لي واصلي واسلم على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وأتوجه بالشكر الكبير إلى استاذي الفاضل...

((أ.د. عامر عمران الخفاجي))

لتفضله بقبول الاشراف على دراستي ولما قدمه لي من نصح وتوجيه كان لهُ الأثر الكبير في إخراج دراستي على النحو التي هي عليه الأن.

وكذلك اثمن الجهود التي بذلها كل من :

أ.د. حكمت الخفاجي

أ.د. محمد طالب الحسيني

أ. د. دريد موسى الأعرجي

ويشرفني أن أتقدم بالشكر بالعرفان والامتنان إلى عميد كلية العلوم الإسلامية :

((أ.د. حسن عبيد المعموري))

ويشرفني ايضا أن أتقدم بالشكر بالعرفان والامتنان إلى رئيس قسم علوم القرآن لكلية العلوم الإسلامية في جامعة بابل :

((أ. د. حيدر الشلاه))

وكل الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة جامعة بابل كلية العلوم الإسلامية لما بذلوا من جهود قيمه ومثمرة في تطوير نوعية التعليم لطلبة الدراسات العليا.

الباحث

محمد جابر علوان

الملخص

أن الفهم المنهجي للإصلاح هو الغائب الأكثر أهمية عن فكر الحركات الإسلامية المعاصرة وممارساتها فالفكرة الإصلاحية من حيث الجوهر هي دعوة وتأسيس لضرورة تقويم وتعديل "الاعوجاج" في حياة الأمم والعقائد (الدينية والدنيوية) بمعنى انها تتطابق مع مضمون "الاستقامة" و"الطريق القويم" بوصفها الصيغة الرمزية والبيانية لإصلاح "الانحراف" و"الزيغ والضلال" عن "الأفكار الأولى" و"المثل السامية" و"الأصول" فإن ظهور فكرة الاستقامة والطريق المستقيم تعادل معنى الثبات في طريق الحق والحقيقة وهي مرتبطة بفكرة الاحتمال العقلي وفكرة البحث عن نسب تستجيب لحقائق الوجود كما هو، بوصفها الصيغة المثلى والاصل الثابت في وجود الاشياء كلها، فالحق والحقيقة هو بسبب ما فيهم من تناسق النسب الذاتية المثلى، وارتسم الباحث الاهداف المتوخاة من الدراسة الحالية التي تمثلت بدراسة الشخصية الاصلاحية ومفهوم الاصلاح وخصائصه ومظاهره والقصص الدلالية لأولوا العزم الذين كانوا من الذين اصطفاهم الله لاصلاح الامم والشعوب، واعتمد الباحث في منهجية دراسته على المنهج الموضوعي العلمي لتحليل الإصلاح والشخصية الثورية، واستعرض الباحث اخيرا الى ما توصل من نتائج لموضوعية الشخية الصورية الاصلاحية في القرآن الكريم.

إذن القرآن العظيم كتاب أنزله الله(ﷻ) على نبيه محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء، ودينه عام لجميع الخلق وخاتمة لجميع الأديان، وهو دستور الخالق لإصلاح المخلوقين من البشر، وقانون السماء لهداية أهل الأرض، من حيث أمور دينه ودنياه، وهو برهان الرسالة ودليلها:﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سجدة/٤٢) وهو مصدر التشريع الإسلامي يستند إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه والوسيلة لإصلاح المجتمع الإسلامي إذا ساروا على ضوئه، وأخذوا بأحكامه وتعاليمه، ولم يحيدوا عن سننه وشرائعه.

الكلمات الافتتاحية: الاصلاح ، الشخصية ، الثورة ، القرآن الكريم ، الانبياء أولو العزم .

فهرست المحتويات

الموضوع	تسلسل الصفحات
الآية القرلآنية	أ
الأهداء	ب
الشكر والعرفان	ت
الملخص	ث
المقدمة	١
مشكلة الدراسة – اهداف الدراسة	٢
فرضية الدراسة – منهجية الدراسة	٣
الدراسات السابقة	٣-٥
المفاهيم والمصطلحات	
التمهيد إطار المفاهيم	٦- ٧
المطلب الأول : تعريف الثورة لغة واصطلاحا	٧-٨
المطلب الثاني : الثورة لغةً واصطلاحاً	٩-١٢
المطلب الثالث: الإصلاح لغةً واصطلاحاً	١٣-١٧
الفصل الأول سمات الشخصية الاصلاحية ودلالاتها في القران الكريم	
التوطئة	١٩
المبحث الاول: السمات والخصائص المؤثرة في تكوين الشخصية الثورية الاصلاحية	٢٠
المطلب الأول : الفكرة الموضوعية للشخصية الثورية	٢١-٢٦
المطلب الثاني : اهمية الشخصية الثورية في الاسلام	٢٦ -٣١
المبحث الثاني :	٣٢

دلالا ت ميدان الرشد للخصية الثورية وإتساعها	
المطلب الأول : مفهوم الرشد للشخصية الثورية	٣٣-٣٧
المطلب الثاني : دلالات الشخصية الإصلاحية الثورية	٣٨ -٤١
المبحث الثالث أهمية الشخصية الثورية في الاسلام	٤٢-٤٣
المطلب الأول : صفات الشخصية الثورية عند منهج أهل البيت عليه السلام	٤٣-٤٥
المطلب الثاني : الشخصية الثورية في الاسلام وحفظ الدين	٤٥-٤٦
الفصل الثاني مميزات الشخصية الثورية الاصلاحية وقواعدها وتمظهراتها في القرآن الكريم	
توطئة فصل الثاني	٤٧
المبحث الاول ميزات الشخصية الاصلاحية في القرآن الكريم	٤٨-٤٩
المطلب الاول : مميزات الشخصية الاصلاحية	٥٠-٥٤
المطلب الثاني:استخدام إرادة الشخصية الثورية الاصلاحية في التعمير والصلاح	٥٤-٥٩
المبحث الثاني : مظاهر الاصلاح في الشخصية الثورية / توطئة	٦٠
المطلب الاول : مظاهر الاصلاح في الشخصية الثورية	٦١-٦٧
المطلب الثاني : الاصلاح الحقيقي لتمظهرات الشخصية الثورية	٦٧-٦٩
المبحث الثالث معايير الاصلاح في الشخصية الثورية	٦٩-٧٠
المطلب الاول : موضوعية واساليب الاصلاح في الشخصية لبثورية	٧٠-٧٨
المطلب الثاني : أدوات الإصلاح	٧٨-٨٦
الفصل الثالث ابعاد الشخصية في اصلاح المجتمعات	
التوطئة : ابعاد الشخصية الثورية الاصلاحية في القرآن الكريم	٨٩

المبحث الاول اصلاح البعد الديني وترسيخ مبادئه	٩٠
المطلب الاول : ترسيخ قوة الايمان واصول العقيدة بالشرائع السماوية	٩٠-٩٣
المطلب الثاني : العقيدة وشمولية الاصلاح	٩٣-٩٦
المبحث الثاني ابعاد الاصلاح الاجتماعي	٩٦
المطلب الاول : الاصلاح سبيل مرسلين	٩٦-١٠٠
المطلب الثاني : اهمية الاصلاح الاجتماعي	١٠٠-١٠٤
المبحث الثالث ابعاد الاصلاح السياسي	١٠٤
المطلب الاول : الاصلاح السياسي	١٠٤-١٠٩
المطلب الثاني : الادارة السياسية واصلاح الحكام والمجتمع	١٠٩-١١٣
المبحث الرابع ابعاد الاصلاح الاقتصادي	١١٣
المطلب الاول : الاقتصاد الاسلامي وأثره على نظام العالم	١١٣-١١٦
المطلب الثاني : العلاقة بين النظام الاقتصاي الاسلامي والعلوم المشابهة	١١٦-١١٩
الفصل الرابع الاصلاح منهج الانبياء	
التوطئة	١٢١
المبحث الاول نبي الله ابراهيم عليه السلام	١٢٢
المطلب الاول : من هو النبي الله ابراهيم عليه السلام	١٢٢-١٣٤
المطلب الثاني : الشخصية الثورية عند ابراهيم الخليل عليه السلام	١٣٤-١٤٨
المبحث الثاني نبي الله موسى عليه السلام	١٤٩

المطلب الاول : مكانة نبي الله موسى عليه السلام واصلاحه	١٤٩-١٥٦
المطلب الثاني : نبي الله موسى عليه السلام ثورياً ومبراً ووجيهاً	١٥٦-١٦٥
المبحث الثالث نبي الله شعيب عليه السلام	١٦٦
المطلب الاول : نبي الله شعيب عليه السلام يؤسس قواعد الاصلاح	١٦٧-١٦٩
المطلب الثاني : اصلاح نبي الله شعيب عليه السلام لقومه	١٦٩-١٧١
المبحث الرابع نبي الله يوسف عليه السلام	١٧١-١٧٣
المطلب الاول : مكانة النبي الله يوسف عليه السلام	١٧٤-١٨٠
المطلب الثاني : القائد والمربي لقومه	١٨١-١٨٣
المبحث الخامس الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم	١٨٤-١٨٨
المطلب الاول : ازالة السلبيات واصلاح الثقافات الانسانية	١٨٩-١٩٨
المطلب الثاني : الاداوات الاساسية للاصلاحات عند المنهج المحمدي	١٩٧-٢٠٠
الخاتمة والاستنتاجات والتوصيات	٢٠١-٢٠٤
المصادر والمراجع	٢٠٥-٢٢٠

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وبعد

إن الله سبحانه وتعالى أكد في محكم كتابه العزيز الجليل هو إرسال الأنبياء إلى المجتمعات لمحاربة العملية للفساد الشائع في أي وقت. ومن خلال دراسة قصص الأنبياء في القرآن، نجد أنهم واجهوا في عصرهم مفاسد عامة ومشتركة، جعلوا محاربتها على رأس برامجهم الدعوية ومن أمثلة ذلك صراع نوح مع قصر نظر قومه، وصالح مع الدنيا والجشع، ولوط مع الفساد الأخلاقي، وشعيب مع الفساد الاقتصادي ، ونبي الإسلام مع الجهل والخرافات، وما إلى ذلك وفي قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة :١٥١)

ومن الأهداف الأخرى لرسالة الأنبياء تعليم العباد. لا يمكن تحقيق التطور الوجودي للإنسان إلا من خلال العلم والممارسة. الأنبياء ينمون حكمة الناس وبصيرتهم، ويربيون أعمالهم على الرؤية الصحيحة والحق، ويفهم من هذه الآيات أيضًا أن الخطوة الأولى في هدي الأنبياء هي إظهار الآيات والآيات الإلهية للعباد حتى يتم توفير الأساس لتعليمهم الأخلاقي واصلاح شأنهم ومن ثم تعليمهم التعاليم الدينية والطريقة من الحكمة والحكمة.

كما تعبر الآية أعلاه.. عن حقيقة أن العديد من العلوم والمعارف لا يمكن فهمها إلا عن طريق الوحي، ولا سبيل إلى فهم الإنسان وحكمته، لذا فأن دور الاصلاح الذي تتبانه الشخصية الثورية يمثل العدل الالهي والمصلحون لديهم خصائص قائمة داخل المجتمعات كونهم القائمون على العدل، أولاً: لأن الناس بحاجة إليهم، فإذا أقاموا العدل بشكل صحيح تحسنت أمور الناس، وثانياً: سيتأثر الناس أيضاً بهؤلاء الفعالين، لأن أخلاقهم ستكون فعالة في الناس، اضافة إلى أن هم أولياء الله والمؤمنون بالقرآن، وتأتي أهمية بحثنا الحالي هو بدراسة الاطر الموضوعية للشخصية الثورية الاصلاحية وتسليط الضوء على أولو العزم والمقصود بالعزم أو العزيمة :"هي

الإرادة الحازمة والثابتة[1]، كونهم أكثر الانبياء واجهوا المزيد من المشاكل والعقبات، وكان التعامل معهم يحتاج إلى إرادة وعزيمة أقوى ومعطيات للاصلاح أكبر.

فقد تمت الإشارة إلى هذه المجموعة من الأنبياء(موسى – يوسف – شعيب – محمد) بمهمة الاصلاح فكلمة (الاصلاح) كلمة شاملة، يستفيد كلّ من يسعى ولديه الإرادة للاستفادة منها، ونيل نتائجها لإيجابية، فنجد على فرض المثال لا الحصر في واقعة الطف كيف تحول وضع المجتمع الجاهل الفاسد الى مجتمع تطبع واتبع واقع العز والقوة فقد استطاعوا من خلال نهج الحسين عليه السلام إضافة إلى ذلك بناء القوة الذاتية من خلال بناء المؤسسات التربوية والاخلاقية، فقد استخلصوا من ثورة الحسين(عليه السلام) مفردة الإصلاح التي حوّلت حياة مجتمع بأكمله مصلح اينما يكون فأصبح قدوة للمجتمعات الاخرى.

- **مشكلة الدراسة**

تتمثل مشكلة البحث بالتالي :

١- الواقع المرير للمجتمع الاسلامي على الاقل في بلدنا والفساد المستشري في كل مفاصل الدولة هو ما دفعنا للبحث عن الاصلاح .

٢- غياب القدوة والقيادة الصالحة في مجتمعنا .

٣- الخوف من قوله كلمة الحق في بلدنا وحرية التعبير ويمكن أن نعدها ثورية اصلاحية بعد السيد محمد صادق الصدر .. وكل ذلك دفعنا لدراسة هذه المشكلة ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها من خلال طرح هذه التساؤلات ومحاولة الاجابة عليها .

- **أهداف الدراسة**

تمثلت أهداف الدراسة الحالية في الآتي :

١.إن المنح الالهية للشخصية الثورية الإصلاحية أسهمت في وضع سمات الشخصية الإصلاحية في القرآن وهي جزء من الاهداف المستسقاة من ذلك الاخير.

٢.إن المعيار الذي تم فيه تحديد اتساع رشد أولي العزم هو كونهم إحدى الشخصيات الثورية الإصلاحية في تلك الأزمان التي كانت تتسم بالجاهلية والتخبط بالعبادات.

[1]- الصدر ، محمد محمد صادق ، الموسوعة المهدوية ، ١ / ٥٧-٥٨

٣.امتازت الشخصية الثورية الإصلاحية في القرآن الكريم بمؤهلات جعلتها تختلف عن باقي الناس لذا لابد من تحديد العلل التي تم التوسُّم بها.

٤.من الركائز التي اسهمت بها الشخصية الثورية الإصلاحية في تحديد مظاهرها هي الإصلاح والثورة في المجتمع .

٥. أن مظاهر الإصلاح تُعد من المفاهيم الإصلاحية التي تستند عليها الشخصية الثورية .

فرضية الدراسة

إن الشخصية الثورية تخضع إلى العقيدة الإصلاحية الشاملة، فإن نظرية الوحدة الشخصية الثورية الإصلاحية تعتمد على أمر اخر وهو العرفان وحقيقة الزمكان بل انها نظرية نسبية تعتمد على التوجيه المجتمعي لكي يتمكن المصلح أو القائد الثوري من انجاز تكليفه بعد اختياره من الإصلاح الالهي[١].

فإن الإسلام لايعني إنهُ محيط فقط بالرسول الاعظم (ﷺ) بل أن الإسلام كل ماهو أنسان على وجه الارض فأنه مسلم وما يؤكد صحة قولنا هو ذكر الله عز وجل : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)

منهجية الدراسة

اعتمد الباحث على المنهج الموضوعي واسسه لدراسة الشخصية الثورية الإصلاحية في القرآن الكريم والاستناد الى المصادر اللغوية والكتب والمقالات ومواقع الانترنيت للوصول الى ثمرات بحثنا الحالي .

الدراسات السابقة

أ.دراسة ابراهيم بن علي (٢٠١٩)

رسالة بعنوان (الدعوات الإصلاحية المعاصرة نموذجا) مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الاسلاميه كلية الدعوة والثقافه الاسلاميه،جامعة أم القرى،مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

[١]- الصدر ، محمدمحمد صادق ، الموسوعة المهدوية ، ١/ ٦٥

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أسباب ضعف الأمة الإسلامية داخليا وخارجيا، وبعض الشعارات والتيارات الناشئة من هذا الضعف مما أدى إلى ظهور بعض الدعوات الإصلاحية خلالها يتم في هذا الزمن المتلاطم بالفتن والضعف والبعد الديني ومن ثم تطرقت إلى تعريف الدعوات الإصلاحية واهم القيم والمبادئ والشروط والخصائص والأهداف والثمرات لهذه الدعوات مع ذكر بعض النقاط التي تنتقد الدعوات الإصلاحية في أي زمان أو مكان مما يمكن للطالب أن يتعرف من خلاله على صحة هذه الدعوات من بطلانها لاسيما في هذا الزمن المليء بالفتن والضلالات والبدع والخرافات وهناك كثرة من الدعاة وانه مصلح زمان ولكن ديننا والحمد لله عز وجل نور وبرهان ووضوح وبيان فما بني على باطل فهو باطل، وتوصلت الدراسة إلى أهم الشروط والمبادئ والخصائص والمناهج والثمرات لهذه المادة بشيء من الاختصار، وتختم الحديث عن ذكر بعض الأمثلة لهذه الدعوات الإصلاحية المعاصرة، والتي عادت الروح الإسلامية من جديد لبعض من أمتنا الإسلامية.

ب.دراسة ناظم جواد كاظم (٢٠١٩)

بحث بعنوان (إصلاح الظاهر الإجتماعي في القرآن) منشور مجلة جامعة بابل للعلوم .الإنسانية، المجلد ٢٧، العدد ٦: مقدم إلى كلية الآداب، جامعة بابل ، العراق.

خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم كتاب منزل لتنظيم الوجود الإجتماعي للإنسان المستخلف على الارض وهو منهج ودليل عمل ارشادي لهداية الإنسان إلى افاق التقوى وما دام القرآن يحمل مشروعاً اصلاحياً للنهوض بالإنسان والمجتمع فكان لابد أن يهتم بالظاهرة الإجتماعية وخاصة السلبية منها التي تقف حجر عثرة في طريق تحقيق الغاية التي خلق من اجلها الإنسان وهي طاعة الله وتوحيده والاقرار بالعبودية وله ، لقد استأثرت الظاهرة الإجتماعية باهتمام علم الاجتماع لانها تؤثر بالحالة التي يمكن من خلالها وصف المجتمع وبيان نمط حياته، فقد عرفت الظاهرة الإجتماعية بانها عبارة عن القواعد والإتجاهات العامة التي تتخذ في مجتمع أساساً لتنظيم الحياة الجمعية، وتنسيق العلاقات التي تربط بين افراد هذا المجتمع بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم ونظر الاهمية الموضوع وقيمته العلمية والانسانية جاء بحثي الظواهر الإجتماعية من القرآن الكريم متضمناً تحديد مفهوم الظاهرة الإجتماعية في علم الاجتماع والاشارة على خصائصها كتلقائية والجبرية والعمومية وكونها خارجية ثم تناولت الظاهرة الإجتماعية القرانية باعتبار القرآن يحمل مشروعاً اصلاحياً لانقاذ البشرية من الظمات إلى النور وتحريرها من الظلم الذي تعيش تحته ثم

اشار إلى الظواهر الإجتماعية القرانية التي وصفها القرآن الكريم بانها سلبية وغير مقبولة حضارياً وهي ظاهرة عبادة الأوثان وظاهرة البداوة والعصبية القبلية وظاهرة الثقافة الإجتماعية وازدواج الشخصية ثم ظاهرة التدافع والصراع والحروب وظاهرة الكفر والطغيان السلوكي ثم الجمود والتحجر والخرفة وقد توصلت الدراسة إلى النتائج ، حول الإصلاحات الإجتماعية التي تعد من صلب اهتمامات علم الاجتماع لأن لها وجوداً خارجياً عن شعور الفرد وادراكه وتمتاز ايضاً بقوة آمرة وقاهرة فتفرض نفسها على الفرد بقوة. هو انسان من غير تميز عنصري وطبقي وقومي.

إن الظواهر الإجتماعية يمكن تقسيمها إلى قسمين هناك ظواهر ايجابية واخرى سلبية يمكن تشخصيها وتحديدها من خلال تعارضها مع القواعد الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع، ويتميز الإصلاح الظاهرة الإجتماعية بوجود خصائص محددة تدل عليها وهي التلقائية والجبرية والعمومية، و يتميز القرآن الكريم بنظرته الشمولية والتي ترتفع عن المصالح الفئوية وتخاطب الإنسان من حيث وخارجية وهذه الخصائص تجعلها مستقلة عن أفراد المجتمع، وللقرآن مشروعاً اصلاحياً للنهوض بالإنسان والمجتمع فكان له اهتماماً بالظواهر الإجتماعية وخاصة السلبية منها التي تقف في طريق الإنسان للوصول إلى الغاية التي ارداها الله له، وهي طاعة الله وتوحيده والاقرار بالعبودية له. ويركز القرآن الكريم على الظواهر الإجتماعية باعتبارها قانوناً حاكما على المجتماعات الإسلامية وأن للتاريخ القدرة والقابلية على كشف تلك الظواهر الإجتماعية التي عاشتها المجتماعات الانسانية على مر العصور، ويتوجه المنهج القرانية في تناول الظواهر الإجتماعية من خلال نظرته إلى منظومة العلاقات المتعددة بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان وعالمه الكوني والبشري أو الإجتماعي.

وأود التنويه قد واجهت في كتابة الرسالة بعض المصاعب التي اعترضت مسار الدراسة فلا يخفى للسادة أعضاء المناقشة الأوضاع التي نعيشها والصعوبات التي واجهتني في كتابة الرسالة وفي الختام أضع هذا الجهد المتواضع بين أيادي أساتذتي الأجلاء رئيس لجنة المناقشة وأعضائها المحترمون، شاكراً لهم ما تجشموه من عناء في تدقيق مادة الدراسة لإكمال نواقصها وأرجو أنَّ أكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة عن الشخصية الثورية الاصلاحية في القران الكريم خلال مدة الدراسة مع اعترافي بالقصور سلفا لان الكمال لله وحده لا شريك له فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمن نفسي وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله ربي العالمين.

والله من وراء القصد...ومن الله السداد والتوفيق

المفاهيم – والمصطلحات

التمهيد

إطار المفاهيم

إن الاعتدال والعدل والإصلاح والسلام هي سمة من سمات الشرائع السماوية والتي تطمح أن يكون المجتمع مجتمعاً مثالياً خالياً من الأخطاء والعيوب، يقوم على مبدأ الوسط الذهبي، وهو مبدأ لا إفراط فيه ولا تفريط، لأنه يعتبر خللاً أو انحرافاً في أي جزء من المبادئ والقيم باعتباره خللاً في النظام، وبالتالي يؤدي إلى الفساد، وهو مخالف للعدالة والإصلاح، وأي خلل أو انحراف يعتبر خللاً في النظام، وبالتالي يؤدي إلى الفساد، وهو مخالف للعدالة والإصلاح ؛ فالمجتمع مقدس وكامل، والمجتمع يحتاج إلى من يعالج الأمراض المفسدة لينهض على المحن، وهم الصالحون والمصلحون، وإصلاح المجتمع هم أفضل الناس ما عبر عنه الأنبياء والاوصياء في القرآن، فقد ذكرت صفاتهم وأوصافهم في القرآن، أن تكون منصة للعدل والمعالجين الإصلاحيين لأنها تأتي من تجربة ناجحة وتجربة غنية ونحو ذلك ... قبل الشروع في فصول الرسالة ومباحثها لا بد من بيان المراد بمفردات العنوان، كي نكون القارئ على بينة من معرفة المقصود بعنوان الرسالة والأهداف التي يراد الوصول إليها، وقد تناولت ذلك في ثلاث مطالب

المطلب الأول

تعريف الشخصية لغةً واصطلاحاً

تعريف الشخصية لغةً : يشير معجم لسان العرب لابن منظور إلى دلالة لفظة شخصية من خلال مادة (شخص) وهي تعني : "جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكره والجمع أشخاص وشخوص وشخاص"[١]، أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فيعرف كلمة شخص قائلا: "والشخص سواء الإنسان رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه ومن هنا يتبين لنا أن الشخصية لمتستخدم لغة إلا بمعنى شخص. ". [٢]

تعريف الشخصية اصطلاحاً

لم يرد مصطلح الشخصية في القرآن الكريم بل ورد لفظ شخص وهو بمعنى إنسان ويذكر القرآن الكريم لفظ (إنسان) بألفاظ أخرى كذلك تدل عليه (كل امْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (الطور :(٢١)، (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) (مريم: ٩٥)، (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا) (النحل: ١١١)، (بَلِ الْأَنْسَانُ عَلَى نَفْسه بَصِيرَةٌ) (القيامة : ١٤) . فقد وردت ألفاظ (فرد) و(نفس) و (امرؤ) بذات السياق والمعنى والمفهوم المصطلح (إنسان):

من كل ما ذكر (لغوياً وفلسفياً ونفسياً) فإن لفظ (الشخص) الذي اشتق منه مصطلح (الشخصية)، التي هي عنوان ومحال الدراسة في هذا الكتاب، إنما تعني ذلك (الإنسان) الذي نتكلم عنه سواء ورد بلفظ (شخص وهو لم يرد إلا متأخراً) أو بالألفاظ المرادفة الأخرى وهي: النفس، الذات، الفرد، امرؤ، ابن آدم، بشر، بل وحتى الروح القلب العقل كمترادفات أخرى للنفس

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي ، مج٥، مادة (ش خ ص)

(٢) خليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيقي، ص ١٢٣

البشرية أو الإنسانية. وكما عبر عنها الإمام الغزالي) بأنها مترادفات متشابهة، حيثما أطلق أي مصطلح منها فهو دال على المصطلحات المترادفة الأخرى.[١]

وللأمانة العلمية، فإن العلماء المسلمين لم تكن لهم في الغالب والمعظم هذه النظرة الشمولية فيما كتبوا، سوى الشيخ الرئيس ابن سينا والإمام أبو حامد الغزالي. حيث حاولا دراسة الإنسان من مجمل محاوره ومحدداته تقريباً، هذا إذا أردنا النصوص، ولكل عالم ومفكر منهم على حدة، أما إذا نظرنا إليهم نظرة كلية متكاملة نتصفح بها معظم أو جلّ ما كتب في هذا المجال للخروج بمعالم رئيسة، فإنه يمكن رسم بعض المحددات (للشخصية الإنسانية) التي أرادوها، كما حاولوا استنباطها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.(٢)

وبمعنى آخر، فإنهم رسموا (مجموعهم) مخططاً أولياً لمعالم (الشخصية الإسلامية) على وجه التحديد وليس الشخصية الإنسانية بمفهومها العام؛ إذ غلبت عليهم هذه النظرة. لأن الذي كان يهمهم في كل كتاباتهم (سواء) الإنسان و(عدالته) و(حسن خُلُقه) وهي مقصورة دون مشاعة، وخاصة دون عامة.(٣).

---

[١] الفيومي، المصباح المنير ، ١ / ٣٠٦

[٢] المصدر نفسه ، ص ٥٤

[٣] المصدر نفسه

المطلب الثاني

الثورة لغةً واصطلاحاً

تعريف (الثورة) لغةً

قد يعتقد البعض، أو يظن كثيرون أن كلمة «فقه لا تستعمل إلا في مجال العلم الشرعي، ولا تطلق كصفة إلا على المشتغلين به. وقد أشار ابن منظور إلى ذلك، بقوله في قاموسه الشهير (لسان العرب): الفقه هو العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وفضله على سائر أنواع العلم، وقد جعله للعرف خاصا يعلم الشريعة.[١]

فأن كلمة ثورة في اللغة العربية، جاءت من الفعل يثور ،ثار ثورة. وتعني في الأصل الهيجان أو اشتداد الغضب والاندفاع العنيف ثار أي هاج ثارت أعصابة أي فقد السيطرة على أفعالة. ومصطلح الثورة في اللغات الأجنبية، مستعار من الفلك ويقصد به الدورة الكاملة لجسم متحرك حول محورة [٢]ولعل استخدام المصطلح في المجال السياسي والاجتماعي أكسبه معاني جديدة، تفيد التطور والنمو متضمناً الحركة والنشاط، وجعلها.[٣]

ونرى بأن الثورة رمز الضمير الإنساني والقانون الأخلاقي والعدل الإلهي، ليكتشف الإنسان فيها أنه إنسان، وأن هناك فرق بينه وبين غيره من مخلوقات الله تعالى التي لا تتنازع على البقاء أو إثبات الذات، وهذا أحد الأسرار الحضارية التي أراد غرسها الصعاليك في نفوس العرب .. ثَارَ: أصلها ثور، فالألف منقلبة عن واو، والثورة، مؤنث جمعها : ثَوْرات وثورات، وَ الثَّوْرُ: الهيجان (، يقال: ثار ثائره، إذا هاج غضبه، وَ الثَّوْرُ: الوثب)، يقال: ثار به الناس، أي وثبوا عليه وَ(التَّورُ : السطوع) و (النُّورُ : ظهور الدم)، ويقال : (أرض مُثْورَةٌ : كثيرة الثور)، و(الثَّوْرُ: المجنون،

---

(١) لسان العرب – ابن منظور – ج ١٣ – ص ٥٢٢

(٢) إيمان احمد رجب الثورات المفاهيم الخاصة بتحليل انهيار النظم السياسية، ملحق مجلة السياسة الدولية بعنوان: اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، العدد ١٨٤ ابريل ٢٠١١، ٤٦، ص٤.

(٣) محمد صفار إدارة مرحلة ما بعد الثورة...حالة مصر، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٤ ابريل ٢٠١١،المجلد ٤٦، ص٢٠.

وقيل: الجنون)[١]، و(الثَّورُ: الأحمق) ، و (الثائر : الغضبان)[٢]، وغيرها من المعاني التي تدل في أصل وضعها الاشتقاقي على وسيلة المصطلح المعروفة لدينا في العصر الحديث، دون التعرض للغاية، وهي التغيير السياسي والاجتماعي، فالثورة : اندفاع عنيف إلى تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية تغييرا أساسيا يقوم به الشعب في دولة ما[٣]،وتشير إلى تجدد النمو والتطور والنشاط والحركة، وهذا يعني أن المصطلح صار يشير إلى حالة تحدث ضد السكون وتوقف الحركة والتطور. "

وللثورة تعريفات معجمية تتلخص في تعريفين ومفهومين:

التعريف التقليدي القديم الذي وضع مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة الفرنسية وهو قيام الشعب بقيادة نخب وطلائع من مثقفيه لتغيير نظام الحكم بالقوة.

وقد طور الماركسيون هذا المفهوم بتعريفهم للنخب البروليتاريا. وعلى جانب أخر تعرف الموسوعة العربية الثورة، بأنها تغير جوهري في الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلد معين لا يتبع في أحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لذلك البلد."[٤]

وتعرفها موسوعة علم الاجتماع بأنها "التغييرات الجذرية في البني المؤسسية للمجتمع، تلك التغييرات التي تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وإيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، كما قد تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية.[٥]

والثورة – كما يتم تعريفها في قاموس شامير الموسوعي للغة الإنجليزية ، تغيير شامل وجذري بعيد المدى في طرق التفكير وفعل الأشياء.[٦]

---

(١) الزركلي، خير الدين الاعلام للزركلي ، ٣ / ٣٥٢

(٢) الزبيدي، معجم تاج العروس، (مادة : ث و ر) ، ٥ / ٢٨٩

(٣) رجب بودبوس، محاضرات في علم الثورة القاهرة: المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر،ص ٢٧.

(٤) المصدر سابق ، رجب بودبوس، محاضرات في علم الثورة، ص ٢٨

(٥) شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة ، ص ٤٧.

(٦) مولود زايد الطيب ، علم الاجتماع السياسي ، ص٩٩.

ويعرف مايكل روسكن وروبرت كورد – في كتابهما مقدمة في العلوم السياسية – الثورة بأنها عملية تغيير سيؤدي وجزري للنظام السياسي، بما يؤدي للإطاحة بالنظام القديم والنخبة التابعة له.[١]

ويقول خير الدين حسيب أن المعنى الدقيق للثورة يصف مجمل الأفعال والأحداث التي تقود إلى تغيرات جذرية في الواقع السياسي والاقتصادي وأيضا الاجتماعي لشعب أو مجموعة بشرية ما، وبشكل كامل وعميق، وعلى المدى الطويل، ينتج منه تغيير في بنية التفكير الاجتماعي للشعب الثائر، وفي إعادة توزيع الثروات والسلطات السياسية. [٢]

وتعرف ناهد عز الدين الثورة، على إنها مقدمة لعملية تغيير جذرية شاملة، تستتبع إعادة صياغة كاملة لكل العلاقات والتوازنات التي سادت بين فئات المجتمع وطبقاته وشرائحه، بما يسفر عن صعود جماعات، وهبوط أخري، وإعادة رسم الخرائط المجتمعية، وتصحيح الاختلالات لمصلحة البعض الذين قامت الثورة من أجل إنصافهم واسترداد حقوقهم، أو حتى فرز خريطة ومساحات جديدة تماما لانتشار القوة السياسية، وإعادة التوزيع لمصادرها وركائزها علي نحو مختلف ويعرف كرين برنتون الثورة في كتابه الموسوم تشريح الثورة" بقوله "إنها عملية حركية دينامية تتميز بالانتقال من بنيان اجتماعي إلى بنيان اجتماعي آخر.[٣]

والثورة أيضا كما يعرفها عزمي بشارة، تحرك شعبي واسع خارج البنية الدستورية القائمة، أو خارج الشرعية، يتمثل هدفه في تغيير نظام الحكم القائم في الدولة والثورة بهذا المعنى هي حركة تغيير الشرعية سياسية قائمة لا تعترف بها وتستبدلها بشرعية جديدة [٤]" ويرى البعض أن الفهم المعاصر والأكثر حداثة للثورة هو التغيير الذي يحدثه الشعب من خلال أدواته كالقوات المسلحة أو من خلال شخصيات تاريخية لتحقيق طموحاته لتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه

---

(١) مولود زايد الطيب ، علم الاجتماع السياسي ، ، ص ٥٧

(٢) خير الدين حسيب، حول الربيع الديمقراطي العربي ، الدروس المستفادة مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٨٦، ، ص٩

(٣) ناهد عز الدين خريطة محدودة: ثبات الفاطين وتغير الأدوار بعد الثورات العربية مجلة السياسة الدولية العدد ١٨٨ ، ص ١٨

(٤) عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ١ /٨٧٠.

الطموحات ولتنفيذ برنامج من المنجزات الثورية غير الاعتيادية. والمفهوم الدارج أو الشعبي للثورة فهو الانتفاض ضد الحكم الظالم. [١]

و قال رودولف هيبرل بأن الحركة الاجتماعية تهدف على إحداث تغييرات راديكالية في النظام الاجتماعي العام و بخاصة في مجالات توزيع الثورة و علاقات العمل، و بالتالي فقد وسع المفهوم الذي قدمه شتاين لتشمل حركات الفلاحين و الحركات الوطنية و الفاشية.[٢]

كما يمكن تعريفها: ذلك الجهد الموحد و المتصل الذي يقوم به مجموعة من الأفراد لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المشتركة بين أعضائها و قد يكون معناها أكثر تحديدا ليدل على الجهد الذي يتجه نحو تعديل أو ابدال أو هدم نظام اجتماعي قائم.[٣]

من خصائص الثورة: إن اغلب الثورات تكاد تجتمع على جملة من الخصائص تميز العمل الثوري عن غيره منها ، وتعد الثورة تمثل قطاع أكبر من المجتمع ضد فئة أصغر ، وغالبا ما تكون هذه الأخيرة هي المستحوذة على القوة السياسية والاقتصادية، وتقوم الثورة على الحلول الجذرية وترفض حلول الإصلاح لأنها في الأصل تغيير راديكالي يقوم ويرتكز على راديكالية المطالب.[٤] التغيير الناجم عن الثورة يكون سريع ومفاجئ وهو سريع الانتشار بين قطاعات الجماهير، وإن تغيير الثورة يشمل كذلك نسق القيم والمعتقدات بما يتلائم والمرحلة الجديدة. فان الثورة تمثل عملية تغيير اجتماعي وسياسي. وترتكز على أسس جديدة ومغايرة للنظام القديم لترسيم دعائم بناء جديد على قواعد جديدة. ومن ابرز خصائص الثورة أنها تتكرر كما أنها سريعة الانتقال بين المجتمعات وعبر الدول، والتاريخ خير شاهد على موجات المد الثوري في العالم[٥].

---

(١) يوري كرازين، علم الثورة في النظرية الماركسية، سمير كرم (مترجم) ،ص ٣١

(٢) عزمي بشارة، في مفهوم الثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ص ٢٠ – ٢١

(٣) شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة ،ص ٤٦.

(٤) يوري كرازين ، علم الثورة في النظرية الماركسية ،(ترجمة سمير كرم)، ١ /٣١

(٥) محمد السويدي، علم الاجتماع السياسي ميدانه و قضاياه،ص١٢٩.

المطلب الثالث

الإصلاح لغةً واصطلاحاً

أن الصبغة المفاهيمية للاصلاح كثيرة ومتنوعة بسبب ما بينه القران الكريم عن لسان الله عز وجل ولسان الانبياء والرسل والاوصياء عليهم السلام بل يمثل دلالات ومعاني ومضامين مشروعية داخل المجتمعات لتحقيق التغيير والنهوض نرى أن نعطيها الأولوية في إلقاء الضوء على الموضوع الذي نحن بصدده حتى نتبين نتوءاته وتضاريسه، وما يعترضه من عقبات تحتاج إلى اقتحام ضمن برنامج شمولي للإصلاح، بهدف حماية وتطوير حقول الاصطلاح ، وكان لابد الوقوف على منهج توظيف دلالات المصطلحات وفق النوايا والرغبات مع تعطيل ميزان العلم، وإلغاء ضوابط اللغة وقواعد الاصطلاح، والإصرار على تهديد أمن خزان المصطلحات....

أ. تعريف الإصلاح لغة

صلح الصلاح ضد الفساد صلح يصلح ويصلح صلاحاً وصلوحا. ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومُصلِح في أعماله وأموره والإصلاح نقيض الإفساد وأصلح الشيء بعد فساده أقامه [١] صلح الصلاح ضد الفساد ، وصلح أيضا بالضم وهذا يصلح لك أي هو من بابتك و الصَّلاحُ بالكسر مصدر المُصالحة والاسم الصلح وقد اصطلحا اصالحا بتشديد الصاد والإصلاح ضد الإفساد و المصلحة واحدة المصالح والاستصلاح ضد الاستفساد و تصالحا [٢]

ان التطرق اللا الاصلاح يعني عرض أبرز استعمالات مادة "صلح" و "فسد" في اللغة العربية. يقال: أصلح الشيء؛ أي جعله صالحاً، فيكون الإصلاح نبذ الخلاف بين المختصمين **لأنه** يفضي إلى اصلاحهم بعد ما كانوا فاسدين، كقول الله تعالى : ﴿ فتأتلف قلوبهم وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٣).

وإذا وسمنا الإنسان بصفة الصلاح كما في قول الإنسان" الصالح" فإننا نقصد بذلك ما يصدر عنه من أقوال وأفعال حسنة، أما الصالحون من البشر فهم الذين لا تفارقهم صفة الصلاح، وأما

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢ / ٥١٦

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ، ٣٧٥

نسبة الصلاح أو الإصلاح إلى الأشياء فتعني ما تفضي إليه من نتائج ، ذلك قولنا المال الصالح "؛ أي المال الذي يُصرف في أوجه الخير. حسنة، ومن وأما نعت العمل بالصالح في قول "العمل" "الصالح" فيعني العمل بما جاء به الدين الإسلامي. [١]

وكقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: (٣٣).

وقد عرف الإمام ابن عاشور العمل الصالح بقوله: العمل الذي يصلح عامله في دينه ودنياه صلاحاً لا يشوبه فساد، وذلك العمل الجاري على وفق ما جاء به الدين وقولنا "الصالحات" جمع "صالحة"؛ وهي الخصلة أو الفعلة الحسنة التي توصف بالصلاح؛ لأنهم يقولون "صالحة"، و"حسنة"، ولا يُقدرون موصوفاً محذوفاً. إذن، "الصالحات" جمع "صالحة"؛ وهي الحصلة والفعلة الموصوفة بالصلاح، أي كل الخصال والأفعال الصالحة التي تتضمّن صفة الصلاح، ولعمل الصالحات أسباب يستوي فيها الناس جميعاً، ومن أعظمها مراعاة قواعد العدل، والإحسان، والمواساة، وكراهية البغي والعدوان.[٢]خلاصة القول إن الإصلاح هو جعل الشيء صالحاً؛ أي ذا صلاح، وبعبارة أخرى إن الإصلاح هو كل ما يحصل به منتهى ما يُطلب لأجله ويقابل الإصلاح الإفساد، كما يقابل الصلاح الفساد. ويقال: فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً، وهو فاسد وفسيد . " وقوم فسدى كما قالوا ساقط وسقطى وسقطى، قال سيبويه جمعوه جمع هلكي لتقاربهما في المعنى، وتفاسد القوم تدابروا وقطعوا الأرحام. والمفسدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح، وقالوا هذا الأمر مفسدة لكذا؛ أي فيه فساد. وفسد الشيء إذا أباره أو أهلكه والفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان عنه الخروج أو كثيراً، ويضاده الصلاح، وقيل: الفساد هو الجدب في البر والبحر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ **(الروم : ٤١)**.ويبلغ عدد المفردات القرآنية من مادة "قسد" خمسين كلمة، وقد جاءت بأربع صيغ: أولاها:

---

(١) الأصبهاني، أبو نعيم ، حلية الأولياء، ٥/ ٣٨٢.

(٢) ابن عاشور، محمد الظاهر، تفسير التحرير والتنوير تونس، ص ٢٢٩

صيغة الفعل الماضي[1]_ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة: (٢٥١)، وقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَاءَ الهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾

تعريف الإصلاح اصطلاحا

عرفه الإمام الغزالي: معنى الإصلاح فقال : " ثم يعلم ذلك أي الذي قام بتهذيب نفسه وصلاحه – ثم أهل بيته وتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى أهل محلته ثم الى أهل السواد المكثف "[2] ،وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ وقد فسره القرطبي : "ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يجوز أن يكون معطوفا على أولئك المعنى : أولئك ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم لهم عقبى الدار، أن يكون معطوفا على الضمير المرفوع في" يدخلونها" وحسن العطف لما حال الضمير المنصوب بينهما، ويدخلها من صلح من آبائهم ، أي لا يدخلونها بالأنساب، ويكون موضع " من " نصبا على تقدير، وإن لم يعمل مثل أعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم، فيما اشار أبن عباس هذا الصلاح الإيمان بالله والرسول[3]، ويذكر الالوسي بأن الاصلاح الركن الذي ينبغي له الوجود عند كل بني البشر، ولا يستقيم حياة الإنسان دونه، فهو للسعادة أساس، وللإنسانية شرط ، ولتحقيق الخلافة مدلول[4].

ويمكن القول أن الصلاح والأصلح هذه المسألة من المسائل التي كانت محل نزاع بين المعتزلة والأشعرية، وهي مترتبة على ما قبلها، لأن من جعل العقل حاكماً يقبح القبيح ويحسن الحسن؛ فإنه يقول بقبح بعض الأفعال منا . تعالى . ووجوب بعضها عليه .[5]

فالمسألة إذاً ثابتة في نفسها، إلا أنه لا يصح أن يوجب أحد على الله شيئاً، ولا شك أن فعله تعالى كله صلاح وخير وعدل وحكمة، ولكنه تعالى لم يوجب على نفسه رعاية الأصلح لكل

---

(١) الأصفهاني الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ص ٦٣٦.

(٢) الغزالي ، أبو أحمد ،إحياء علوم الدين ، ٢/٣٤٢

(٣) القرطبي ، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ٢ / ٨٩

(٤) الآلوسي ، روح المعاني ، العلاّمة شهاب الدين السيد محمود الآلوسي،٩ / ١٤٥ .

(٥) انظر: عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد ،١٤/ ٣٥.

واحد من عباده. ولا شك أن الله سبحانه يفعل ما فيه صلاح العباد ونفعهم وكل ذلك تفضل منه تعالى، وليس شيء من ذلك بواجب عليه تعالى، يقول رشيد رضا: "والذي عليه المحققون أن مسألة الصلاح والأصلح ثابتة لا ريب فيها وأن الخطأ والضلال إنما هو في قولهم أن ذلك واجب عليه سبحانه وتعالى ... وإنما يقال في كل ما ثبت له من صفات الكمال وما يتعلق به من الأفعال المطردة أنها واجبة له لا عليه، لأنه سبحانه هو الأعلى فلا يعلو عليه شيء في شيء، ومذهب الأشعرية أن مراعاة المصلحة ليست من الكمال الواجب له تعالى ويحتجون على ذلك بأمراض الأطفال والبهائم، وفي هذه الحجة بحث لا محل له هنا ... [١]" ،كما أن بمجرّد الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر يعد إصلاح وهنا يعتبر صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرى آخرون بأنه التوجيه أو التغيير وهو ما قال الألوسي: "الصلاح" عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي."[٢]

وثمة قول بأنه تمام الاستقامة على الدين. قال الإمام ابن عاشور: "الصلاح تمام الاستقامة في دين الحق، وهناك من يرى بأنه نظم غير مكتمل، أو نظم مفتوح على المستقبل وما تفرزه مستجدات الحياة الإنسانية، وأشار التيجاني الإصلاح هو الانخراط في عملية متواصلة من إقامة نظام اجتماعي عادل، ثم حمايته وتطويره أي الثبات على حالة الاعتدال والاستقامة، خلافاً للفساد الذي "التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة."[٣]

أحمد عبادي بأن الإصلاح هو إمكانية أو مهارة لها قوام ومظهر، وعناصر فقوامها "نقاء الفطرة التي تضمن المواءمة مع الكون والإنسان، ومظهرها متمثل في "قرن الوجهة الملائمة بالحركة التي يفرضها الموقع للتوجه نحو القبلة، وفي عمل الصالحات الذي ينبغي أن يستمر ما دامت الحياة"، **قال تعالى:** ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩). أما عناصر الصلاح فتتمثل في الآتي: – معرفة الإنسان الوجهة. – إضافة الإنسان الوجهة إلى العمل والزمن. – إضافة الإنسان الوجهة إلى العمل والزمن. – القبلة بما تعنيه من نية التوجه إلى الله بالعبادة.

---

(١) رشيد رضا محمد ،تفسير المنار ،٧/ ٣٩٠.

(٢) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٣١٧/١٤

(٣) التيجاني، عبد القادر حامد الإصلاح في القرآن، استكشاف المفهوم وبناء النظرية"،،ص ١١

وهذه العناصر كلها ترتبط بقدرة الإنسان الصالح على توجيه طاقة التساؤل بحيث تربط بين العمل والعبادة، فيصبح بذلك الإنسان الصالح هو "القادر يعلمه، كقول الله تعالى:﴿

مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْفَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) على أن يضيفه إلى حركته انطلاقاً من وعيه الدائم بقبلته، ووظيفته، ومصدر رشده... عن طريق استنطاق هذا المصدر بالترتيل قصد التلاوة وصناعة هذا الإنسان الصالح المصلح تكون بضبط تصورات الإنسان للوجود وعلاقاته بالله والكون والإنسان والحياة الدنيا والآخرة . [١]

أن أسباب تكوّن الإصلاح وبنية مظاهرهن يلامس كل منها جانباً من جوانب الإصلاح الرئيسة التي نادى بها القرآن الكريم، فبالرغم من أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من الفرائض الإسلامية التي يقوم عليها الإصلاح القرآني، إلا أنهما لا يُمثلان وحدهما جوهر الإصلاح القرآني وعماده، والتوجه اللازم الواجب الذي يُعدّ أساساً في إرادة الإصلاح؛ جلباً له، ودرعاً لما يناقضه، يفتقر إلى إبراز حقيقة وكنه ما ينبغي الاحتراز منه، أو الإتيان به. ولئن كان الإصلاح هو تمام الاستقامة على الدين؛ الغاية النهائية للإصلاح القرآني فإنه يفتقر إلى العناصر الموصلة إليها.[٢]وإذا كان التسلسل الإصلاحي قد أضفى على مفهوم الإصلاح منحى نسبياً، فإنه غفل عن الطابع المركب والبنيوي لفعل الإصلاح نفسه. والقول بأن الإصلاح هو مهارة إنسانية تظهر مسؤولية الإنسان في حسن تنزيل الإصلاح وتطبيقه، ينقصه الاستحضار الكامل لمظاهره المتعددة، وأسبابه المكوّنة. "[٣] ويمكن القول بان العناصر أساسية لمفهوم الإصلاح لا تمس أسبابه فحسب، بل تمس أيضاً مظاهره، ولا ننسى في هذا الباب أن الوصول إلى مرحلة صياغة المفاهيم القرآنية هو مؤشر مهم ودليل واضح على نضج المعرفة العلمية بالقرآن الكريم؛ لأن العقل العلمي لا يتعامل مع الموضوع العلمي إلا بالمفاهيم التي تُعدّ قوالب ذهنية تفضي إلى معطيات متنوعة ومتعدّدة، والتي تبرز درجة من درجات سلّم الشمول التي ينبغي أن يتصف بها علم العالم بالقرآن الكريم.

---

(١) التوحيدي، أبو حيان تفسير البحر المحيط، ص ١٩١.

(٢) عبادي، أحمد مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج الرباط: ، ص ١٦٢

(٣) عبادي، أحمد. قراءة في كتاب "مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج، العدد ١، ص ٢٠٩

الفصل الأول
سمات الشخصية الإصلاحية ودلالاتها في القران الكريم

المبحث الأول: السمات والخصائص المؤثرة في تكوين الشخصية الثورية الإصلاحية

المبحث الثاني: دلالات ميدان الرشد للشخصية الثورية

الفصل الأول

السمات والخصائص المؤثرة في تكوين الشخصية الثورية الإصلاحية

توطئة

إذا استخدمنا الإصلاح بمعناه الإيجابي لدى الشخصية الثورية، هو عملية تغيير والتحول في مختلف مجالات الحياة لم تنغلق أو حتى تتوقف يوما واحدا. وإذا نظرنا إلى التاريخ فيمكن القول إن هذه التطورات أدت إلى ولادة الحضارة الإسلامية وتوسعها في القرون الأولى، وعلى الأقل ساهمت في مثل هذه الولادة.

وإن تأثير رسالة الشخصية الثورية في محو الشذوذ وإصلاح الثقافات الإنسانية والتضامن وبناء الثقافة بين الناس وبنية الحضارة الإنسانية والشؤون الاجتماعية واضح للغاية. كما إن تأثير الإسلام والأديان السماوية الأخرى في جميع الثقافات وإنشاء الحضارات الإنسانية وإصلاح أفكارها وترتيب جميع الأفكار والآراء هو نقاش جدي للغاية ولا يمكن إنكاره.

إن بناء الثقة في حركات الإصلاح الاجتماعي ضرورة لا يمكن إنكارها. إذا كان أحد يبحث عن إصلاحات في المجتمع، فلا شك أنه ينبغي عليه حشد أفراد المجتمع معه للوصول إلى أهدافه لتحقيق إصلاحات مستدامة.

المبحث الأول

السمات والخصائص المؤثرة في تكوين الشخصية الثورية الإصلاحية

امتازت الشخصية الثورية بسمة وتعد الأكثر تأثيراً على روح افراد المجتمع وهي إسلوب بعث الأمل والاطمئنان فالإصلاح لا بد له من سمة تسمى بسمة الاطمئنان، لأن الكثير من الناس يخافون من التغيير، يعود هذا الخوف من التغيير إلى غموض الاثار التي سيتركها في حياتهم ، ويقاوم كثير من الناس التغيير لأنهم حملوا عليه حملا، واكرهوا قسرا على الاستجابة له، وهذا مصدر المقاومة الإصلاح في المجتمعات وقد يرفض بعض الناس التغيير الاسباب عاطفية ، لذا فإن فهم الواقع الذي سيؤثر فيه التغييرات أمر لا بد منه[١] ، فضلا عن ، عن اسلوب الرفق في الإصلاح أن من خير خصال التقوى، ومن كريم اخلاق اولي النهى، التيسير والرفق واللطف في التعامل مع الخلق عامة، واهل الإيمان واولي القربى والجيران والشركاء خاصة، تحقيقا للتقوى، وتكميلا للايمان، أن ادخال بعض التحسينات على بعض الامور ، سيكون مبهجا ونافعا لهم ، وهذا هو الاسلوب الذي اتبعه النبي في دعوته للناس ، حيث اقر كثيراً مما كانوا عليه من مكارم الأخلاق.[٢]

---

(١) مهجور ، مصطفى اسماعيلي ، الامة والامامة والعقيدة بشخصية الإمام علي عليه السلام، ١/ ١٨٦.

(٢)الاصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر ، التصانيف، ٢/٦٧٠

المطلب الأول

الفكرة الموضوعية للشخصية الثورية

أن احتواء الفكرة الإصلاحية دوما على معنى النقد والتعديل لمجرى الحياة والتفكير والعقائد بما يتطابق مع الحق والحقيقة. [١] وذلك لأن معنى الأصول والمثل المتسامية يتطابق مع معاني النفي الضروري لاشكالها الجامدة والقاتلة للعقل والضمير[٢] الأمر الذي جعل من الفكرة الإصلاحية على الدوام تشتمل على نقد ونفي للنزعة التقليدية السائدة واليابسة التي تعادل معنى التحنيط والتمويت البطيء للحياة نفسها. [٣]

وضمن هذا السياق يكون الإصلاح جزء ملازما للوجود، بوصفه حركة التجديد الدائم، أي الحالة الطبيعية للصيرورة التاريخية في حياة الأمم، كما لو انه يعبر عن الدورة الابدية للوجود والعدم، أي لدراما الولادة والموت. وفي هذا تكمن "دورته" الخالدة، كما لو انه يمثل حقائق الوجود الكبرى عبر تمثلها واعادة صياغتها بمرجعيات عامة، لعل اكثرها جوهرية هي مرجعية "الرجوع إلى الأصول" ومرجعية "البدائل المثلى".[٤]

والصيغة الأولى مظهرها الرجوع للماضي بينما حقيقتها تقوم بالتوجه صوب المستقبل، بينما الثانية مظهرها التوجه صوب المستقبل، بينما حقيقتها تقوم في التمثل النقدي للحاضر والماضي. وكلاهما وجهان ونمطان وإسلوبان يكمل احدهما الأخر بوصفهما مساع وتجارب متنوعة في فلسفة الإصلاح. فاذا كانت الفكرة الإصلاحية المحددة بمرجعيات "قديمة" لكنها "حديثة"، عادة ما تميز الفكرة الإصلاحية الدينية الأديان، فإن الفكرة الإصلاحية الدنيوية عادة ما تتحدد بمرجعيات مستقبلية، وسبب التباين والاختلاف يكمن في أن الأولى محكومة بفكرة الأصول الأولى ومبدا الرجوع اليها بوصفها اعمدة اليقين العاصمة من امكانية الشطط والغلط، بينما الثانية محكومة بفكرة التجريب والاحتمال العقلي. [٥]

---

(١) ينظر: بناسي احمد ، الإسلام والحداثة الغربية ،العدد : ٤ /٥٨.

(٢) ينظر: حفظاوي سعيد ، العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراعات لمفاهيم السياسة الأخلاقية ما بعد الحرب الباردة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ٢٢٥.

(٣) ينظر: الترمزي أبو عيسى محمد ، الشمائل المحمدية، ٢١٤.

(٤) ينظر : الجنابي ، ميثم ،الفكرة الصلاحية ، ١-٢ .

(٥) مصدر نفسه .

وليس هذا التنوع العام في الواقع سوى الصيغة الظاهرية والمتنوعة لثنائية الإصلاح والثورة، والإصلاح والتجديد. كما انها تحتوي على قدر الخلاف الكامن في كمية ونوعية الراديكالية الذائبة في فكرة الثورة والتجديد ، فاذا كانت الصيغة الأولى الدينية هي الأكثر تاثيراً وفعالية في تاريخ الإصلاح، فإن السبب الجوهري يكمن في سيادة وفعالية الوعي التقليدي وهيمنة فكرة "المراجع المثلى" النصية والمؤنسنة، أي التي تتخذ هيئة الهيبة المتسامية سواء في "نص مقدس" أو "انسان مؤله"، بمعنى أنها الصيغة النوعية للوعي الإجتماعي النظري والعملي إلى مصاف ما ادعوه بالمرحلة السياسية الإقتصادية في حياة الأمم، أي المرحلة التي تنفي في ظهورها واستتبابها المراحل الثلاث الكبرى السابقة للتطور التاريخي وهي المرحلة العرقية الثقافية، والمرحلة الثقافية الدينية، والمرحلة الدينية – السياسية. (١)

فهو التطور والتحول النوعي الذي يكفل للعقل النظري والعملي التحرر من ثقل الماضي ومرجعياته، وبالتالي، النظر إلى المستقبل بمعايير المستقبل، أي التحرر من اشكالية الماضي والمستقبل، بوصفها اشكالية متناقضة وعصية على الحل، صوب توليفهما الديناميكي في فكرة الاحتمال العقلاني والبدائل الإنسانية،غير أن هذا لا يغير من حقيقة الفكرة الإصلاحية بوصفها فكرة التاسيس الدائم لحقوق العقل النظري والعملي في البحث عن حلول واقعية وعقلانية وأنسانية للمشاكل والاشكاليات التي تواجهها الأمم. الأمر الذي جعل من تاريخ الفكرة الإصلاحية على الدوام جزء من تجارب الكل الإنساني من جهة، وحلقات ومستويات ونماذج في التجارب الإنسانية الحرة، من جهة أخرى(٢).

والمقصود بذلك التجارب التي تدرك قيمة الحرية بوصفها تجربة لا يقيدها شيء غير ادراك قيمة الاحتمال والامكان العقلية المجردة، وما عدا ذلك مجرد نصوص تاريخية و"فصوص" مجردة، بغض النظر عن دعاوي مصادرها(٣)، إذ لا مصدر فعلي للنصوص أيا كانت، ومهما اطلق عليه من صفات والقاب، غير تجارب الأفراد والجماعات والامم(٤). بمعنى انها نصوص زمنية، لا يجعل منها نصوصا تاريخية غير ما فيها من استعداد للتحقق فقط، وليس لتجسد

---

(١) خامنئي ، والإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة ، ١ / ٣٤٦.

(٢) مصطفى ، محمود الدسوري ، دراسات اسلامية لمعنى ثوار الإسلام ، ١٦٧/١.

(٣) عبد الرازق ، مصطفى ، الدين والوحي والإسلام، ١/ ١٢ .

(٤) الصدوق، فلسفة الإيمان والحياة،١/ ٢١١.

والتنفيذ و"بلوغ المرام" فهذه تجارب اضافية أو جانبية على هامش تجارب التحقيق الفعلي للمفاهيم والقيم الحية. ذلك يعني أن حد وحقيقة الإصلاحية يقومان في تاسيس فكرة الاعتدال العقلي بوصفها تجربة الحرية المتسامية، ومن ثم غير المتناهية بالنسبة لترميم هوية الوجود الإنساني في مجرى الصيرورة الابدية للكون والفساد الوجود والعدم، وما عداه هو اصلاح مزيف أو اصلاح جزئي(١).

ولا يخلو تاريخ الإصلاحية الدينية من هذا التنوع الفعال. إذ تكشف تجارب الأمم والاديان عن صيغ متنوعة للإصلاح الحقيقي والإصلاح الزائف، الإصلاح الجزئي والإصلاح الشامل. ومن الممكن الاكتفاء هنا باستعراض فلسفي مكثف للتجارب الإصلاحية الإسلامية(٢)، دون الخوض بمقارنات تاريخية وفكرية بينها وبين تجارب الإصلاحيات الدينية الاخرى والنصرانية بشكل خاص لثلاثة اعتبارات، الأول وهو ارتباط البحث بتجربة الإصلاحية الإسلامية الحديثة(٣)

ثالثا: تعريف الشخصية من حيث التكيف مع البيئة المحيطة: تاخذ هذه التعريفات اكثر من اتجاه فمنها ما يتعلق بعمليات التكيف ومجموعة من العناصر تنطوي الشخصية عليها. ومنها ما يتعلق بوجود نظام يوجه التكيف في الشخصية.(٤)

أولا : خصائص الشخصية الثورية – العقلية

ويمكن أن نعرف الشخصية وسماتها العقلية بخاصيتين أساسيتين، أولاهما: ثبات الشخصية ويظهر هذا في الثبات في الأعمال والأسلوب والتعبير والبناء والشعور الداخلي، والثانية التغير والتطور فيها خلال تاريخ حياتها، بمعنى أن الفرد لا يمكن أن يكون ساكنا صلبا لا تتغير سماته الشخصية أو تتطور، لأن الإنسان في الحقيقة يمر خلال حياته بمراحل مختلفة من النمو في نواح متعددة من شخصيته(٥)، وتفاعل الفرد بشكل مستمر مع ما يحيط به، يبقي التطور مستمراً في شخصيته ذلك أن من الصفات الاساسية للشخصية الحركة والنمو والتغير والانطلاق والسمات

---

(١) ينظر : كاريل ، الكسيس تاملات في سلوك الإنسان، ١٤٠ .

(٢) ينظر : محجوب بن ميلاد ، حقوق الإنسان على ضوء مقتضيات الضمير الإسلامي، ٢٤ – ٢٩ – ١٢٥.

(٣) ينظر : الطويلي احمد ، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية في تونس ١/١ ١٠

(٤) ينظر : محجوب بن ميلاد ، التقاليد والتحرر ، حظوظ حرية الفكر في الإسلام ،١/ ٣٢١.

(٥) ينظر : نوري، موفق سالم، فقه السيرة النبوية . قراءة سياسية دعوية حركية، ٧٩–٨٠

الشخصية تتحقق لدى الأفراد وليس في المجتمع بشكل عام، والتطور الذي يحدث في السمات يكون وفقا لخبرات كل فرد والخلاف هنا يعكس التعارض بين منهجين في علم النفس، وهما المنهج الاحصائي الذي يركز على ما هو مشترك، والمنهج الاكلينيكي الذي يركز على السمات الفريدة ودراسة الحالة .[١]

للقادة سمات شخصية ومهارات تمكنهم من اثارة دوافع وقيم الأفراد لتحقيق الفاعلية والكفاءة في ادائهم، ويكاد أنْ يكون هذا الاداء مذهلاً وخارقاً في ظل تأثير القيادة الملهمة على وجدان وعقول وسلوك الاتباع، وهذا ما حققه اتباع الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف، فقدموا اقصى درجات التضحية بانفسهم من اجل المبادئ والقيم والاهداف التي تبناها الإمام الحسين عليه السلام ، يشير مصطلح الالهام إلى فعل أو قوة تحرك العقل أو العواطف، أو هو اضفاء تأثير عميق كالتاثير الديني على العقل والروح، تُصنف القيادة الملهمة كأحد أنماط القيادة الحديثة التي تركز بشكل خاص على الرؤى والمشاعر والقيم والتحفيز الفكري، وتعرف القيادة الملهمة بانها علاقة تأثير بين القادة والأتباع الذين ينوون تغييرات حقيقية تعكس اهدافهم المشتركة ،أو هي تلك القيادة التي تجعل الاخرين قادرين على إداء اعمال غير عادية في ظل مواجهة الصعاب، وتقوم عقيدة القيادة الملهمة على اضافة مبادئ التحسين للوصول إلى تأثير كبير ومستدام، و تنشيط واضفاء الإحساس والميل والاثارة والحركة للافراد من اجل التغيير.[٢]

عندما نتحدث عن الشخصية الثورية، فاننا نتكلم عن اولئك الذين قرروا أن اهداف حياتهم تتجاوز ذواتهم الشخصية، عن الحالمين ذوي الإصرار الذين يعيشون بيننا، الذين يعملون بلا كلل في سبيل تحقيق احلامهم لتُحدث فارقًا في مجتمعاتهم ومجالاتهم؛ املًا في صنع عالم افضل، عالم يستحقه الإنسان[٣]، معترضين ومحاربين الأنماط التي تمنع ذلك حتى يحققوا رؤيتهم، فهم لا يتحدون الموروث فحسب وأن ما كذلك النظام بجميع اشكاله، لأنهم يرون عدم صحته ولعل الزمن الذي نعيشه الأن مهيأ أكثر من أي وقت مضى لإحتضان هذه الشخصيات والافكار، ورغم ذلك يبقى هناك من يعترض طريقهم ويحاول الزامهم بالانماط التقليدية السابقة، الشخصية الثورية هي

---

(١) ينظر: مهدي كريمي، المعجم الفلسفي، اصدار مجمع اللغة العربية بمصر، ١/ ١٣٨.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الامام الحسين بن علي عليهما السلام ،١٢.

(٣) عبد الكريم بكار ، الرحلة الى الذات ، ١ / ١١٢ .

تلك التي تتبع قلبها لا عقلها؛ لأنها تؤمن بما تفعل، فتصل إلى مرحلة من الاتساق مع النفس تجعلها قادرة على العطاء وصناعة التغيير الذي تؤمن به .[١]

لما كان من أهم خصائص الطبع البشري الحاجة إلى قائد بحكم طبيعتهم وتجمعهم، فكان من الأولى أن يكون النضال الثوري، والذي يتطلب بذل الدم والمال والوقت هو الأخر محتاجا إلى القيادة الملهمة الاخاذة لا سيما وأنه عمل جماهيري اكثر من كونه نخبوي، لهذا يجب للثورة من قيادة ذات تأثير، ويجب لافكار الثورة من رجال تتمثلهم وتتجسد واقعا فيهم.[٢]

ثانيا : سمات الشخصية الثورية – العقلية

أن قياس السمات في الشخصية عند قياس الشخصية ينظر اليها عبد الخالق ١٩٨٩ حيث يرى "أن السمة قد تكون وراثية أو مكتسبة متعلقة بمواقف اجتماعية وثقافية. فالشخصية اذن نمط عند الإنسان يكونه من خلال تعايشه مع الواقع، فما العوامل البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية والعائلية والتربوية، إلا مكونات للسمات الشخصية – العقلية فضلا عن الثقافة التي يكتسبها الفرد باعتبارها جزءا من الواقع المعاش"[٣] ، فمثلا لو نظرنا إلى الجنس باعتباره متغيرا نلاحظ الفروق بين الذكور الاناث في مجالات عديدة، في طرائق تفكيرهم وقدراتهم واتجاهاتهم وفي سماتهم العقلية وغيرها حيث لا يمكننا ان كار مثل هذه الفروق، فهناك عوامل بيولوجية واجتماعية وثقافية ساهمت في التفريق بين الذكور والاناث[٤].

ومن هذه السمات:

أولها : ثبات الشخصية، ويظهر هذا في الثبات في الأعمال والإسلوب والتعبير والبناء والشعور الداخلي . [٥]

ثانياً: التغير والتطور فيها خلال تاريخ حياتها، بمعنى أن الفرد لا يمكن أن يكون ساكنا صلبا لا تتغير سماته الشخصية أو تتطور، لأن الإنسان في الحقيقة يمر خلال حياته بمراحل

---

(١)عبد الكريم بكار ، الرحلة الى الذات ، ١ / ١١٢ .

(٢) ينظر : مارسيل غوشيه، اصل الدولة، ضمن مجلة الفكر العربي، العدد ٢٢/ ٦٠.

(٣) الغضبان ،منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ١٦٦ .

(٤) الخضري، نور اليقين، ٢٦ – ٢٧.

(٥) الحميدة، سالم ،محمد، سيرة النبي محمد الفترة المكية ،٢٤٤– ٢٤٥.

مختلفة من النمو في نواح متعددة من شخصيته، وتفاعل الفرد بشكل مستمر مع ما يحيط به، يبقي التطور مستمراً في شخصيته ذلك أن من الصفات الاساسية للشخصية الحركة والنمو والتغير، فإن السمات الشخصية تتحقق لدى الأفراد وليس في المجتمع بشكل عام، والتطور الذي يحدث في السمات يكون وفقاً لخبرات كل فرد والخلاف هنا يعكس التعارض بين منهجين في علم النفس[١] .

المطلب الثاني

اهمية القيادة للشخصية الثورية وشواهدها

وجود القيادة الثورية كان له تأثير عظيم في جميع الثورات التي قامت ونجحت، فالقيادة هي التي تستطيع أن تخلص الثوار من حالة التيه وتقوم بوضع خطة لسير الثورة، واهداف مطلوب من النظام تلبيتها.[٢] تستطيع القيادة الثورية أن تنقل الثورة من مساحة الثورة إلى مساحة الدولة فى اسرع وقت وباقل التضحيات والجهود، وذلك مثل تجربة الخميني فى الثورة الإيرانية ومايكل كولينز فى الثورة الايرلندية ونلسون مان ديلا فى ثورة جنوب افريقيا [٣]، إذا فقدت القيادة الثورية فإن الثورة ستنحرف كثيراً عن مساراتها واهدافها ودخلت فى خلافات ومعارك جان بية وفرعية أن هكتها بل واهلكتها، بسبب عدم وجود رؤية واحدة للطريق الذي ستسير عليه، والذي تحدده القيادة الثورية.[٤]

إنّ عدم وجود قيادة ثورية قد يتسبب في وجود خلافات بين الثوار، فالمطالب من المؤكد انها مختلفة، حتى وأن توحدت فكل منهم يرى أن ما يطالب به لابد أن يكون من الأولويات، ولتفادي ذلك يجب أن تكون هناك قيادة ثورية تجمع تلك المطالب وتتشاور بشأنها حتى لا تنحرف الثورة عن مسارها عدم وجود قيادة ثورية، سيدفع من له جمهور اكثر في الشارع إلى تصدر الثورة، حتى وأن لم يكن لديه خطة واهداف واضحة نسير عليها الثورة، وعندها سيتحول الخطاب من ثوري

---

(١) خطاب، اسماعيل احمد ، السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ١/ ٧٩.

(٢) الغزالي ، ابو حامد محمد ، مداخل السلوك إلى منازل الملوك،١٠١/١ .

(٣) توكلي ، علي مهجري ، الازمة الروحية والثورة الروحية ، ٩٠ .

(٤) حسين مؤنس ، الحضارة ،دراسة واصولها وقيامها ، ١ / ٥٥-٥٦

إلى سياسي، وستتحول كافة الموازنات من رغبة حقيقية فى التغيير الجذري إلى رغبة حقيقية فى الأحتواء والتعايش والمواءمة[١].

- **صفات القيادة الثورية**

أن يكون مقداما عند الأزمات كريماً عند الهِبَات ولو كان ذا حاجة؛ فالشعب ينقاد للرجل الشجاع عزيز النفس، وأن القائد المؤثر هو الذي يترك بصمة وراءه ولا يعرف التصنع والتكلف في المظهر الخارجي[٢].

يجب أن تكون سمعته جيدة واضح فى مواقفه ازاء جميع القضايا السياسية والإجتماعية التي تمس الشعب، لا يكون مواليا للسلطة أو مواقفها، ولا يكون قريب من أحد دوائرها [٣]، واستشارة الجماعة، فراي الجماعة خير من راي الفرد، والالتزام بما يدعو اليه لأن سر نجاح أي ثورة يكمن في مدى قدرة اصحابها على الإلتزام بما يدعون اليه قبل أن يطالبوا الاخرين بتطبيقه، يجب أن يكون صاحب رؤية فكرية وحركية عاليتين: فهو شخص لا تغلب عليه الحركية بقدر ما توجهه الرؤية والفكر والتنظير، لا يخضع للتنظيمات بل متحرر النزعة منها ،لذا يجب أن يكون له مهارات توهله للقيادة كالكاريزما والحضور والقدرة على الاقناع والخطابة وغيرها، كما يجب أن يتميز بالجراة والثورية والتحرر الذاتي والهمة العالية لا يحب الظلم ولا يقدر على الذل أو القهر ويضع عبد الرحمن الكواكبي في كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" عددا من الصفات التي يجب أن يتصف بها القائد الثوري، إذا اهلته الظروف لأن يكون في ذلك الموقع، من بينها: أن يجهد في ترقية معرفته لاسيما في العلوم النافعة الإجتماعية كالحقوق والسياسة والاقتصاد والفلسفة العقلية، وتاريخ قومه الجغرافي والطبيعي والسياسي، والادارة الداخلية، والادارة الحربية وأن يتقن أحد العلوم التي تكسبه في قومه موقعا محترما وأن يحافظ على اداب وعادات قومه غاية المحافظة وأن يحرص على أن يُعرف بحسن الأخلاق لاسيما الصدق والامانة والثبات على المبادئ وأن يظهر الشفقة على الضعفاء والغيرة على الدين والعلاقة بالوطن.[٤]

---

(١) علي جمعة ، الشيعة في الإسلام ، الطبعة الاولى ، ٥٥ – ٥٧.

(٢) محمد عبدة الإمام علي عليه السلام شرح نهج البلاغة ، ٢١٢– ٢٦٠.

(٣)عقراوي، منهل الهام–فراس، محمد حمزة، علاقة الازمنة بالشخصيات ، ١٧٦

(٤) الخالق ، محمود ، معالم الخلافة في الفكر السياسي الاسلامي١/ ٩٠– ٩٨، ٢٩٥.

كذلك يتجنب مصاحبة الممقوت عند الناس لاسيما الحكام، وأن يتباعد ما امكنه من مقاربة المستبد واعوانه ويقول "الكواكبي" أن "من يبلغ سن الثلاثين فما فوق حائزا على الصفات المذكورة، يكون قد اعد نفسه على اكمل وجه لاحراز ثقة قومه عندما يريد في برهة قليلة، وبهذه الثقة يفعل ما لا تقوى عليه الجيوش والكنوز" [١].

ما الذي يجب على القيادة الثورية فعله؟

أ- على القيادة الثورية أن تكون واعية بطبيعة المعركة التي تخوضها فتختار متى تبدا المعركة على الارض، وكيفية تاهيل الجماهير لتلك المرحلة، واختيار الأدوات اللازمة لكل مرحلة من مرحلة الصراع من اجل التغيير. فلا يمكن التغيير بوسيلة واحدة ولا خطة واحدة.[٢]

ب-على القيادة وضع سيناريوهات وخطط بديلة لمواجهة تحديات المعركة من جهة وتكتيكات النظام من جهة أخرى، كما عليها العمل على تطوير قدرات الثوار، والتاكيد على أن التغيير سنة ربانية توهب لمن أجتهد لها واخذ بالأسباب.

ت- على القيادة أن تضع في الأعتبار عنصر الجماهير التي تركن دوماً للإستقرار، والتي تتأثر بالإعلام وتتحول في لحظة ما تحت الضغط الإعلامي إلى خصم، يجب كسبه أو على اقل تقدير تحييده.

ث- على القيادة الثورية أن تصل إلى العقيدة الراسخة بأن تثبت على موقفها مهما كانت الاحباطات، التي من المتوقع أن تحدث نتيجة الخذلان في بعض الأحيان ، أو نتيجة الأخفاقات المرحلية التي قد تحدث نتيجة الاخطاء البشرية.

ج- على القيادة الثورية أن يكون لديها استعداد لدفع الثمن، وعدم التهوين من اثاره، والتي قد تلقي بالثوار في السجون والمعتقلات، أو المطاردات والمضايقات من قبل اتباع النظام، وكذلك الأحكام الظالمة التي قد تصدر من قضاة النظام، وقد يكون الأمر اكبر من ذلك، فيسقط الكثير من الشهداء، فلا ثورة بدون شهداء.على الرغم من ذلك فعلى القيادة الثورية العمل على الحفاظ

---

(١) ينظر: فروخ، عمر ، الإسلام السياسي والسياسية الإسلامية، مجلة قضايا عربية، ١/ ١٢٩.

(٢) ينظر: البقري. احمد ماهر ، القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام ١/ ١٥٣.

على الثوار الموجودين على الارض وعدم الزج بهم في معارك فاشلة، وهو ما يتطلب التخطيط المدروس لكل خطوة تقوم بها القيادة واشراك القواعد في صناعة القرار.[١]

ح- على القيادة الثورية العمل على المصالحة المجتمعية[٢]، وتقبل الأخر، والالتقاء على نقاط التوافق، وتنحية الخلافات بكل اشكالها، والالتقاء على هدف واحد هو تخليص الوطن من الطغمة التي تسيطر على مقدراته.على القيادة اعطاء الفرصة لاصحاب الهمم والعزائم للعمل، وعدم حجر الرأي وتوسيع دائرة العمل ومرونة الأداء بتمرير القرارات بشكل سلس من دون مركزية أو جمود.[٣]

تاسعاً: شواهد اصالة الشخصية وروح الإصلاح :

أن الإصلاح يعكس المشروع الذي يتبناه الشخصية الإصلاحية والعمل الإصلاحي يعد جزء من حركة العمل السياسي جزءًا حيويا من صميم النهضة الشاملة التي يطمح لها ، وذلك عندما جعل من العمل الحركي في مشروعه الإصلاحي ركيزة لتصالح الفكر مع الواقع، والعقيدة مع حياة الإنسان اليومية، والفقيه مع المجتمع،[٤]، في حين أن الرؤية المستقبلية وتطلعاتها الاستشرافية كانت قد حتمتّ عليه عدم اغفال هذا العمل الذي وجدهُ في آن واحد بُعداً جوهريا وعضويا في مشروعه الإصلاحي فاستانف الشروع به بعد ان قطاع دام لعقود سابقة. [٥]

يُعد الإصلاح محور من المحاور الموضوعية والفكرية للشخصية الثورية ، ويعتمد على طبيعة الشخصية وفعاليته في تحديد مسالك بل هو صميم الفكر الإصلاحي[٦] ، ويمثل الإصلاح النظام، سلَّ عنه مصطلح النظام الإجتماعي، والواضح أن استخدام المصطلحات وما يريدهُ

---

(١) الصدر السابق ، فروخ، عمر ، الإسلام السياسي والسياسية الإسلامية ، ١/ ١٣٠

(٢) معوض، جلال، مقارنة بين خصائص القيادات العربية الراهنة والقيادات العربية الإسلامية، ٥٢٨- ٥٣٢.

(٣) ينظر : هلال ،علي الدين ، مدخل في علم السياسية المقارنة: محاضرات فلسفية، ١٤/١.

(٤) ينظر:الاسدي، عقيل، العقيدة ودورها في بناء الدولة الإسلامية الصدر، ضمن فلسفة الدولة، ٤٠٠ - ٤١٤.

(٥) نفس المصدر ، ٣/ ١٤٤.

(٦) الصدر ، محمد باقر ، فلسفتنا ٢/ ٤٧٥.

الصدر هو توظيف القيمة الوضعية لدلالات المفهومات في بناء رؤيته النقدية،[١] فهو بصدد نقد الرؤية الإصلاحية العَلمانية وليس الدينية، انه لا ينقد الدين بوصفه خياراً اصلاحياً، والدين هو الشرعة الإصلاحية التي لا تقبل الشك أو التردد في صدقها والعمل بها[٢]. كما أن مفكري المذهب الشيعي يستخدمون مصطلح النظام الإجتماعي، وهو يحقق الموضوعية في المسرح البشري أو المجال الدُنيوي الذي يصرف الخطاب الإصلاحي، خصوصاً، وأنه بصدد مناقشة النظم الإصلاحية العَلمانية التي توافر عليها الغرب الحديث والمعاصر وشاعت مندلقة في المجتمعات الإسلامية ولتحقيق الشخصية الثورية ،أن استظهار دلالة استخدام الصدر لمصطلح النظم الإجتماعية وفق خطاب نصوص الإصلاحيين، انه لا يعني به الحراك الإجتماعي للإنسان في المجتمع، ولا التجربة السوسيولوجية فيه فحسب، ان ما الكيان المجتمعي، والكيان السياسي، والكيان الاقتصادي، والكيان الثقافي، أي ذاك الوجود الذي تتناسق فيه كل عناصر ومفاعيل ومعطيات هذه النظم الجزئية لخلق نظام مجتمعي مزاحم وتفاعُلي في حراكه الكلي، كما هو حال النظام الرأسمالي أو النظام الاشتراكي وأن "كلا من هذين النظامين يملك كياناً سياسياً عظيماً" يدعمه ويقدم له أسباب تداوله المادية والمعنوية والنفسية على نحو أيديولوجي وأن كل هذه النظم أو المذاهب المجتمعية هي خطابات إصلاحية جاءت متمردة على نُظم ومذاهب فكرية إصلاحية سابقة عليها كانت في مرحلة ما قد فقدت بريقها الفكري الخاص بها وما عادت لها فاعلية مجتمعية لافتة، ولا أثر تداولي أو تفاعلي لها؛ فوُجدت الضرورة لأن يُجدد المُصلحون خطابات مغايرة يمكن أن تمارس أدواراً جديدة في الحياة وفق نماذجها وإذا كان للمسلمين الريادة في تجديد الخطاب الديني الإصلاحي[٣].

أن هذه النظم هي في حراكها التاريخي هي نُظم ومذاهب إصلاحية، جاءت على أعقاب نُظم ومذاهب كانت يوما في حراكها التاريخي والتداولي خطابات إصلاحية لكنها فقدت القدرة على تأصيل فاعلية ديمومتها التداولية والمجتمعية في الحياة، إلا أن هذه الخطابات الإصلاحية الجديدة هي الاخرى فقدت فاعليتها المجتمعية، وهذا ما يُريد الصدر أن يؤكده في نقديته

---

(١) الصدر ، محمد باقر ، فلسفتنا، ٢ / ٢٨١.

(٢) الصفار ، محمد بن الحسن ،بصائر الدرجات،٢/ ٢٤٦.

(٣) ينظر:هاشم ، ياسين كريم ، منشا تجديد الفكر الديني، ٣/ ١٩ .

لمعطيات العقل الإصلاحي الذي يوجه هذه الخطابات من خلال استقراء مقولاته، وادواره التداولية، وفاعليته المجتمعية، كما أن هذا النظام المُشبع بالروح المادية الطاغية لم يبن على فلسفة مادية للحياة، ولم يُهيأ لاقامة هذا النظام فهمٌ فلسفي كامل".[١]

أن الشخصية الإصلاحية هي التي تستطيع أن تحقق توازنا دقيقا بين القدرات الذاتية وبين التحرك الميداني، وذلك عندما تحاول أن تحقق الأهداف التي تؤمن بها، أن هذا التوازن هو النقطة المركزية التي يتوقف عليها مستقبل المشروع الإصلاحي من حيث النجاح أو الفشل، ومن حيث الشمولية أو المحدودية[٢].

ويلاحظ أن هناك شخصيات امتلكت قدرات عالية كالإبداع الفكري والتماسك الشخصي والإرادة الطموحة وغير ذلك من المقومات، لكنها لم تستطع أن تسير في عملية الإصلاح سوى خطوات معدودة لا تكاد تذكر[٣]، بل انها لا تتناسب مع المؤهلات الذاتية وتتطلع مجتمعاتهم إلى خطوات جديدة منهم، لكنهم بقوا عاجزين عن تلبية تطلعات مجتمعاتهم ونلاحظ أن الحركة الإصلاحية التي برزت اواسط القرن التاسع عشر في العديد من البلدان الإسلامية، تميزت بتفاوت كبير بين رموزها الإصلاحية. [٤]

ويلاحظ مما تقدم ووفقا لنظرة افكار علماء الإسلام بأن هناك شخصيات لها مكانتها في الجانب الفكري، وكانت لهم قدراتهم العالية وموهبتهم المتميزة، لكنهم لم ينجحوا في مشاريعهم الإصلاحية رغم أن هم رفعوا شعار الإصلاح عن قناعة وايمان وأهمها الثورة الحسينية التي غيرت كافة المفاهيم الإصلاحية وكان لها الأثر الكبير لكافة المجتمعات العربية والغربية والتي حددت المسار الحقيقي والواضح للشخصية الثورية .[٥]

---

(١) ينظر:امهدان كريم جعفر ، دراسة تحليلية التجربة الدينية، ٢/ ١٣٧ .

(٢) ينظر: محسن زيدان الموسوي ، دراسة مقارنة القبض والبسط النظري للشريعة: نظرية تكامل المعرفة الدينية، ٢/ ٢٧٥.

(٣) ينظر: ابراهيم محسن ، مكاتيب الرسول، ١/ ٩٧.

(٤) ينظر: الدمشقي ، سعيد محمد ، التجربة الدينية وجوهر الدين،١/ ١٠٢.

(٥) ينظر: الكازروني نور الدين أحمد بن محمد ، الصُرُط المستقيم، ٣٦/ ٢٣.

المبحث الثاني

دلالات ميدان الرشد للشخصية الثورية وإتساعها

أن الثوري ينشد الكمال المطلق وليس المحدود وهو ينفر من المحدودية والنقص والعدم وهذا هو كماله اللامحدود الذي يدفعه صوب الكمال ويسعى اليه ولو بلغ الإنسان الكمال المطلق وشعر براحة القلب و الاطمئنان فلا يضجر أو ينفر وبشان هذه الفكرة يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨ ، وقيد إلا ومجيء الجار والمجرور في قوله: بذكر الله امام متعلقة يقيدان الحصر. والمراد انه بذكر الله فقط تطمئن القلوب. وأن سعي الإنسان لتحقيق مطالبه واحد تلو الأخر أن ما يكشف انه يسعى لاشباع ذاته وأن هذه القوى التي تدفعه للسعي لتحقيق مطالبه لا أثر فيها للنقص والمحدودية بل هي الكمال المطلق فيما يتعلق بالتكامل [١] هو أمر محدد يتم فيه دمج جميع الأفراد دون أن يتمكن أي شخص من تجاوز هذا الحد أو تجاوز هذا القالب. أما بالنسبة لتكامل ، فهذا يعني أن بعض الأفراد يصلون إلى مرحلة يتجاوزون فيها القالب السابق بحيث يصبح القالب الجديد ملاكًا [٢]، ثم يتجاوز الفرد في أحد الأجيال اللاحقة القالب السابق للمضي قدمًا. وأندماج الفرد بهذه الطريقة أمر اعتمد عليه القرآن في تكامل الخليقة البشرية. يشير القرآن في مقبل سورة " الحج" في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥) ، ولذا فهو يشير إلى المشهد التكميلي الذي يتضمن مراحل تطور الخلق كعلامة على القدرة الالهية.[٣]

---

(١) احمد امين ،زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ٧٩/١

(٢) ينظر :عبد الملك انور، القومية العربية والإسلام ،١/ ٥٨١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ٣٦٦/١٤.

المطلب الأول

مفهوم الرشد للشخصية الثورية

أن الغاية من ميدان الرشد للشخصية الثورية واتساعها داخل المجتمع يعتمد على ركائز مستمدة من أصالة الشخصية الثورية ومنها هي العقلانية. وقد أكد الله اشتراط الإصلاح مع الإيمان قال تعالى: ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْأَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (الطلاق :١١) .

ونستدل من الآية القرانية (هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبينات لا لبس فيها؛ رجاء أن يُخْرِج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملًا صالحًا، يدخله الله جنات ماكثين فيها أبدًا، قد أحسن الله له رزقًا حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها [١] ، وكذلك تشير هذه الاية في تفسير الوسيط إلى وأرسلنا إليكم رسولا هو عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكي يتلو عليكم آياتنا تلاوة تدبر وفهم، يعقبهما تنفيذ ما اشتملت عليه هذه الآيات من أحكام وآداب وهدايات، ولكي يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الشرك الذي كانوا واقعين فيه، إلى نور الإيمان الذي صاروا إليه.

وقال الآلوسى ما ملخصه: وقوله: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً هو النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالذكر هو القرآن، والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ورسولا منصوب بمقدر أى: وأرسل رسولا، قوله: قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً حال من الضمير المنصوب في قوله يُدْخِلْهُ والجمع في الضمائر باعتبار معنى مِنَ كما أن الأفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها: والرزق: كل ما ينتفع به الإنسان، وتنكيره للتعظيم، أي المؤمن الصادق في إيمانه رزقه في الجنة، وأعطاه من الخير والنعيم، ما يشرح صدره، ويدخل السرور على نفسه. ويصلح باله..[٢]

---

[١] عبد الرحمن بن السعدي ، تفسير المختصر شرح المعنى ،ص٣٤.

[٢] الآلوسي ،روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ٣٥١/١

ويمكن تحديد تععريف الرشد وهو الرشد، فلا بد أن تفهم ماذا تفعل، وعلى بصيرة بالوظائف والمسؤوليات التي تُلقى على عاتقها عقب قولها نعم ،هذا هو مفهوم الرشد الذي يعد شرطا ضروريا لاكثر المسؤوليات، وفرقه عن العقل والبلوغ(١)، اي للشخص أن يمتلك ذلك لذا فإن مسألة الادارة يتميز بالقدرة على استثمار الإمكانيات والموارد بطريقة افضل وإذا لم يكن يمتلك مثل هذه الكفاءة، اذن فهو ليس عقلانيا(٢)، ولابد توفر العقلانية ، تعد مرحلة المعرفة – الكفاءة – والقدرة على المحافظة والإفادة والإسلام قد أولى اهتماماً كبيراً لمسالة توافر العقلانية في المهام والوظائف والمسؤوليات الإسلامية، و العقلانية أمر مكتسب ومسئولية مستقلة للإنسان ومطلوب للحصول عليها للوصول.(٣)

أولا : الرشد الإسلامي في الشخصية الثورية

العقلانية الإسلامية هي دولة الله والإنسان مكلف بالقيام بالعديد من المسؤوليات ومسؤولية المعرفة ومسؤولية الحفظ، وهي جزء من الشرط الأول للحكمة الإسلامية ، وهو معرفة الإسلام، ومعرفة الثروة الإسلامية، اولئك الذين كان لهم تأثير كبير على حضارة العالم وتطوره، بمعنى اننا نرى تاريخنا كتاريخ متخلف وخالٍ ، وإذا لا نعلم شيئا فكيف نحفظه ونستفيد منه.

ورد مصطلح(الرشد) في القران الكريم تسع عشرة مرة بصيغ عدة، في ست سور مكية وثلاث سور مدنية. الرشد في السور المكية لقد غلب على الرشد في السور المكية مجيئه مع قصص السابقين من الأمم، قال الله تعالى: ﴿ سأصرف عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يَرَوْا سَبيل الرشد لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِين)﴾ (الأعراف :١٤٦:)

ويذكر الطبرسي في تفسير البيان : إنه أراد سأصرف عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والإعتزاز بها وثانيها : إن معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي أظهرها على الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة ، بما تقدم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة ، ويظهرها بحيث ينتفع بها

---

(١) ينظر:عبد الكريم زيدان ، اصول الدعوة"، ١٢٦/٢

(٢) ينظر:عادل عبدالله ، عبء الإثبات في الحوار الفلسفي ، مجلة الحوار المتمدن–العدد: ٧٢٨٥ ، ١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

غيرهم ، وثالثها : إن معناه سأمنع الكذابين والمتكبرين آياتي ومعجزاتي ، وأصرفهم عنها وأخص بها الأنبياء ، فلا أظهرها إلا عليهم ، وإذا صرفهم عنها ، فقد صرفهم عنهم ، ورابعها أن يكون الصرف معناه المنع من إبطال الآيات والحجج ، والقدح فيها بما يخرجها عن كونها أدلة وحججا .[١]

ذكر محمد جواد مغنية أن اللَّه سبحانه يحفظها ويصونها من يد التحريف والثانية أي الدلائل والبينات فالمعنى ان المعاندين بعد أن أعرضوا عنها ورفضوا الإصغاء إليها فإن اللَّه سبحانه يدعهم وشأنهم ، ولا يلجئهم إلى الإيمان بها إلجاء ، وتقدم الكلام عن ذلك مرات ،والثالثة هذا بيان لحقيقة المتكبرين ، وللسبب الموجب لتكبرهم أيضا ، أما حقيقتهم فهي انهم لا يرتدعون عن غي ، ولا يميلون إلى رشد ، أما السبب الموجب قد جاءهم بالحجج والبراهين ، وطلب إليهم أن ينظروا إليها ويتدبروها ويعملوا بموجبها ، فرفضوا وأصروا على الأعراض وعدم النظر ولو انهم استجابوا ودرسوا تلك الدلائل لأدى بهم الدرس والنظر إلى الإيمان والاعتراف بالحق ، ولم يتكبروا ويفسدوا في الأرض.[٢]

رشد الإنسان بالنسبة لماضيه أي معرفته بماضيه وتاريخه والإفادة المثمرة من الإمكانات والقدرات التاريخية وأما رشده بالنسبة للمستقبل، فيعنى القدرة على التنبؤ عن المستقبل أي التنبؤ بالحوادث المستقبلية ووضعها تحت قيادته وتوجيهه بقدر إمكانه بمعنى قيادة الزمان وهدايته وتوجيهه على ضوء القوانين والسنن الحاكمة على الزمان والتاريخ.[٣]، كقول الله تعالى :

وقال تعالى: ﴿ وجاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضيقي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ (هود : ٧٨)

ذكر الطباطبائي في تفسير هذه الآيات: الآيات تذكر عذاب قوم لوط، وهي من وجه تتمة الآيات السابقة التي قصت نزول الملائكة ودخولهم على إبراهيم (عليه السلام) وتبشيره بإسحاق فإنما كانت كالتوطئة لقصة عذاب قوم لوط أي أوقع عليه السوء، وسيء بالأمر بالبناء للمجهول أي

---

(١) الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ٤ / ٣٥٦-٣٦١ .

(٢) محمد جواد مغنية ، تفسير الكاشف ، ٤ / ٣٩٤-٣٩٥ .

(٣) ينظر:محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا في الإسلام، ٩٨،

أوقع عليه من ناحيته وبسببه. ضاق بالأمر ذرعا وهو كناية عن انسداد طريق الحيلة والعجز عن الاهتداء إلى مخلص ينجو به الإنسان من النائبة كالذي يذرع ما لا ينطبق عليه ذرعه. وقوله:﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ بيان للمطلوب، وقوله:﴿ ولا تخزون في ضيفي﴾ عطف تفسيري لقوله:﴿ فاتقوا الله﴾ فإنه (عليه السلام) إنما كان يطلب منهم أن لا يتعرضوا لضيفه لتقوى الله لا لهوى نفسه وعصبية جاهلية منه، ولم يكن عنده فرق بين ضيفه وغيرهم فيما كان يردعهم، وقد وعظهم بالردع عن هذا الذنب الشنيع وألح على ذلك سنين متمادية.وإنما علق الردع على معنى الضيافة وإضافة الضيف إلى نفسه وذكر الخزي الوارد عليه من التعرض لهم كل ذلك رجاء أن يهيج صفة الفتوة والكرامة فيهم ولذلك عقب ذلك بالاستغاثة والاستنصار بقوله:﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ لعله يجد فيهم ذا رشد إنساني فينتصر له وينجيه وضيوفه من أيدي أولئك الظالمين [1]

ثالثا : دلالات الرشد في الشخصية الثورية

أن الشخصية الإصلاحية لها دورا مهما له تأثير اوسع في بناء مستقبل المجتمعات وإصلاحها وفق المنهج الإلهي، ويعود ذلك بسبب قرارته الواعية حكم قوة العقل والإرادة فالشخصية الإصلاحية تحقق توازنا بين القدرات الذاتية وبين التحرك الميداني، وهذا التوازن هو النقطة المركزية التي يتوقف عليها مستقبل المشروع الإصلاحي من حيث الشمولية أو المحدودية(٢)،وأن اتساع الرغبات للشخصية الاصلاحية لديها قابلية ببناء النفس الخاصة به فضلا عن ، أنه صفته الشخصية تتسم بالثورية وهي (قوة الذات)من ناحية الخصال ويتمتع الطباع الفطرية التي ويكيفها وفق حاجاته، كما أن للثوري دور مختلف في بناء مستقبل الإنسان[٣].

نستشهد بذلك بقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فَرْعَوْنَ برشيد﴾ (هود :٩٦-٩٧) وبشير الشيرازي القرآن الكريم الى زاوية من قصّة موسى ومواجهته لفرعون وأرسل الله عز وجل النبي موسى عليه السلام وبغى

---

(١) الطباطبائي ، تفسير الميزان ،١٠/٢٦٦-٢٧٠.

(٢) ينظر: العنان خليل، الثورات العربية بين النجاح والفشل ، ١١٠ -١١١

(٣) عبد الكريم زيدان ، المستفاد من قصص القرآن للدعوى والدعاة ٢٣١/١

الإصلاح أوّلا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وجاءت كلمة "السلطان» بمعنى التسلّط، يستعمل تارةً في السلطة الظاهرية، وأحياناً في السلطة المنطقية، السلطة التي تحاصر المخالف في طريق مسدود بحيث لا يجد طريقاً للفرار.ويذكر ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾. وثانيا في منطق القرآن تطلق هذه الكلمة غالباً على الوجوه والأشراف والأعيان الذين يحيطون بالمستكبرين وبالقوى الظالمة إلاّ أنّ جماعة فرعون الذين وجدوا منافعهم مهددة بالخطر بسبب دعوة موسى، فإنّهم لم يكونوا مستعدين للاستجابة، لمنطقه الحق ومعجزاته {فاتبعوا أمر فرعون}. ولكن فرعون ليس من شأنه هداية الناس الى الحياة السعيدة أوضمان نجاتهم وتكاملهم:{ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ}، وأحياناً كان يتهم موسى، وأُخرى كان يهدّده، وأحياناً يبرز قوّته وشوكته بوجه الناس في مصر، أو يدعي الدهاء في قيادته بما يضمن الخير والصلاح لهم.[1]

(١) مكارم الشيرازي، تفسير الامثل ،١٦٠/٦-١٦٢.

المطلب الثاني

دلالات الشخصية الإصلاحية الثورية

أ.مناصرة الشخصية الثورية للمظلوم :

ونعني بالنصرة تلك الغيرة الإيمانية التي تدفع الثوري لرفع الظلم عن اخيه المستضعف، أو لمد يد العون اليه، وقد أمر رسول الله ﷺ بسبع كان منها نصر المظلوم ففي الحديث الشريف :"امرنا النبي ﷺ بسبع ... ، فذكر عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، ونصر المظلوم، واجابة الداعي، وابرار القسم" [١] من أهم ما يميز شخصية الشخصية الثورية هو مناصرة المظلوم فهي تعتبر اجازة لشخصية الثورية ومثلا ذلك إذا كان الطرف المقابل يعتدي عليكم ويقاتلكم فيجب ان تقاتلوه وهل أن القيد يقتصر على ذلك فقط إذا كان الطرف لاخر يقاتلنا و الأمر الأخر، وأن الطرف المقابل قد لا يريد مقاتلتنا ولكنه يرتكب ظلما بحق مجموعة من الناس ونحن لدينا القدرة على إنقاذهم فاذا لم ننقذهم نكون قد ساعدنا الظالم على ظلمة علينا وعلى مجموعة من الناس يمكن أن تكون مسلمة أو غير مسلمة وهنا يجب علينا أن نتعلم مناصرة المظلوم حتى وأن لم يعتدِعلينا الظالم وخاصة إذ كان المظلوم مسلما [٢].

ب.مقاومة الشخصية الثورية للضغوط الخارجية :

إن الشخصية الإصلاحية "الثورية" تحاول مقاومة الضغوط الخارجية ويتمتع بقدرة عالية في نشر رسالته ومحاربة ونصرة المظلومين[٣]،وهو السبب الذي بعث الله عز وجل الأنبياء والرسل

---

(١) ينظر:أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه، ٧/ ٢٥، برقم: ٥١٧٥، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العَلَم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، ٣/ ١٦٣٥، برقم: ٢٠٦٦.

(٢) ابن جوزية، مدارج السالكين ،١ / ١٧٧

(٣) ينظر:عامر ، محمد محمد صادق، اسرار علم الشخصيات وتطويرها ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، ٢١١

والأئمة هو لكمال الإنسان ورفع النقائص التي قد يتعرّض لها بسبب النفس، أو الشيطان، أو المحيط، وهذه النقائص الفساد الذي أشارت إليه الآيات القرآنية الكثيرة الداعية للصلاح أو الإصلاح؛ لذا كانت "العلة في الدعوة الدينية ورفع الاختلاف، والإيمان بالنبوة والتشريع بهداية النوع إلى كماله اللائق بحالهم المصلح لشأنهم، والمعلوم أن الإنسان غير متمكن من تتميم هذه النقيصة من قبل نفسه فإن فطرته هي المؤدية إلى هذه النقيصة لذا فالإصلاح يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة، وهي الجهة الإلهية التي هي النبوة بالوحي"[١]، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ٢٦] ، " التبذير التفريق بالإسراف وأصله أن يفرق كما يفرق البذر إلا أنه يختص بما يكون على سبيل الإفساد وما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيرا ".[٢]

ث .الحقوق الإنسانية التي تتكفل بها الشخصية الثورية

تتكفل الشخصية الثورية بجميع الحقوق المسلوبة التي يجب الدفاع عنها وليست فقط الحقوق الفردية أو حقوق الشعب بل جزء من الحقوق الإنسانية أي عند تعرض أحد الحقوق الإنسانية إلى الاعتداء فستكون الحرب الدفاعية حينئذ مشروعه وقد يعترض أحد الأشخاص ويقول اني ادافع فقط عن حقوقي الشخصية أو عن حقوقي القومية فقط فهذا الكلام غير صحيح فالدفاع عن الحقوق الإنسانية مقدم على الدفاع عن الحقوق الفردية والاجتماعية [٣]،ونستدل بقول الله تعالى :

عبر آيات سورة الرحمن (السورة السادسة في السنة الثالثة) يقرّ القرآن حق الناس في التمتع بالعدالة العامة، فمن خلال قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الميزان : ٧-٩) ويذكر الطباطبائي المراد بالميزان العدل أي وضع الله العدل بينكم لتسووا به بين الأشياء بإعطاء كل ذي حق حقه.

وقيل: المراد الميزان الذي يوزن به الأثقال والمعنى الأول أوسع وأشمل وقوله تعالى: ﴿ ألّا تَطْغَوْا في المِيزانِ وأقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا المِيزانَ ﴾ الظاهر أن المراد بالميزان الميزان

---

(١) الطباطبائي ،تفسير الميزان، ٢/ ١٣٢ – ١٣٣

(٢) الطبرسي،تفسير مجمع البيان، ٢٧٨/٦.

(٣) ينظر:الطيب، مولود زايد،علم الاجتماع السياسي ، ١٠٢/١ .

المعروف وهو ميزان الأثقال، فقوله: " ألا تطغوا " الخ على تقدير أن يراد بالميزان في الآية السابقة أيضا ميزان الأثقال، وهو بيان وضع الميزان، والمعنى أن معنى وضعنا الميزان بينكم هو أن اعدلوا في وزن الأثقال ولا تطغوا فيه. يؤكد على حق عامة الناس في الانتفاع بالأرض وبنعمها وثمارها.[١]

وهناك حقوق هي اكثر قدسية في الدفاع عنها مثل المقدسات وقدسية الدفاع هو أن يدافع الإنسان عن الحق والحقوق الإنسانية هي اكثر قدسية ويعتبرون الحرية في عداد المقدسات البشرية وهي لا تعد خاصة لفرد أو لشعب وقد تخطوا احيانا حدود اللسان والقلم والخطب وتوعية الأفكار ويدخلون ساحة الحرب والمنادين بالحرية يكتسبون احترام الناس وهذا الاحترام جاء نتيجة دفاعهم عن الحقوق الإنسانية [٢].

ج .الحروب الدفاعية لشخصية الثورية

إذا كانت الحرب من اجل ردع الاعتداء فعند اعتداء شخص على ارضه وماله وثرواته ويطمع في حريته ويريد أن يسلبها فماذا يقول الثوري هنا ؟ هل يجب أن يقول أن الحرب سيئة على الاطلاق والسلاح سيء ونؤيد السلام ، وأن الدفاع عن النفس في الحرب تكون مشروعة عندما يريد الإنسان سواء كان فرداً أو قوماً أو شعباً أن يدافع عن نفسه أو حياته إذا تعرض شعب للخطر[٣] أن الدفاع هو أمر مشروع وإذا تعرض شخص لسرقة ثروته أو اعتداء شخص اخر عليه فعلى هذا الأساس يحق للشخص أن يدافع عن نفسه والإسلام يقول المقتول دون اهله وعياله شهيد أي الذي يقتل من اجل الدفاع عن ماله وشرفه يصبح شهيداً وأن الدفاع عن الاستقلال أمر مشروع لكل الشعب وعلى هذا الأساس إذا اراد قوم أن يسلب استقلال قوم أخرين ويتسلطوا عليهم وأرد هؤلاء أن يدافعوا عن استقلالهم وحملوا السلاح فان هم يقومون بعمل حميد

---

(١)الطباطبائي، تفسير الميزان ، ١٩ / ٩٧

(٢) ينظر: علي عبد الواحد، المساواة في الإسلام ، ١/ ٢٣ .

(٣) ينظر: عازوري نجيب ، يقظة العرب ، ١/ ١٩٧.

لأن الدفاع عن الحياة والمال الثروة والشرف والاستقلال واجب ولا يتردد في جواز ومشروعية هذه المجالات.[١]

اقدس انواع الدفاع : أن أي حرب يقودها ثوري كانت بعنوان الدفاع فهي مقدسة فاذا كانت دفاعاً عن النفس فهي مقدسة وإذا كان دفاعاً عن الشعب فهي اقدس فإن الطابع الشخصي يتغير إلى طابع قومي ويتوسع حيث الثوري هنا لا يدافع عن نفسه وأن ما يدافع عن الاخرين من ابناء شعبه وإذا تعدى الدفاع عن الحدود القومية إلى الحدود الإنسانية وسيكون اكثر قدسية [٢]

الامور التي لا يجبر عليها الشخصية الثورية : هناك اعمال لا تطلب بل اجبار ولا يمكن ممارستها إلا عن طريق القناعة والرضا ومنها تزكية النفس والتربية على الفضائل ومثال ذلك أن بعض الناس يكرهون الكذب و يولون اهمية للصدق فهذه الاعمال لا تتم بالقوة أو الاكراه.[٣]

انتفاضة الثوري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :لو راى القائد الثوري أي الشخصية الثورية بأن المعروف صار منكراً والمنكر صار معروفاً وأن تفض من اجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو لا يدافع عن حقه الشخصي أو حق مجتمع فهو يدافع عن حق معنويات يتعلق باي قوم أو شعب بل يتعلق بكل الناس وهذا جهاد يجب تقديسه لأنه دفاع عن حقوق الناس[٤].

---

(١) ينظر : العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ، ٢/ ٣٣٧ .

(٢) ينظر : انور الجندي، الإسلام والدعوات الهد امة، ٢٦٩.

(٣) ينظر : علي اكبر الغفاري ، الصدوق، الامالي، ١٢٠، رقم ١٠.

(٤) ينظر : كمال الدين وتمام النعمة،٣٣ –٣٤ تصحيح: علي اكبر الغفاري

المبحث الثالث

أهمية الشخصية الثورية في الإسلام

تأتي اهمية الإنسان والقوى الثورية المودعة فيه لما يمتلكه من القوى والكنوز الكامنة في الإنسان، والتي لم يتنبه اليها الإنسان عادة والإسلام قد اهتم كثيراً بمسالة توجيه الإنسان ووعيه بنفسه، ومنزلته الكبيرة، وباهمية القوى الكبيرة الكامنة فيه، والقرآن الكريم يصرح في الكثير من اياته بأن الله تعالى حين خلق ادم أمر الملائكة أن تسجد له وأن الإنسان اعرف بالاسماء من الملائكة انفسهم، وأن كل ما في الارض قد خُلق لاجل الإنسان ولمصلحته[١] قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا البقرة : ٢٩ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الجاثية :١٣ ففي الرؤية القرآنية يعد الإنسان ارفع الموجودات جميعا، وليس هو قبضة من ماءٍ وتُرابِ فحسب.

وأن علاقة الإسلام بالقيادة والادارة؛ فإن ذلك يتم عن طريق مصدرين، مصادر لدراسة القيادة في الإسلام القراءة ومسيرة الأنبياء والرسل والاوصياء يلزم ، فالقائد لا يصبح قائدا بالقول، بل بالعمل المتواصل في خدمة الاخرين، وفي قضاء حوائج الناس، فبدون خدمة الناس لا يصبح القائد إلا مجرد الفاظ ودعاية فارغة عن المحتوى جاء في الحديث القدسي: أوحى الله إلى داوود عليه السلام أن العبد يأتي بالحسنة يوم القيامة، فاحكمه بها في الجنة، قال داوود: يا رب ومن هذا العبد؟ قال: مؤمن يسعى لأخيه المؤمن في حاجته، يحب قضاءها، قضيت على يديه أو لم تقض[٢]، هذا الحديث يحث عزائم المجتمع ، ويحفز هممهم نحو الحرص الشديد على السعي الدائم إلى قضاء حوائج الأخرين ، وتخفيف الآمهم وتحقيق امالهم.[٣]

النبيﷺ هنا يشدد على مفهوم المساعدة وقضاء حوائج الاخرين فالقائد الناجح هو الذي يمتاز بقلب كبير يسع جميع الناس، وهو لا يحصر مساعدته لاصحابه فقط بل يمد يده حتى لغير اصحابه وهو الذي ينذر نفسه لخدمة الناس بالاخص المستضعفين منهم، وهو لا يرى غضاضة

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ، ٢ / ٣١ –٣٣.

(٢) القرطبي، محمد بن احمد بن أبو بكر ، الجامع لاحكام القرآن ٢/ ١٢٤.

(٣) الشيرازي، ناصر الدين ابو سعيد ، انوار التنزيل واسرار التاويل، ٥ / ٥١٠.

في حمل الطعام بنفسه إلى بيوت المساكين والارامل حتى يمنح اولئك المساكين غذاءً روحيا بالإضافة إلى غذاء الجسد وحتى يتحسسوا انه يكمل المهام بنفسه لهم وكان بامكانه أن يطلب من خادمه القيام بهذا الأمر، لكن القائد الفذ هو الذي يقدم خدماته للناس وهي ممزوجة بالكرامة والعز ة حتى لا يشعر من يعمل معه بالمهانة.[١]

المطلب الأول

صفات الشخصية الثورية عند منهج أهل البيت عليهم السلام

تمثلت بصفات كثيرة منها :

١. **الجرأة:**القائد هو رجل مقدام وشجاع، وهو بمواقفه الشجاعة يملأ نفوس أصحابه بالشجاعة فلا طريق للخوف إلى نفوس القادة، لأن الخوف اكبر مان ع للثورة، وإذا كان القائد مرعوبا فإن الثورة ستنطفئ في نفوس اصحابه، صفة الثورية المتولدة لدى الفرد وتطمح للتغيير والإصلاح بصورة متواصلة تمنح القائد الطاقة المستمرة وتمكنه من مواجهة الصعاب وخوض غمار الصراع بروح عالية وتصميم قوي، والقائد الذي يستغني عن الأصرار يتحول إلى انسان هش سرعان ما يتكسر امام اقل عاصفة .

٢. **كظم الغيظ:** الغضب نقطة ضعف في الإنسان فهو يخرجه عن طوره ويجعله عاجزا عن اتخاذ القرار المناسب،وتزداد اهمية هذه النقطة بالنسبة إلى القائد الذي يتولى مسؤوليات كبيرة فاية لحظة غضب ستجعله عاجزاً عن الامساك بالامور، وقليل من الناس الذين يقدرون على كظم غيظهم في لحظات الاثارة والاستفزاز مما لا شك أن اقوى القوى تأثير على النفس هي القوى الغاضبة فقال الإمام علي عليه السلام واكظم الغيظ، وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب، واصفح مع الدولة، تكن لك العاقبة [٢] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: واصفا كظم الغيظ ما من جرعة يتجرعها العبد احب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه، أما بصبر وأما بحلم [٣]، فصل رسول الله صلى الله عليه وآله كظم الغيظ بحديث موجز فقال : من احب السبيل إلى الله عز وجل جرعتان : جرعة غيظ تردها

---

(١) درازة ، محمد عبد الله ، التحليل الفلسفي الأخلاقي للشخصيات الثائرة ،١/ ١٧٨؛

(٢) ينظر: محمد عبد ، الإمام علي عليه السلام / ١-٤ نهج البلاغة، ٦٩.

(٣) الكليني ، الكافي، ٢ / ١٠٩ .

بحلم، وجرعة مصيبة تردها بصبر ، كما أن النفس بطبيعتها تشتهي اظهار الغضب فاذا استطاع الشخص امساك مضاهرها دل ذلك على عزيمة راسخة بالنفس وقهر ارادة الشهوة وهذه من اكبر قوى الأخلاق الفاضلة وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾(ال عمران: ١٣٣ – ١٣٤) وقد بعثوا من قبل الله والله خالق الإنسان وبيده مفتاح سره قيادة الجيش، وفي ادارة دقة السياسة و يلزم أن نقرا بدقةٍ وعمق سيرة النبي ﷺ في مختلف المجالات، في الإسلام، وسيرته مع اعداء الدين، مع المشركين مع اهل الكتاب وسلوكه في بيته مع اسرته، وغيرها، ففي كل واحدة منها عبر ودروس لنا.[١]

أن السيرة العملية للنبي الله في الادارة والقيادة، ترشدنا إلى الكثير من التعاليم الحية في هذا المجال: انها بلغت القمة في دراسة النفس الإنسانية، وفي معرفة الطبيعة البشرية لقد ارسل الرسول ﷺ يا معاذ بن جبل إلى اليمن، لاجل دعوة الناس، وارشادهم إلى الدين، وتولي شؤون اليمن والقى على سمعه [٢]، هذه التعاليم التي تعد منهاج عمل لِكُل واحد منا – يقول : يسرْ ولا تعسرْ، بشرْ ولا تنفرْ، وصلَّ بهم صلاة اضعفهم ؛ فلا يمكن ادارة المجتمع وقيادته بالشدة والعنف، ولا بد أن نبشر الناس بالمزايا، والثمرات الدنيوية والاخروية للاسلام، وترغيبهم وكسب قلوبهم، حتى تعظم في قلوبهم الرغبة لهذا الدين، وعدم مواجهتهم باسلوب التخويف والترهيب؛ لأنه يؤدي لنفرة الناس وابتعادهم عن الدين ولا بد من مُراعاة اضعفهم حينا جماعة، ففي المؤمنين المصلين عليل ومريض، وفيهم من كان جديد عهد بالصلاة [٣]لا بد أن يعيش الحياة التي يعيشها اكثر الأفراد حرمانًا وفقرًا، وإلا فللفقير الحق في أن يثور، وينتفض بوجه هذه الحكومة ونهتم بشؤونهم ولكن الأن سوف يطمئن باننا صادقون اذن، فالقيادة والزعامة بنفسها تفرض هذه الحياة التي اعيشها.[٤] وبهذه الفكرة، وهي أن للقائد بعض الوظائف الخاصة به يظهر السر في

---

(١) ينظر: الخضري، نور اليقين، ص ٢٧،الغضبان المنهج الحركي،٢٦ ،الملاح الوسيط في السيرة، ١٢٤– ١٢٣– ١٢٧.

(٢) الألباني ، تخريج مشكلة الفقر ، الرقم : ٦٩ .

(٣) ينظر:خليف، سلطان احمد، القيادة الملهمة والمفاجاة الاستراتيجية، مجلة جامعة البصرة، المجلد ٧، العدد١٣ /٧–٩

(٤) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ١٣ / ١٤٢

اختلاف الائمة الطاهرين من حيث السلوك الخارجي؛ فالامام الصادقعليه السلام مثلا كان يلبس نوعا من الثياب يختلف عن النوع الذي كان الإمام عليعليه السلام بيلبسه، وهذا الاختلاف يثير السؤال عن السر في ذلك؟ والجواب ما ذكرناه لاختلاف طبيعة القيادة وظروفها: فإن لكل امام مكانة اجتماعية، ربما تختلف عن مكانة غيره، بالاضافة إلى اختلاف الظروف التي عاشها الائمة. [1]

المطلب الثاني

الشخصية الثورية في الإسلام وحفظ الدين

هناك كلام كثير بشأن الشخصية الثورية وحفظه للدين والمعتقدات وغالبا ما عبروا عن هذه المهمة بفحواه ولو افترضنا أن هناك بناية قد شيدت فإن الواجب قد يقضي بالحفاظ عليها من عاديات الزمن كأضرار الرياح والأمطار وسائر الأشياء الاخرى وقد قالوا في نقضه : أن بناء يشيده بناة عظام لا نظير لهم، لا يحتاج إلى حفظة بمستواهم ولكن الحقيقة أن وقوع الخلل في الدين لا يتم بمثل هذه الصورة البسيطة، وأن ما له مسار اخر، فبمقتضى اصل نفسي واجتماعي، يلاحظ أن النهضة والثورة – أي نهضة وثورة كانت – ما تلبث أن توقف تقدمها صوب جبهة اللحظة التي تحقق فيها التوفيق النصر والاستقرار وتطمئن إلى أن العدو يئس من النيل منها.[2]

والامور التي فعلها الثوري بعد الأنتماء إلى رسالته إنهُ حافظ على شكل رسالة الثورة وظاهرها بل منحها شكلية أكبر بعد أن سلبوا روحها وجوهرها وافرغوا من محتواها وحقبتها بحيث اضحت وجود شكلياً فارغاً وقول امير المؤمنين في وصف هذه الحالة يكفا فيه الإسلام كما يكفا الأنا [3] وبهذا الاسلوب يصار إلى حرف الثورة عن مسارها وقلب ماهيتها مع الابقاء على الصورة والناس لكون أكثرهم الغالب يقع بالظاهر ويرضى بالشكل وأن الاشعارات محفوظة في اعلى مستوى وأن الأصول من الضروري لهذه الحالات هو النضج والبصيرة التي تنفذ إلى العمق وأن مناهضة البدعة لا تقتصر على المعنى المألوف

(١) ابن سعد ابو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى ، ١/ ٢٠٠– ٢٠١.

(٢) ينظر:خوازم ، احمد المكي اخطب ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام :الخوارزمي،١/٥٥–٥٦–٥٧.

(٣) ينظر:نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام ، ١ / ١٩٨

المتحقق في إدخال ما ليس من الإصلاح في الإصلاح [١]ومما نريد تاكيده لا نخشى عن الدين مما ياتي عليه من الخارج بل بما يحيطه من الداخل والخطر الذي يهدد الثوري لا يقتصر على مفاسد المجتمع وفجوره التي يندفع اليها بباعث التخريب وغيره بل يمتد ليشمل حركة النفاق والقوى التي تخشى مواجهة الثوري علنا فيلبس قناع الثورة ويحقق اهدافه المشبوهة وينبغي الخوف من هؤلاء من ان خداع جماعة الثورة البسطاء بهم.[٢]

أن القوى والطاقات الفكرية لدى كل امة، حيث يمكن لها التعبير عن افكارها من جملة الثروات القيمة لتلك الامة ، أن الذهن القوي نظير الساعد القوي فإن الساعد القوي لا يعد منتجا ومثمراً بنفسه، فاي فائدة مثمرة لذلك الساعد القوي والعضلات المفتولة التي تحفر التراب، تم تنقله من موضع إلى أخر غير صالح ، والملاحظ أن بعض المجتمعات تبدد القدرات والكفاءات الذهنية – اشرف واعز الثروات البشرية في المسائل عديمة الفائدة، أو انها ضئيلة الفائدة. [٣]

فبالرغم من وجود الالاف من المسائل والمشاكل الشائكة والمعقدة سواء كانت نظرية أو عملية، والتي تطالب، وبالحاح بالحل ولكن هذه القوى والطاقات الفكرية تستنزفها[٤] معالجة بعض المسائل المكررة التي لو كانت تقبل الحل، فانها قد حلت الاف المرات ولكن المتعارف استخدام الكفاءات والطاقات الذهنية في المسائل نفسها[٥].

---

(١) ينظر:المحلاتي ، محسن ياسين ، رياحين الشريعة، ٣/ ٣٠٤،

(٢) طاووس، رضى الدين ، الطفوف،١/ ١٥٣.

(٣) عبد الكريم ، الحسن اياادي ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٤٦٩/٥.

(٤) ينظر: ابو الفضل ياسر الزيدي ، الامامي الشريف المرتضى علي بن حسين الموسوي العلوي، ٣٤٧/٢.

(٥) القرشي ، باقر شريف ، حياة الإمام الحسين عليه السلام ، ١/ ٣٠٢-٣٠٣.

الفصل الثاني

ميزات الشخصية الثورية الاصلاحية وقواعدها وتمظهراتها في القرآن الكريم

المبحث الأول : مميزات الشخصية الإصلاحية في القرآن الكريم

المبحث الثاني : القواعد التي تسند اليها الشخصية الثورية

المبحث الثالث: تمظهرات الإصلاح في الشخصية الثورية

الفصل الثاني

المميزات والقواعد الشخصية الثورية الإصلاحية وتمظهراتها في القرآن الكريم

توطئة

أن من أهم الخصائص التي يمتلكها القائد الثوري أو الشخصية الإصلاحية لابد أن تتمتع بالإخلاص الإلهي لإصلاح المجتمع الإسلامي وتعد مهمة، وقد اشار القرآن الكريم والكتب العقائدية إلى سمات وخصائص من المهم أن يتمتع الثائر بثروة كبيرة من الإصلاح وتحديد الرؤية الحقيقية لتغيير الظلم وتحقيق والعدالة والمساواة فقط لا غير ذلك بعيدا عن المصالح الذاتية أو القومية أو الحزبية.

ومن ميزات الشخصية الثورية إنها تزداد ثورةً كلما ازدادت الشوائب وكلما اسرع للقضاء على الفساد ازدادت الشخصية نقاءً وإخلاصا أن هذا الجوهر(الإخلاص) هو الذي حفظها، أن إخلاص الشخصية الثورية يعد جزءا لا يتجزأ من دعم واستمرار الثورة، وأن حقيقة الإصلاح للشخصية الثورية مستمدة من الإيمان المطلق والعقيدة الخالصة فالفكرة الإصلاحية للشخصية الثورية هي دعوة وتأسيس لضرورة تقويم وتعديل الاعوجاج في حياة الأمم.

المبحث الأول

ميزات الشخصية الإصلاحية في القرآن الكريم

أن مقومات القيادة الملهمة للثورات تكون عن طريق هذه الشخصية الثورية الإصلاحية وبما تمتلكه من المهارات التي تمكنها من إثارة الدوافع العقائدية للدفاع عن المظلومين وقيم الأفراد لتحقيق الفاعلية والكفاءة في أدائهم ويكاد، يكون هذا الاداء مذهل، ويمكن القادة من امتلاك سمات شخصية ومهارات تمكنهم من إثارة دوافع وقيم الأفراد لتحقيق الفاعلية والكفاءة في إدائهم، ويكاد أن يكون هذا الاداء مذهل وخارق في ظل تأثير القيادة الملهمة على وجدان وعقول وسلوك الاتباع، وهذا ما حققه اتباع الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف، فقدموا اقصى درجات التضحية بأنفسهم من اجل المبادئ والقيم التي تبنها الإمام [١].

وتعتبر الشخصية الثورية القدوة فإن اعظم القادة الذين يتاسى بهم هم رسل الله، اكمل الخلق ايمانا وعلما وعملا، وهم هداة الناس إلى كل خير، وقادة الأمم إلى ما فيه صلاحهم، ولقد اكثر القرآن من ذكر صفات هؤلاء الرسل، وذكر أخلاقهم وسجاياهم وأعمالهم وصبرهم، واكد القرآن على أن جاذبية هؤلاء الرسل لا تنبعث من مغريات مادية وليست لهم خزائن الأرض[٢].

وعرض القرآن صفاتهم وجردهم من كل تلك المغريات، وواجه الأمم في ذلك، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هود: ٣١

ويشير الطباطبائي في تفسير الميزان : أنه لا يدعي ما ليس له من خزشئن الله ؛ وهي إنعامه على من يشاء من عباده ؛ وأنه لا يعلم الغيب ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله – عز وجل – .

والدلالة على أن الملائكة أفضل من الأنبياء ؛ لدوامهم على الطاعة ، واتصال عباداتهم إلى يوم القيامة – صلوات الله عليهم أجمعين – ..ولا أقول للذين تزدري أعينكم أي تستثقل وتحتقر أعينكم ؛ والأصل تزدريهم حذفت الهاء والميم لطول الاسم . والدال مبدلة من تاء ؛ لأن الأصل في تزدري تزتري ؛ ولكن التاء تبدل بعد

---

[١] القرشي، باقر شريف، ، حياة الامام الحسين بن علي عليهما السلام، ،ص ٢٠

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢١ .

الزاي دالا ؛ لأن الزاي مجهورة والتاء مهموسة ، فأبدل من التاء حرف مجهور من مخرجها لن يؤتيهم الله خيرا أي ليس لاحتقاركم لهم تبطل أجورهم ، أو ينقص ثوابهم .[١] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ الفرقان :٧ ويذكر الشيرازي

ما هذا النّبي الذي يحتاج إلى الغذاء كغيره من الأفراد العاديين؟ ويمشي في الأسواق من أجل الكسب والتجارة وشراء احتياجاته؟ وفي الوقت الذي يريد هذا الرّسول التبليغ بالدعوة الإلهية ويريد أيضاً السلطنة على الجميع ثمّ أضافوا : {لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً} ، فلِمَ لم يُرسل إليه . على الأقل . ملك من عند الله ، شاهد على صدق دعوته ، وينذر معه الناس، كما أنّنا وافقنا على أن رسول الله يمكن أن يكون إنساناً ، ولكن لماذا يكون فقيراً فاقداً للثروة والمال !؟ {أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها} . [٢]

---

[١] الطباطبائي، تفسير الميزان ، ١٠/١٥٦-١٦٧.

(٢) ناصرمكارم الشيرازي ،الامثل ، ٩ / ١٦٢-١٧١ .

المطلب الاول

مميزات الشخصية الإصلاحية

١.الشخصية الإصلاحية واكتساب المهارات القيادية

لابد للمجتمعات البشرية من قيادة تنظم شؤونها وتقيم العدل بينها، ولقد أمر النبي بتعيين القائد في اقل التجمعات البشرية ويرتكز على محددات للشخصية الإصلاحية على التأني أو التسرع في اتخاذ القرار، ولكن ينبغي أن تكون النتائج واضحة له، ومع ذلك تبدو عملية اتخاذ القرار على درجة من التعقيد وربما الخطورة[١].

وقال الله عز وجل: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأرض إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٥) ويذكر الطباطبائي وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون[٢]، فإن العمل الميداني المباشر يصقل شخصيته القيادية، ويمنحه فرصا اضافية للتفرد واثبات الوجود، بعد النجاح في ادارة المهمة القيادية بنجاح وتفرد تثبته النتائج البناءة[٣].

٢.الثقة المطلقة للشخصية الثورية

أن جاذبية الشخصية الإصلاحية القيادية تتمحور حول اخلاقهِ واعمالهُ وارتباطهُ بالله سبحانه وتعالى، لا يريد جزاء ولا شكورا، لا يجمع الاتباع بالمغريات المادية أو بالمناصب يوزعها عليهم وربما يستحدث مناصب وهمية ليرضيهم ولا تكون بالمداهنة ومحاولة استمالة الجموع وستر اخطائها واخفاء اغلاطها، وتجاهل مواضع ضعفها، فهذه قيادة مزيفة لا تستطيع أن تخفي عوارها

---

(١) ينظر:جاسم، عماد ،اهداف ثورة الإمام الحسين،بحث ٣/١.

[٢]الطباطبائي، تفسير الميزان ، ١١ / ١٨٥

[٣] ينظر:السند ، محمد ،الحسين الاصالة والتجديد،١٩/١.

طويلا، وسرعان ما تنفض الجموع من حولها[١] ، وتأكيدا على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧) ويذكر الزمخشري وسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين ؛ وجعله لهم حقا ، فضلا وكرما . وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكا ولا ريبا وكيف والقائل هو الله القوي العزيز الجبار المتكبر ، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير يقولها سبحانه معبرة عن إرادته التي لا ترد ، وسنته التي لا تتخلف ، وناموسه الذي يحكم الوجود [٢].

أن معرفة الحق وعمل الخير، ولون من الفطنة تنتهي إلى الراي السديد، وهو ما يغلب به القائد هواه، ويتخلص من المباغتات الطارئة، والتدبير للمواقف الشديدة وهو أصل منبع الإصلاح للشخصية الثورية[٣]، إنما أراد الله عز وجل أن يتم الاقتداء بالأنبياء والرسل وأن يبطل حجة المعاندين المراوغين عن الحق، وبسبب هذه الأسوة وهذا النموذج فقد كملت شمائل هؤلاء الرسل[٤]، ومن اعظم انواع الشجاعة أن تجابه الجموع إذا كنت تعتقد انك على الحق، ولقد جابه موسى –عليه السلام– فرعون وقومه ودولته وهو وحيد ليس معه إلا اخاه هارون عليه السلام وجابه الرسول ﷺ قومه وهو وحيد فريد في قلة قليلة، أن قرارا شجاعاً في اللحظات الحرجة قد ينقذ الموقف.[٥]

٣.القيادة الإصلاحية في القرآن الكريم

يعرض القرآن الكريم نموذجا بديعا وهذه النماذج تفاعلية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويصور فيه القرآن الكريم مؤسسة الأرض الحاكم فيها ثم يرسم القرآن الكريم العلاقة بين الأطراف جميعها مع تحديد أدوارها بدقة وخاصة القيادة الإصلاحية، ويبدا القرآن الكريم بتحديد علاقات الحاكمية بالقيادة التنفيذية وهي التمكين.

---

[١] ينظر:ابن عاشور، محمد الطاهر،تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،٣/ ٤٥.

[٢] الزمخشري ، التفسير ، ج ٢ / ١٨٠

(٣) ابن القيم ، رسالة التقليد، ٢/٢٢.

(٤) ينظر: د. عدنان محمد زرزور، نحو عقيدة اسلامية فاعلة ،١٠.

(٥) ينظر:محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ١ / ٤١ – ٤٢.

كقوله تعالى ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأرض وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ الكهف: ٨٤ والتمكين توطيد الملك وتحديد معالمه وإخضاع الأسباب وإعطاء القيادة المقدرة على التصرف [١]، ويتحقق من هذا مصلحتان هما: التأكد من فهم القيادة المصلحة للغرض الذي جاءت من أجله والتأكد من عدل القيادة المصلحة عند التطبيق ليكون القرار في قمة الشفافية لا يخضع لأهواء .

أن اختبار القادة قبل الشروع في تنفيذ مصلحة المجتمع والرقابة المستمرة على اداء القيادات المصلحة ذات التأثير المباشر للتأكد من سير العمل وفق المنهج الموضوع وضمان شفافية وعدل القرارات المتخذة من جانبهم ؛ وثم ينتقل بنا القرآن إلى جانب اخر وهو سمات وسلوك ومهارات الشخصية المصلحة ولم يكتف القرآن بتحديد العلم فقط بوصفه صفة قيادة و لكنه أتبعه بضرورة العمل بهذا العلم و الأخذ بأسبابه فقال الأخذ بأسباب العلم[٢]

كما أن القيادة وفق منهج واضح المعالم قائم علي نظرية الثواب و العقاب و لا يترك الناس لهواهم فالمرجعية هي اساس مرتكزات الشخصية الإصلاحية لتحقيق التوجه الإصلاحي كقوله تعالى: ﴿ يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ الكهف: ٨٦ .

فالعدل الذي تتمتع بها الشخصية الإصلاحية فالحكم بين الناس بالعدل مبدا يكفل راحة و طمانينة الرعية وكقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٦-٨٨ .

من اساسيات سمات الشخصية الإصلاحية الضرورية ، هو التحفيز الدائم لتحقيق العمل الجاد والثورات التي ترفع الظلم عن الابرياء كقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾

(١) ينظر: عدنان محمد زرزور، نحو عقيدة اسلامية فاعلة ، ١١-١٥.

(٢) ينظر: د. سعد بن مطر العتيبي الاستدلال بالمصالح المرسلة، ص ١

الكهف:٨٦ ، ومن خصائص الشخصية الإصلاحية تحفيز المجتمعات لاجادة العمل ليكون حافزا و الصلاح و قد يكون ايضا بتذكيره بمردود هذا العمل عليه في الدنيا أو الاخرة .[١]

ومن الادوار الهامة والتي تعد جزءاً من سمات الشخصية الإصلاحية التي تحقق ديناميكية الحركة كقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ الكهف:٨٦ وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ الكهف: ٩٠ ،ومن مميزات الشخصية الإصلاحية ايضا التواصل المستمر وبيان عدله والتزامه بالمنهج العقائدي والالهي كقوله تعالى:﴿ قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ الكهف :٨٧ وتحقيق اعلى تواصل للشخصية الإصلاحية كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرض فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف: ٩٤-٩٥ .

ويرسم احمد الوائلي بقوله : أن الثورات والتاريخ يصنع على يد اصحاب النهضة الالهي وليس الذين يتعاملون وفق سياسات خاصة لكن وفق مبادئ سامية بعيدة عن النوازع الشخصية[٢] ومن الصفات الأخلاقية في الشخصية الإصلاحية عندما يعرض عليه رعيته مكسبا دنيويا مقابل القيام بعمل لهم فيرفض رفضا قاطعا و يفضل ثواب الله عليه واكد في ذلك قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرض فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف: ٩-٩٥ ومن الصفات المستنبطة من هذا الموقف الرائع فلا يحق للشخصية الإصلاحية اخذ اجر علي عمل مكلف به إلا ممن كلفه بالعمل فلا يقبل هدية أو عطية بسبب منصبه أو ما مكنه الله له[٣]، والاحساس بالمسؤولية لتحقيق مصالح المجتمع دون التكسب من وراء ذلك، وخصائص

---

(١) الخطيب ، عبد الكريم ، الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين ١/ ٢٦٤.

(٢) ينظر: الوائلي، احمد، سلسلة محاضرات ﴿ فَوَقَعَ الْحَق وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الاعراف: ١١٨، ١٧

(٣) ينظر:جان جاك شوفالية ، تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية ١/ ٢٦٣.

الشخصية الإصلاحية تمتعه بالطهارة والعفة وهذا ما بينه الله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف:٩٥.

المطب الثاني

استخدام إرادة الشخصية الثورية الاصلاحية في التعمير والإصلاح.

أن تحقق أهداف الشخصية الإصلاحية المرسومة هو استخدام القوة في تعمير الأرض والإصلاح المجتمعي ولان الهدف من الوجود هو عبادة الله وتوحيده عز وجل كان الواجب بيان ذلك للناس كلهم فمن اصر بعد ذلك على كفره وعناده وجب استبعاده من الأرض كلها بالقتل، وتعمير الأرض وإصلاحها هو جزء من الواجبات المسؤول عنها المصلح ولقد جاء في اكثر من اية تعزيز القيام بالعُمران وعمارة الأرض، كقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً ﴾ البقرة:٣٠، وقد قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: "والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة "(١)، والمراد به ادم عليه الصلاة والسلام، لانه كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم"(٢) ، وقال ابن عاشور مؤكدا معنى العمارة: "فَالْخَلِيفَةُ ادَمُ وَخَلَفِيتُهُ قِيَامُهُ بِتَنْفِيذِ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى مِنْ تَعْمِيرِ الأرض بِالْإِلْهَامِ أو بِالْوَحْيِ وَتَلْقِينِ ذُرِيتِهِ مُرَادَ اللهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الأرضي "(٣).

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود:٦١، قال الطبري مؤكدا على معنى العمارة في الآية: **﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾** يقول: "وجعلكم عُم ارًا فيها، فكان المعنى فيه: اسكنكم فيها ايام حياتكم"(٤)، وقال الشيخ احمد الوائلي بان قول الله تعالى:﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر، أو اقدركم على عمارتها وامركم بها، وقيل هو من العمري

(١)الطبري، محمد بن جرير ، ٣٦٨/١٥.

(٢) ينظر:الاصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة ،٨٢.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ٣٩٩/١.

(٤) ينظر: رمضان، يحيى، بحث: "القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة ٢/ ٢٨٨

بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم"[١]،وفي هذه الآية المركزية في نشوء مفهوم العُمران ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود:٦١، نتبين ثلاثةَ مكونات اساسية:

فعل العُمران أو الاستعمار والمقصود بهذا الفعل الإنسان بصيغة الجمع وفضاء هذا الفعل الأرض بما تحويه وما يعلوها[٢] ولقد حث النبي ﷺ ابلغ الحث على بذل الجهد واستفراغ الوسع في اعمار الأرض حتى في احلك الظروف، فعن انس عنه قال: قال رسول اللهﷺ: "أن قَامَتِ الس اعَةُ وَبِيَدِ احَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فإن اسْتَطَاعَ أن لَا يَقُومَ حَتى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"[٣] ، فاسُس العُمران البشري والحضاري في القرآن الكريم هي: الإنسان، والمكان الأرض، والرسالة السماوية، ونقرا ذلك في دعاء نبي الله ابراهيم عليه السلام لما قال:﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ابراهيم:٣٧.

وأن مثال الله عز وجل في القرآن عن النبي ابراهيمعليه السلامحين اسكنه اهلَه وابنَه اسماعيل بوادي بجوار الكعبة ثم دعا ربه أن يهيئَ لذريته ما يعينهم على القيام بعبادة الله تعالى، من امْنٍ بجوار البيت الحرام، وتعارُف ومحبة بينهم وبين الوافِدين عليْهم مستقبلا، وأن يرزُقَهم من الثمرات ما يحقق حاجتهم، وبذلك وضع ابراهيم عليه السلام الاسُس المادية والروحية للعمران البشري، ووضع تخطيطًا مستقبلي العُمران أمة مسلمة ذات رسالة حضارية متميزة [٤]، والعُمران الحضاري مقصد عام من مقاصد استخلاف الإنسان في الأرض، فقد استخلف الله الإنسان في الأرض واستعْمره فيها؛ لغاية كبرى هي تحقيق العبودية لله تعالى ، واقامة العدْل والإصلاح في الأرض، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿هُوَ انشَاكُم منَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُم تُوبُوا الَيْهِ أن رَبي قَرِيبٌ مجِيبٌ﴾ سورة هود: ٦١، ومعنى **وَاسْتَعْمَرَكُمْ** في الآية: أي جعلكم عمارها، أو طلب منكم أن

---

(١) ينظر:الوائلي ، احمد ، النظريات الثورية وارتباطها بالوجودية ، ١/ ٢٣٦

(٢) ينظر:البوزي، محمد، "التقوى والعمران الحضاري في القرآن" بحث منشور، ٢٣٤

(٣) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ١/١٢٤.

(٤) ينظر:رمضان، يحيى، "القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة"، بحث منشور في الملتقى الفكري للابداع،٢٣

تعمروها، بصيغة الجمع مما يلفت الانتباه إلى علاقة الإنسان بمن يقوم معه بمهمة الاستعمار، وهي كقوله تعالى: ﴿ ثُم جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأرض مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ سورة يونس:١٤، قال يحيى رمضان: "وَقَدْ عَلَلَ هَذَا الِاسْتِخْلَافَ عِنْدَ الْاخْبَارِ الْاو لِ بِهِ هُنَا بِقَوْلِهِ: ﴿ **نَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ أي لِنَرَى وَنُشاهِدَ أي عَمَلٍ تَعْمَلُونَ فِي خِلَافَتِكُمْ، فَنُجَازِيَكُمْ بِهِ بِمُقْتَضَى سُنتِنَا فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، فإن هَذِهِ الْخِلَافَةَ انمَا جَعَلَهَا لَكُمْ لِاقَامَةِ الْحَق وَالْعَدْلِ فِي الأرض وَتَطْهِيرِهَا مِنْ رِجْسِ الشرْكِ وَالْفِسْقِ، لَا لِمُجَرِدِ التمَتعِ بِلَذةِ الْمُلْكِ"[١] والعمران الحقيقي في الأرض لا بد تحقيقها وفق ما جاء في القرآن، فالعُمران "بالمفهوم القراني الاستخلافُ والتسخير[٢].

كما أن شروط الاستخلاف للشخصية الإصلاحية أي المصلحة التي تعمر الأرض فإن الإسلام يجدها فقها راقيا بالمعنى والمفهوم[٣] ،فإن الاعمار له مستويات في الأديان السماوية فالمصلح يجد نفسه أمام اختيارت ومستويات ذات استدلالات في غاية التعقيد لتجعله يحقق الأهداف الإلهية وهي الاسمى التي اقتدى بها النبي عيسى عليه السلام

وبين الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم:٣٣.

ان " الإنسان هو الكائن الوحيد في الكون القادر على الاعمار والإصلاح في الأرض وتزكية ايمانه يعتمد على كل شيء وتعزيز روح التضحية في النفس الإنسانية حتى تسمو إلى عوالم الايثار"[٤]، وقال سبحانه وتعالى أن هذا الاعمار لا يعدله حتى اعمار افضل بيت من بيوت الله في الأرض؛ قال الله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة التوبة: ١٩؛ فالاعمار المعنوي للنفوس هو الأساس الذي ينبني عليه اعمار الأرض، ولا يمكن أن نؤسس

---

(١) ينظر:عبد الستار ال محسن، قبسات من الصدر، ١/ ٤-٥.

(٢) الصدر، محمد محمد صادق ، اضواء على ثورة الحسين، ب ت ،٦

(٣) محمود بن محمد سفر ، الإصلاح رهان حضاري ، ١/ ٢٦ .

(٤) مطهري ، مرتضى ، الحركة الإصلاحية من الحسين إلى المهدي ، ١ / ٢٤١

لحضارة انسانية وارفة الظلال إلا باعمار وتزكية الجانب الخلقي والإنساني فيها، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرض فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأرض وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الروم: ٩.

وإذا كانت غاية استخلاف الإنسان في الأرض هي عبادةَ الله تعالى وتعمير الأرض واصلاحها، فالتعمير والعُمران لا يكون إلا وفق الشرع الحكيم والهداية الربانية[١]، وهو مُحْتوى الإيمان والعمل الصالح اللذيْن جعلهما الله شرْطًا للتمكين والاستِخْلاف في الأرض؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: ٥٥، ليستخلفن هم في الأرض ليجعلن هم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، كما استخلف داود وسليمان عليهما السلام على الأرض، والآيات تدل على أن طاعة الله بالأيمان به، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة، فلا عمران اذن من دون ايمان وعبادة[٢].

ولا بد من الاستمرار على الحق والايمان والعمل الصالح حتى ياتي النصر ويتم الاستخلاف والتمكين، أما الامن فلا يكون إلا بعد خوف وأن كثيرين ليسوا متحققين بشروط الاستخلاف، ومن ثم نرى أن النصر يبطئ على حملة دعوة الله، والرجاء من اهل الإسلام أن يتحققوا ويستمروا.[٣]

أن العمران الحضاري إذا قام على الحق وعلى التقْوى والصلاح ، ويَحيا به اهلُه ومجتمعه حياة طيبة، وإذا قام على الشرْك والظلم والطغيان دم ره الله كعُمران اقوامِ هود وصالح وفرعون

---

(١) ينظر:عباس الزيدي المياحي، السفير الخامس، استعراض لحياة ومرجعية الإمام الصدر والعلاقة بين الحوزة و الجماهير، ١/ ٥٢.

(٢) عادل رؤوف، محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان مشروعه التغييري ٧٥/١.

(٣) المصدر السابق ، محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان مشروعه التغييري ،ص ٣٣

وامثالهم، ومن اجمل ما صوره الله تعالى لنا في القرآن قصة قوم سبا، حينما استجاب اهلها لدعوة التوحيد، واقلعوا عن عبادة الشمس، كانت لهم حضارة وعُمران وازدهار في اليمن.[١]

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سبأ:١٥، ولكنهم لما اعرضوا وعادوا إلى عبادة الشمس، ولم يشكروا الله عز وجل، انقلبت النعمة إلى نقمة، وضاعت حضارتهم، ودُمر عمرانهم، وارسل الله عليهم سيل العَرِم:﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ سبا:١-١٧ فمزقهم الله حتى اصبحوا حكايات واحاديث، وضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِم المثَلَ فِي الفُرْقة فقالوا: "ذَهَبُوا ايْدِي سَبَا" أي مُتَفَرقين، قال الله تعالى: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ سبا:١٩.

أن القرآن ينبه المكذبين برسالة نبينا محمد ﷺ ويدْعوهم إلى النظر والاعتِبار بعاقبة سلفهم في الكفر وتكْذيب الرسل، الذين لم تنفعهم قوتُهم ولم ينفعهم عمرانُهم ولا ما بنَوْه من قصور ومصانع، أن ما يميز الشخصية الثورية هي الصلاح لكافة جوانب المجتمع والاقتداء بعبرة الأقوام الماضية والهالكة بسبب كفرهم ومفاسدهم ، قال الله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ الدخان :٢٥-٢٩.

وبناءاً على رأي العلماء على آيات الاستِخْلاف: أن عُمران الأرض مأمور به شرعًا، وأنه من مقاصِد الشريعة الكُبْرى؛ بل هو الغاية من الكثير من مقاصدها الاخرى، التي تحفظ المسيرة الإنسانية من الضياع على كلا الجانبين الأخلاقي والمادي[٢]، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف: ٩٨ .

ويشير الشيخ احمد الوائلي إلى أن الشخصية الإصلاحية لابد أن يكون المصلح داعياً ومؤثراً في المبدأ والنظرية وأن يرتكز على سمة التضحية والإخلاص دون اجر أو ثواب .

---

(١) القرطبي التذكرة، ٦١٣.

(٢) ينظر : مجموعة من العلماء – بحوث مؤتمر الإصلاح الإجتماعي ، ٩٣.

وأعتقد بان نموذج الشخصية الإصلاحية نموذج فريد حتى في المنظور الإسلامي والقرآن الكريم لأن القوالب الخاصة بالشخصية والقيادة لابد أن تكون ضمن النص وفق الأسس الإلهية والذي يتحقق وفق مبدا الإرادة المبنية على المعرفة الوجودية والذاتية والدليل على القيادة الإصلاحية الذي يخضع ضمن منظور المعرفة العقلانية والرؤية ذات القيم الفكرية الموضوعية ، اضافة إلى أن الثورة ليست مختصرة فقط على اصلاح المجتمعات بل الثورة شاملة خصوصاً لأصحاب أولي الألباب اقوى الثورات الإصلاحية النفسية لتهيئة الإنسان نحو إصلاح المجتمعات، فإن الله سبحانه وتعالى يعطي العبرة من خلال امثله وقصص القرآن الكريم التي قصها بغية اخذ الاعتبار منها لأن غضب الله سريع الانتقام ومقتدر على نصرة اتباع الله تعالى والسؤال الذي لابد طرحه إذ كان الشخصية الإصلاحية اختيارية وليست مكتسبة ما هو الدليل على ذلك ، والإجابة على ذلك تكمن في قول الله تعالى : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه: ١١٤

وهنا جاء قوله لتأكيد على رأينا﴿ أن يُقْضَىٰ اَلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ويريد الله سبحانه وتعالى أن قدرته واسعة على دعم ومساندة أصحاب النهضات والإصلاح الثورية المتمسكين بعروته الوثقى وثم يقول عز وجل: ﴿ وَقُل رب زِدْنِي عِلْمًا﴾ تأكيدا على مساندته وانه سيقف من أولئك الذين يجاهدون في سبيل أعلاء كلمته ودحض الكافرين والمنافقين.[1]

[1] - وانظر كتاب المهدي عند أهل السنة ١/ ١٩٧

المبحث الثاني

مظاهر الإصلاح في الشخصية الثورية

توطئة

القرآن العظيم هو دستور الخالق لإصلاح المخلوقين من البشر، وقانون السماء لهداية أهل الأرض، من حيث أمور دينه ودنياه، وهو برهان الرسالة وهو مصدر التشريع الإسلامي يستند إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه حيدوا عن سننه وشرائعه.

فالقرآن الكريم لم يتخذ لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده غير ما هو مفهوم من لغة العرب وأصول محاوراتهم بلسان عربي مبين، ليدبروا آياته ويفهموا معانيه، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني لما فيه من نصوص مكتنزة بالمعاني، أشارت في طيها إلى جملة من الأحكام التي يمكن أن يستنبط منها الفقهاء الكثير من الأحكام الشرعية، وكذلك نجد في القصة القرآنية الكثير من الدروس والعبر لما انمازت به من واقعية وأنبأتنا عن الأحداث التي جرت على الأمم السابقة بكل صدق وحقيقة، كي تكون عبرة لأصحاب العقول، وكذا تثبيتا لفؤاد النبي(ﷺ)، وما أجرى الله عز وجل من سننه في الأقوام السابقة وإعلاماً بالغيب الماضي. وفي القصص القرآني ترى تدبيراً عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً بين الحدث والشخصية ، فالأشخاص في القرآن أيّاً كانوا ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم ، وإنما يكونون نماذج بشرية في مجال الحياة الخيّرة والشريرة في صراعها مع الخير والشر ، وينظر إليهما بإعتبار الدور الذي تؤديه كشاهد من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها ، وفي استقامتها أو أغراضها في أهدافها أو ضلالها.

المطلب الاول

مظاهر الإصلاح للشخصية الثورية

أن الاسباب المكونة لتمظهرات الإصلاح تعود إلى الإختيار الرباني للشخصية الثورية من المعلوم أن لكل مُسبب سببا، ولكل نتيجة مقدمة، [1] وكذلك الحال بالنسبة إلى الصلاح أو الفساد، وقبل أن نعرض لمظاهر الإصلاح أو الافساد يتعين علينا اولا تبيين الطريقة التي تناول بها القرآن الكريم مسألة الإصلاح، ولا يكون ذلك إلا بتقصي الاسباب المفضية إلى كل من الصلاح والفساد. وقد افضى استقراؤنا لمادة "صلح" و "فسد" في القرآن الكريم إلى التمييز بين مستويين:

- **المستوى الاقتراني**

الذي يربط الإصلاح المطلوب بامور عدة يقترن بها، مثل: التوبة كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الانعام: ٥٤)،

وقوله وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (سورة البقرة:١٥٩) والارادة الصادقة

- **مستوى الإرادة الصادقة**

فالفكرة الإصلاحية من حيث الجوهر ((بوصفه تاريخ المغامرة الحية للجبر والاختيار، أو الارادة الحرة والقدر الغائب في مشاريع المستقبل والإصلاح في جوهره هو بحث عن الاعتدال الامثل من هنا نفوره من "الاعوجاج" وبحثه عن الأصول المثلى والمثل المتسامية، أي كل ما يمكنه تجاوز "الواقع السيئ" وتذليل مختلف اشكاله والوانه)) [2]، من هنا احتواء الفكرة الإصلاحية

---

[1] القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ٣٥٦٣/٢.

[2] الصدر ، محمد صادق ، اطروحة الارادة ،١١/. ٢٤.

دوما على معنى النقد والتعديل لمجرى الحياة والتفكير والعقائد بما يتطابق مع الحق والحقيقة [١]وذلك لأن معنى الأصول والمثل المتسامية يتطابق مع معاني النفي الضروري لاشكالها الجامدة والقاتلة للعقل والضمير [٢]الأمر الذي جعل من الفكرة الإصلاحية على الدوام تتضمن نقدًا ونفيًا للنزعة التقليدية السائدة واليابسة، التي تعادل معنى التحنيط والتمويت البطيء للحياة نفسها، وضمن هذا السياق يكون الإصلاح جزءًا ملازما للوجود، بوصفه حركة التجديد الدائم، أي الحالة الطبيعية للصيرورة التاريخية في حياة الأمم، كما لو إنهُ يعبر عن الدورة الابدية للوجود والعدم [٣]، أي لدراما الولادة والموت، وفي هذا تكمن "دورته" الخالدة، كما لو إنهُ يمثل حقائق الوجود الكبرى عبر تمثلها واعادة صياغتها بمرجعيات عامة، لعل اكثرها ما تميز الفكرة الإصلاحية الدينية، فإن الفكرة الإصلاحية الدنيوية عادة ما تتحدد بمرجعيات مستقبلية وسبب التباين والاختلاف يكمن في أن الأولى محكومة بفكرة الأصول الأولى ومبدا الرجوع اليها بوصفها اعمدة اليقين العاصمة من امكانية الشطط والغلط، بينما الثانية محكومة بفكرة التجريب والاحتمال العقلي [٤].

وليس هذا التنوع العام في الواقع سوى الصيغة الظاهرية والمتنوعة لثنائية الإصلاح والثورة، والإصلاح والتجديد، كما انها تحتوي على قدر الخلاف الكامن في كمية ونوعية الراديكالية الذائبة في فكرة الثورة والتجديد، فاذا كانت الصيغة الدينية هي الاكثر تاثيرا وفعالية في تاريخ الإصلاح، فإن السبب الجوهري يكمن في سيادة وفعالية الوعي أي التي تتخذ هيئة الهيبة المتسامية سواء في "نص مقدس" أو "انسان مؤله" [٥]بمعنى انها الصيغة التي كانت وما تزال وسوف تبقى ما لم يجر الانتقال النوعي للوعي الإجتماعي النظري والعملي إلى مصاف ما ادعوه بالمرحلة السياسية – الاقتصادية في حياة الأمم، أي المرحلة التي تنفي في ظهورها واستتبابها المراحل الثلاث الكبرى السابقة للتطور التاريخي وهي المرحلة العرقية – الثقافية، والمرحلة الثقافية – الدينية،

---

(١)ينظر : بن عدي ،يحيى .تهذيب الأخلاق دون طبعة، ص٤٧ .

(٢)ينظر : بوحناش . نورة . الأخلاق والرهانات الإنسانية، ٣٣٥/١ .

(٣) الكعبي، عبد الزهرة، قتيل العبرة– مقتل الإمام الحسين ١/ ٣٥٢.

(٤) ينظر : الجد، حيدر، القيادة الاستراتيجية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، العقيدة، العدد التاسع/ ٢٥٦

(٥) ينظر : خليف، سلطان احمد ،القيادة الملهمة والمفاجاة الاستراتيجية، المجلد ٧، العدد١٣، ٢٤

والمرحلة الدينية – السياسية. [١]فهو التطور والتحول النوعي الذي يكفل للعقل النظري والعملي التحرر من ثقل الماضي ومرجعياته، ومن ثم النظر إلى المستقبل بمعايير المستقبل، أي التحرر من اشكالية الماضي والمستقبل، بوصفها اشكالية متناقضة وعصية على الحل، صوب توليفهما الديناميكي في فكرة الاحتمال العقلاني والبدائل الإنسانية. [٢]

غير أن هذا لا يغير من حقيقة الفكرة الإصلاحية بوصفها فكرة التأسيس الدائم لحقوق العقل النظري والعملي في البحث عن حلول واقعية وعقلانية وانسانية للمشاكل والاشكاليات التي تواجهها الأمم، الأمر الذي جعل من تاريخ الفكرة الإصلاحية على الدوام جزءًا من تجارب الكل الإنساني من جهة، وحلقات ومستويات ونماذج في التجارب الإنسانية الحرة، من جهة أخرى، والمقصود بذلك التجارب التي تدرك قيمة الحرية بوصفها تجربة لا يقيدها شيء غير ادراك قيمة الاحتمال والامكان العقلية المجردة وما عدا ذلك فهو مجرد نصوص تاريخية و"نصوص" مجردة، بغض النظر عن دعاوي مصادرها. [٣]

إذ لا مصدر فعليًا للنصوص ايا كانت، ومهما اطلق عليه من صفات ألقاب، غير تجارب الأفراد والجماعات والامم بمعنى انها نصوص زمنية، لا يجعل منها نصوصا تاريخية غير ما فيها من استعداد للتحقق فقط، وليس للتجسد والتنفيذ و"بلوغ المرام" فهذه تجارب اضافية أو جانبية على هامش تجارب التحقيق الفعلي للمفاهيم والقيم الحية ذلك يعني أن حد وحقيقة الإصلاحية يقومان في تاسيس فكرة الاعتدال العقلي، بوصفها تجربة الحرية المتسامية، ومن ثم غير المتناهية بالنسبة لترميم هوية الوجود الإنساني في مجرى الصيرورة الابدية للكون والفساد (الوجود والعدم) وما عداه هو اصلاح مزيف أو اصلاح جزئي[٤].

ولا يخلو تاريخ الإصلاحية الدينية من هذا التنوع الفعال إذ تكشف تجارب الأمم والاديان عن صيغ متنوعة للإصلاح الحقيقي والإصلاح الزائف، الإصلاح الجزئي والإصلاح الشامل. ومن

---

(١) ينظر:محمد عثمان الخشت ، المقاصد الحسنة ١/ ٢٢٧ .

(٢) ينظر:الطباطبائي ، الأخلاق الإسلامية والسياسة ، ١/ ٢٢٣.

(٣) ينظر:الموسوي، ميمونة احمد، تأثير القيادة الملهمة في الولاء التنظيمي، المجلد٩،العدد٣٥/ ١٦ .

(٤).ينظر: الحنبلي، ابن العماد ،شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ١/ ١٦٦.

الممكن الاكتفاء هنا باستعراض فلسفي مكثف للتجارب الإصلاحية الإسلامية، دون الخوض بمقارنات تاريخية وفكرية بينها وبين تجارب الاصلاحيات الدينية الاخرى(**النصرانية بشكل خاص**)[١] لثلاثة اعتبارات الأول وهو ارتباط البحث بتجربة الإصلاحية الإسلامية الحديثة، والثاني لملئ الفراغ الكبير في الدراسات العلمية والفلسفية المتخصصة، والثالث لكثرة وتنوع الدراسات المتخصصة بتاريخ وافكار وشخصيات الإصلاحية الدينية النصرانية،فمن حيث وسائلها واساليبها وغاياتها تشترك النماذج الإصلاحية الدينية باربع صفات كبرى وهي: [٢]

أ.وجود نص مقدس ومرجعيات عقائدية ملزمة.

ب.هيمنة التأويل في الموقف من هذه النصوص والعقائد.

ج.الرجوع إلى نموذج ماض بوصفه نموذجًا مثاليا.

د.انتشار مبادئ وقواعد نظرية وعملية يجري اختزالها بمفاهيم الرجوع والتطهير والتعديل والتصحيح، وعادة ما تدور هذه المفاهيم وتتجسد بالدعوة للرجوع إلى الأصول، وتطهير الوعي والسلوك العملي مما لصق بها من حراشف وتحريف، ومن ثم تعديلها بارجاعها إلى حقيقتها الاولية، واخيرا تصحيح الأخلاق والقيم[٣].

أما من حيث مقوماتها وشروط عملها، فإن الاصلاحيات الدينية تشترك ايضا باربع حقائق كبرى اساسية وهي:[٤]

أ.كل حركة اصلاحية هي حركة تاريخية لها مقدماتها الخاصة ووسائلها العملية والعلمية وغاياتها المحددة،

ب.انها وثيقة الارتباط بالحالة السياسية "القومية".

ج.كل حركة اصلاحية هي حركة ثقافية.

د.لكل حركة اصلاحية منطقها الثقافي والروحي الخاص

---

(١) مطهري ، مرتضى ، الرؤية الكونية في العرفان النظري: ٤٦

(٢) الكاشاني ، صباح الهداية، ١٣١.

(٣) العيادي ،عبد العزيز ، ايتقيا الموت والسعادة ، ٣/١

(٤) ينظر:شيرواني ، علي ،دراسة تعاريف الدين من وجهة ينظر أخرى ، العدد٢٧ /٢٩-٥١

وتعطي هذه الحقائق الكبرى للحركات الإصلاحية وتاسيسها الفكري والفلسفي انماطا وابعادا غاية في التنوع والاختلاف، أي لكل منها خصوصيته واصالته وفرادته.

أما الحصيلة العامة لتفاعل كل من هذه الوسائل والاساليب والغايات والمقومات التاريخية للاصلاحية الدينية، فانها عادة ما تؤدي، من حيث منطقها الذاتي والاحتمال الكامن فيها، إلى الانتقال من سماء اللاهوت إلى ارض التاريخ الفعلي، ذلك يعني انها تمثل حالة الانتقال من اللاهوت إلى السياسة، ومن زمن النصوص المقدسة إلى تاريخ البدائل الواقعية ، لعل من أهم شروط تحقيق الفاعلية والتاثير في أي نشاط انساني: فهم الإنسان وطبيعة العمل فهما دقيقا، بمعنى وضوح الفكرة بمنطلقاتها واهدافها[١]، ومدى قابليتها للتنفيذ، واستشعار المسؤولية امام الله سبحانه وتعالى، والحس بالتناقض والتحدي بين الواقع الذي صارت اليه الامة، والانموذج الغائب الذي لابد من استرداده في عملية الشهود الحضاري المامول.. ومن ثم وعي الإنسان على دوره في العمل وفي الحياة والبناء وعيا كاملا، ومعرفته لتفاصيله وغاياته واهدافه ومقاصده ووسائله وسبله، ومعوقاته وتحدياته وموقعه ومرتبته في سلم الأولويات، وفهم طبيعة الإنسان ومعادلة المجتمع النفسية والاجتماعية والتاريخية، ودراسة ابعاد الشخصية محل التاثير ومداخلها دراسة المتلقي[٢].

وإذا كان هذا مطلوبًا في أي عمل يُراد له النجاح، فانه يتاكد تماما عندما يكون العمل المطلوب عملا مهما يتعلق بموقف امة وبناء حضارة، وتحديد مصائر اجيال، بل عالم كامل حيث لا يقتصر أثر ذلك على الحاضر ايجابا وسلبا، بل يتجاوزه ليؤثر على الامة المستقبلية، ويرتبط فإرتباط الحاضر بالمستقبل هي قضية يتوجب تحمل مسؤوليتها والتبشير بها قضية اصلاح مناهج الفكر واسلامية المعرفة يرى انها من القضايا التي تطرح نفسها بقوة اليوم، وتعد من أهم قواعد المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر المتكامل [٣]

---

(١) الشيرازي ، صدر الدين، الحكمة المتعالية في الاسفار الاربعة العقلية ،١٢٣/٤.

(٢) مير محمد شريف ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ١/ ٨٠٩-٨١٠ .

(٣) القزويني ، فرقد الحسيني، شواهد محمد باقر الصدر الموسوعة المهدوية ، سلسلة محاضرات ،١/ ٢٣٦ .

ثانياً : منطقية الشخصية الثورية للإصلاح

أن المنطق الذاتي للاصلاحية الإسلامية والاحتمال الكامن فيها من اثره الفعال بالنسبة لتمهيد وتاسيس حالة الانتقال من سماء اللاهوت إلى ارض التاريخ الفعلي، غير أن لهذه الحالة تاريخها وتقاليدها الخاصة، والمهمة المطروحة الأن لا تقوم في مقارنة الماضي بالحاضر، بقدر ما تقوم في رسم الصورة العامة لتقاليد الفكرة الإصلاحية، من اجل رؤية النوعية الخاصة للاصلاحية الإسلامية الحديثة[١]، خصوصاً إذا اخذنا بنظر الاعتبار أن الاحتمال الكامن فيها مازال يحتوي على امكانيات مختلفة، لكنها تبقى في نهاية المطاف جزءا فعالا فيما ادعوه بصيرورة المركزية الإسلامية الحديثة بوصفها صيرورة ثقافية وسياسية لم تكتمل بعد ،لقد ابدع التاريخ الإسلامي مدارسه وانماطه ونماذجه المتنوعة عن فكرة الإصلاح وهذه جميعا بدورها وثيقة الارتباط بالعقائد الإسلامية الكبرى المتعلقة بالوحدانية والامة والجماعة الأمر الذي جعل من العقيدة الإسلامية الاولية العامة مصدر الفكرة النظرية والعملية للسلطة والدولة والمجتمع والامة مع ما ترتب عليه من بلورة تقاليد خاصة عن فقه الدولة والمجتمع والفرد.[٢]

إذ كان الدور والاثر الكامن للاسلام الأول يقترب، بمعايير التاريخ الواقعي انذاك، من فكرة "الإصلاح الثوري" أو "الثورة الإصلاحية" الشاملة، وفي هذا تكمن خصوصيته بهذا الصدد، فقد احتوى بقدر واحد على ادراك قيمة الإصلاح الشامل، وفي الوقت نفسه بقي ضمن اطار الرؤية المعتدلة، بحيث تحولت فكرة الاعتدال إلى عصب العقيدة الإسلامية الأولى سواء بمعناها الايماني (الديني) أو السياسي، وبهذا يكون قد وضع اسس الفكرة الإصلاحية (العملية) بوصفها حقا وواجبا بقدر واحد. وبلور بصورة اولية مبادئها الكبرى وغاياتها في مفاهيم وحدة الجماعة والامة حول اركان الإيمان الإسلامي (العقيدة الإسلامية)، وبهذا يكون قد ارسى اسس الوحدة

---

(١) الاحسائي ابن أبو جمهور ، عوالي اللئالي، ١/ ٥٦ .

(٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ٣٥٠/١٨، ذيل الآية. (٢١) شرح فصوص الحكم، ابن تركه ١ / ١٢٧.

الإجتماعية والاخلاقية والروحية والمادية الشاملة، بوصفها واحدية اسلامية، مبداها الأول وغايتها:الوحدانية. أما نموذجها العملي ففي فكرة "الامة الوسط".[١]

وإذا كانت هذه العقائد العامة تكمن في اعماق الفكرة الإسلامية الأولى (المحمدية)، فانها برزت للوجود بوصفها احتمالا تاريخيا وواقعا جديدا بعد موت النبي محمد(ﷺ) بعبارة أخرى، أن انتهاء مرحلة النبوة كانت البداية الاولية للتاريخ السياسي، مع ما ترتب عليه من حالة الانتقال من نموذج "الوحي المقدس" إلى نموذج الاجتهاد الواقعي، ووجد ذلك انعكاسه الاولي في ظهور فكرة الخلافة ونماذجها العملية من حيث الاسلوب والادارة والنتائج[٢].

المطلب الثاني

الإصلاح الحقيقي لتمظهرات الشخصية الثورية

كشفت هذه الحالة عن حقيقة كبرى تقول، بان الإصلاح الحقيقي الكبير هو ليس مجرد رجوع إلى الأصول، بل وتمثل مبدع لها بمفاهيم ومعايير الرؤية المستقبلية. ما جعل الثورة الكبرى هي الإصلاح كونها تمثل جسد النهضة الثورية وتظهر بوضوح بوادر الإصلاحية الإسلامية الحديثة. مما حدد بدوره خصوصيتها بوصفها حصيلة تاريخ اصلاحي ديني ودنيوي، "اسلامي واوربي، أي إنهُ يحتوي في ذاته على وحدة التاريخ والحداثة، القومي الاممي، العقلي والنقلي وانها تمثلت تقاليد الاعتزال والفكر الفلسفي والروحية الصوفية ومدارس الفقه العقلية وأن ظهور الشخصيات الثورية الإسلامية هو الانعكاس الحقيقية للصورة البنيوية للفكرة الإصلاحية الإسلامية وبمعنى انها لم تندثر في سمادٍ الصيرورة التاريخية للإصلاح الحقيقي الشامل [٣]

أما المسار الإصلاحي الحقيقي والفعلي أن يكون "طبيعيا" بالضرورة، أي نتاج المسار الطبيعي لتطور الأمم وانتاج خيالها المبدع. [٤] من هنا قيمة التحليل للفكرة الإصلاحية

---

(١) الحر العاملي ، زين الدين بن علي ، تمهيد القواعد، ٢٩٢.

(٢) مطهري ، مرتضى ، السلوك الإسلامي ، ١ / ١٢٤

(٣) الرازي ، زين الدين محمد أبو بكر ، الشخصية الثورية والقدوة الإسلامية ، ٢ / ٦٣٧ .

(٤) صلاح عبدالفتاح الخالدي ، هذا القرآن ١/ ٣٨٧.

الإسلامية، لانها الوحيدة الاصيلة، بما في ذلك من حيث مقارنتها بالتيارات الدنيوية العديدة، أن بلورة الإصلاح العملي الإسلامي يشكل نقطة التحول في بلدان العالم فكل الاديان والقوميات تعتبر الإسلام الصورة الروحية لصيرورة المركزية الإسلامية بوصفها المرحلة الضرورية للانتقال إلى وعي اكثر عقلانية واخلاقية لتحافظ على منهج الثورات ونهضة الشخصيات العادلة وفي هذا تكمن قيمتها الحية والكبرى سواء بمعايير العبرة التاريخية أو الرؤية المستقبلية، فالشخصية الثورية تشكل الفهم الفعلي للفكرة الإصلاحية للاسلام. (١)

ويلاحظ مما تقدم أن الإصلاحية الإسلامية لم تنته بعد ومن ثم فهي تبقى جزءًا من الاحتمال التاريخي الاكبر للفكرة الإصلاحية (الدينية والدنيوية) في العالم الإسلامي كله، بمعنى انها مازالت تحتمل امكانية التوليف النظري والعملي بغيرها من تجارب الإصلاح الحديث وبالتالي امكانية توليف تجارب الفلسفات الإصلاحية القائلة والفاعلة باسلوب الرجوع للماضي (كما هو الحال بالنسبة للاصلاحية الإسلامية)، (٢)والاصلاحيات القائلة باسلوب السير نحو المستقبل، وذلك لانهما كليهما يمثلان اشكالاً متنوعة فلسفة الاحتمال والتجريب للبدائل العقلية الإنسانية، كما انهما كلاهما يقفان بالضد من مطابقة فكرة الرجوع إلى السلف مع فكرة الإصلاح وكلاهما يدركان حقيقة الإصلاح بوصفها فكرة مستقبلية، وأن مفهوم الإصلاح مفهوم نقدي يدرك الخلل الجوهري ويسعى لاصلاحه بمعاييرها (الرؤية والفكرة المستقبلية). كما أن كلاهما لا يتعارضان مع حقيقة الفكرة القومية.

إذ توصلنا في الإصلاحية الإسلامية الحديثة إلى أن لكل قومية "اسلامية" تاريخها النسبي والجزئي في الفكرة الإصلاحية. وذلك بسبب خصوصية الفكرة القومية في العالم المعاصر، التي تجعل من مرور الأمم بدهاليز التطور الذاتي امرا شبه حتمي بسبب اختلاف وتنوع تقاليدهم السياسية ومستوى تطورهم الإجتماعي ونوعية الاشكالات التي تواجهها على صعيد بناء الدولة والامة والثقافة. وبالتالي الاقرار بفكرة التعددية (القومية) دون وضعها بموضع التضاد مع فكرة "الوحدة الإسلامية" أو "المصالح الإسلامية العامة"غير أن لهذه الخاتمة المنطقية منطقها المعقد في الروح والجسد الفردي والاجتماعي والقومي و"الإسلامي"، والقيمة الحيوية للفكرة الإصلاحية

(١) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ٢/ ٢٧٧٠.

(٢) ينظر:روس . جاكلين . الفكر الأخلاقي المعاصر للشخصيات الثورية . ١/ ١١١.

الإسلامية الحديثة بهذا الصدد تقوم في انها حاولت التدليل، متاثرةً بتيارات الفكر العقلاني والإنساني الإسلامي والعالمي، على أن الادراك الخالص للحقيقة يفترض الإخلاص لها، أي التجرد المادي والمعنوي والروحي والاخلاقي، بمعنى الارتقاء على الجسد ورميه تحت اقدام الحدس الروحي، بوصفها المقدمة الضرورية لكل ابداع حق.[١]

المبحث الثالث

معايير الإصلاح في الشخصية ثورية

أن حقيقة فكرة إصلاحية بوصفها فكرة تأسيس دائم لحقوق عقل نظري وعملي في بحث عن حلول واقعية وعقلانية وإنسانية للمشاكل التي تواجهها أمم، أمر ذي جعل من تاريخ فكرة إصلاحية على دوام جزءًا من تجارب كل إنساني من جهة، وحلقات ومستويات ونماذج في تجارب إنسانية حرة، من جهة أخرى، ومقصود بذلك تجارب تي تدرك قيمة حرية بوصفها تجربة لا يقيدها شيء غير ادراك قيمة احتم وامكان عقلية مجردة وما عدا ذلك فهو مجرد نصوص تاريخية و"نصوص" مجردة، بغض نظر عن دعاوي مصادرها. [٢]

إذ لا مصدر فعليًا للنصوص ايا كانت، ومهما اطلق عليه من صفات قاب، غير تجارب أفراد وجماعات وامم بمعنى انها نصوص زمنية، لا يجعل منها نصوصا تاريخية غير ما فيها من استعداد للتحقق فقط، وليس للتجسد وتنفيذ و"بلوغ مرام" فهذه تجارب اضافية أو جانبية على هامش تجارب تحقيق فعلي للمفاهيم وقيم حية ذلك يعني أن حد وحقيقة إصلاحية يقومان في تاسيس فكرة اعتد عقلي، بوصفها تجربة حرية متسامية، ومن ثم غير متناهية بنسبة لترميم هوية وجود إنساني في مجرى صيرورة ابدية للكون وفساد وجود وعدم وما عداه هو اصلاح مزيف أو

---

(١) مطهري ، مرتضى ، فلسفة الأخلاق ، ١ / ٢٢٣ .

(٢) ينظر:موسوي، ميمونة احمد، تأثير قيادة ملهمة في ولاء تنظيمي، مجلد٩،عدد٣٥/ ١٦ .

إصلاح جزئي[١]، ولا يخلو تاريخ إصلاحية دينية من هذا تنوع فع إذ تكشف تجارب أمم واديان عن صيغ متنوعة للإصلاح حقيقي وإصلاح زائف، إصلاح جزئي وإصلاح شامل[٢].

المطلب الاول

معايير الاصلاح في الشخصية الثورية

أن الأسباب المكونة للإصلاح تعود لاختيارات الهيه(للشخصية) كاختيار(الأنبياء ومنهم أولوا العزم) من معلوم أن لكل مُسبب سببا، ولكل نتيجة مقدمة،[٣] وكذلك الحال بالنسبة لصلاح الأمة أو إفسادها ولابد الوقوف على المستويات التي تحفز مظاهر الإصلاح عند الشخصية الثورية للمجتمع فالمستوى الأول اقتراني يرتبط (بالتوبة) كقوله تعالى :﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة انعام: ٥٤ ، ويلتفت الله سبحانه وتعالى إلى أن الآية أظهرت فيها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلطف بهم ويسلم عليهم ويبشر من تاب منهم عن سيئة توبة نصوحاً بمغفرة الله ورحمته ويتبين بذلك أولاً: أن الآية – وهي من آيات التوبة – إنما تتعرض للتوبة عن المعاصي دون الكفر بدليل قوله: ﴿ من عمل منكم﴾ أي المؤمنين بآيات الله، وثانياً: أن المراد بالجهالة ما يقابل الجحود اللذين هما من التعمد المقابل للجهالة فإن من يدعو ربه بالغداة والعشي يريد وجهه وهو مؤمن بآيات الله لا يعصيه تعالى استكباراً واستعلاء عليه بل لجهالة غشيته باتباع هوى في شهوة أو غضب، وثالثاً: أن تقييد قوله: {تاب} بقوله: {وأصلح} للدلالة على تحقق التوبة بحقيقتها فإن الرجوع حقيقة إلى الله سبحانه واللواذ بجنابه لا يجامع لطهارة موقفه التقذر بقذارة الذنب الذي تطهر منه التائب الراجع، ورابعاً: أن صفاته الفعلية كالغفور والرحيم يصح تقييدها بالزمان حقيقة فإن الله سبحانه وإن كتب على نفسه الرحمة لكنها لا تظهر ولا تؤثر أثرها إلا إذا عمل بعض عباده سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح.[٤]

---

(١).ينظر: حنبلي، ابن عماد ،شذرات ذهب في اخبار من ذهب ، ١/ ١٦٦.

(٢) مطهري ، مرتضى ، رؤية كونية في عرفان نظري: ٤٦

(٣) قرشي، باقر شريف، حياة إمام حسين بن علي عليهما سلام، ٣٥٦٣/٢.

(٤) تفسير العياشي ، ١ / ١٤٥

أما المستوى الإرادة الصادقة وهي الإرادة في تحقيق الأهداف الإصلاحية ففكرة إصلاحية من حيث جوهر بوصفه تاريخ مغامرة حية للجبر واختيار أو ارادة حرة وقدر غائب في مشاريع مستقبل وإصلاح في جوهره هو البحث عن الاعتدال الامثل بدلاً من "الاعوجاج" وبحثه عن أصول مثلى ومثل متسامية، أي كل ما يمكنه تجاوز "واقع سيئ" وتذليل مختلف اشكاله والوانه[١] من هنا احتواء فكرة إصلاحية دوما على معنى نقد وتعديل لمجرى حياة وتفكير وعقائد بما يتطابق مع حق وحقيقة[٢] .

وهناك صفات إصلاحية وهي: [٣]

هـ.وجود نص مقدس ومرجعيات عقائدية ملزمة.

و.هيمنة تأويل في موقف من هذه نصوص وعقائد.

ز.رجوع ى نموذج ماض بوصفه نموذجًا مثيا.

ح.انتشار مبادئ وقواعد نظرية وعملية يجري اختزالها لتطهير وتعديل العقول وتتجسد بالمفاهيم العليا التي أنزلها الله سبحانه وتعالى .

ط.تحفيز الوعي والسلوك وبيان المعرفة الالهية وتصحيح الاخلاق والقيم[٤].

ي.لعل من أهم شروط مظاهر الاصلاح هو الفاعلية والتاثير في أي نشاط انساني وفهمه بمعنى وضوح فكرة بمنطلقاتها واهدافها[٥] ومدى قابليتها للتنفيذ، واستشعار مسؤولية امام له سبحانه وتعالى.

أن وعي إنسان على دوره في حياته وبناء الواعي الكامل يؤدي الى الاصلاح الداخلي والخارجي [٦]، فإرتباط الحاضر بالمستقبل هي قضية يتوجب تحمل مسؤوليتها الذي يعد

---

[١] الصدر ، محمد صادق ، اطروحة ارادة ١١/. ٢٤.

(٢) ينظر : بن عدي ،يحيى .تهذيب أخلاق دون طبعة/ص٤٧ .

(٣) كاشاني ، صباح هداية، ١٣١.

(٤) عيادي ،عبد عزيز ، ايتقيا موت وسعادة ، ٣/١

(٥) شيرازي ، صدر دين، حكمة متعية في اسفار اربعة عقلية ،١٢٣/٤.

(٦) مير محمد شريف ، تاريخ فلسفة إسلامية ، ١/ ٨٠٩-٨١٠ .

بمثابة قضية إصلاحية عميقة وتحتاج الى التمعن في إصلاح الأفراد ومن ثم اصلاح مجتمع بمناهجه وأفكاره وعقائده [١]

اولا: موضوعية الشخصية الاصلاحية

أن موضوعية الشخصية الإصلاحية مرتبط ارتباط كبير بالعقيدة لذا فأن الراسخ بأن المجتمعات بحاجة الى مصلح ومراجعة دائمة وإلى تفحُّص مستمر لواقعها وأوضاعها، من أجل معالجة نقاط الخلل والنقص، لأن كل مجتمع بشري لا يخلو من نقاط ضعف تحتاج إلى تقوية، أو ثغرات تحتاج إلى سدٍّ، كي يصل ذلك المجتمع إلى مصافِّ المجتمعات المتحضِّرة، أيّ قيادة تريد الإصلاح ينبغي أن تفكر في إنتاج الثقافة الداعمة لتوجهات الإصلاح، لأنه لا يمكن أن يحصل الإصلاح في بيئة ثقافية متخلفة ،ولا بد من تشجيع ثقافة الانفتاح، والوعي بمتطلبات الزمن، وإتاحة الفرصة لحرية الرأي والتعبير عن الرأي، على المستوى السياسي والديني والاجتماعي.

وعي جمهور الأمة، واستجابتهم لبرامج الإصلاح والتغيير، هو الذي يؤذن بانطلاق نهضة الإصلاح، أما الاكتفاء باجترار الشعارات، وتمنيات التغيير، دون رفع مستوى الفاعلية والإنتاج والالتفاف حول القيادات المخلصة، والبرامج الصالحة، فانه لن يغيّر من واقع الأمة شيئاً.

ونجد هنا توفر أول عنصر لعملية الإصلاح، وهو المبادرة والتصدي، فكثيرون قد يحملون شعارات الإصلاح، ويطرحونها نظرياً، وهناك الغالبية من الناس يتطلعون إلى الإصلاح لتغيير أوضاعهم إلى الأفضل، لكن الانطلاق لن يكون إلا بالمبادرة والتصدي، والقيادات الدينية والسياسية هي من تتحمل هذه المسؤولية بالدرجة الأولى، وهي الأقدر على تحقيقها، بما تمتلك من أزمّة الأمور ومواقع التأثير والنفوذ، وإن أي عملية إصلاح تستلزم تضحيات وخسائر وتواجهها صعوبات وعوائق، لكن تصدي القيادات يجعل المهمة أقل صعوبة وأقرب للنجاح.[٢]

---

(١) قزويني ، فرقد حسيني، شواهد محمد باقر صدر موسوعة مهدوية ، سلسلة محاضرات ،١/ ٢٣٦ .

[٢] الصفار ، حسن موسى ، الامام علي عليه السلام وقضايا الامة ، ١ / ٢٢

أما لو تركت الأمور لتفاعل النقمة والغضب في نفوس الناس، فقد تنفجر الأوضاع، وتخرج عن السيطرة، ويتصدى غير الكفوئين والمخلصين، ويجد أعداء الأمة فرصتهم للإفساد والتخريب ومن هذه الشخصيات الإصلاحية التي لها أثر كبير في كافة المجتمعات ومازالت محط البحث الموضوعي ألا وهو سيرة الإمام علي(عليه السلام)، منابع للاستلهام، ودروس للاقتداء، مع ما بين الشخصيتين والتجربتين من فروقات لا تخفى، من حيث المكانة والصفات والظروف والأوضاع.

كما إن الخيار الأمثل أمام شعوب الأمة الإسلامية اليوم، للخروج من المأزق، وتجاوز واقع التخلف، هو المبادرة الجريئة من القيادات السياسية الحاكمة، للتوجه نحو الإصلاح، بالانفتاح على شعوبها، وتوسيع المشاركة السياسية، واعتماد نهج الحق والعدل، فأن القيادات والمرجعيات الدينية تجهر بمواقف الحق، وألَّا تداهن التوجهات المسيئة للإسلام، والمخالفة لمبادئه وقيمه، وأن تبادر للإصلاح على المستوى الفكري والثقافي ومن البرامج الإصلاح التي بادر الإمام عليّ من بداية حكمه لتنفيذ برامج الإصلاح، فعزل الولاة غير الصالحين للولاية، الذين أخذوا مواقعهم ضمن معادلة المحسوبيات، واستأثروا بالامتيازات وثروات الأمة، كما استرد أموال بيت المال من أيدي الحائزين عليها بطرق غير مشروعة، ولم يقبل التغاضي في ذلك، بل أجاب المعترضين بقوله: وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، ومُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، ومَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.[1]

فقام ايضا الأمام علي(عليه السلام) إصلاحات منها ووضع الرقابة على الولاة والعمال واستخدم الحزم مع أي انحراف أو مخالفة من قِبَل أحد منهم وكان من أهم برامج الإصلاح تطبيق العدالة والمساواة بين الناس في العطاء، بعدما عانى الناس من التمييز بينهم، مما عمَّق الطبقية، وراكم الثروات عند طبقة، وزاد الفقر عند باقي الطبقات، وقد واجهته ضغوط كبيرة، لكنه ثبت أمامها، وأصرّ على نهج العدل والمساواة، صارخاً في وجوه المعترضين: أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟ واللَّهِ لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّه.[2]

---

[1] ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ٢٦٩

[2] نهج البلاغة ، الحسون السيد الشريف الرضي ، ١ / ٢٨٥

ونجد الموضوعية في ثقافة التغيير والإصلاح من قبل الشخصية الثورية التي تشق برامج الإصلاح طريقها في ساحة الأمة، لا بُدَّ من ثقافة داعمة، تشجع الناس على تجاوز ما ألفوه من عادات سيئة، وأفكار غير صحيحة، وتحصّنهم من تأثيرات مراكز القوى المضادة لعملية الإصلاح، وتخلق بيئة مناسبة للتغيير.[١]

وهذا ما توجَّه إليه أمير المؤمنين علي في مسيرة حكمه، حيث أردف قراراته الإصلاحية بهجوم ثقافي، لإحياء قيم العدل والصلاح في نفوس الناس، ولمواجهة تيارات الفساد والانحراف. فهو يقوم بمهمتيه كخليفة حاكم وكإمام مرشد في الوقت نفسه، لذلك كان التراث الفكري والمعرفي لعلي متميزاً في الكم والكيف عن بقية الخلفاء، حيث نقلت عنه المصادر عدداً كبيراً من الخطب التي ألقاها على جماهير الناس، والرسائل التي وجهها لولاته وموظفيه، والوصايا التي خاطب بها أصحابه ومن حوله، لذلك كان التراث الفكري والمعرفي لعلي متميزاً في الكم والكيف عن بقية الخلفاء، حيث نقلت عنه المصادر عدداً كبيراً من الخطب التي ألقاها على جماهير الناس والرسائل التي وجهها لولاته وموظفيه، والوصايا التي خاطب بها أصحابه ومن حوله[٢]

ثانيا : أساليب الإصلاح في القران الكريم

ومن وجهة نظر المصادر الإسلامية، فإن "الإصلاح" و"الإصلاحية" هما في جوهر الدين، وأحد ركائز الهوية الدينية، يتم الإصلاح من خلال تكييف ظروف الحياة مع القيم الدينية في كل عصر؛ ولذلك فإن أعظم المصلحين في العالم هم الأنبياء الذين يعلمون الناس أسلوب الحياة الصحيح.[٣]

ويشير الامام علي (علي عليه السلام): " إن الله أرسل رسله، وأحياناً حسب رغبة الناس، أرسل رسله الواحد تلو الآخر ليسألهم الوفاء لعهد الفطرة ونسيان النعم. وأكمل الحجة عليهم بتبليغ الأحكام الإلهية " لذلك، من وجهة نظر الإسلام والقرآن، يجب على المصلح إصلاح المجتمع على خط

---

[١] المصدر السابق ، الصفار ، الامام علي وقضايا الامة ، ١ / ٢٣ – ٢٤

[٢] نفس المصدر.

[٣] انظر: نهج البلاغة، حكمت ٤٢٣ و ٨٩، الرسالة ٣١.

الأنبياء والالتزام بتعاليمهم والكتاب الإلهي. يقول القرآن الكريم: "إننا لن نضيع أجر المصلحين الذين يسعون إلى الإصلاح بالتمسك بكتاب الله وثواب الصلاة في المجتمع[١]".

وفي الإصلاحات تجدر الإشارة إلى أن المصلح الذي يريد أن يدعو الآخرين والمجتمع إلى الشرعية عليه أولا أن يتبع القانون ويبدأ من نفسه – سواء كانت الذات الفردية أو الذات الجماعية والاجتماعية – وإلا فلن يؤثر كلامه. وغيره، يقول الإمام علي (عليه السلام): عجبت لمن يحاول إصلاح الناس وهو مركز الفساد، فلا يعمل على إصلاح نفسه وإصلاح غيره[٢].

وإذا انحرفت الإصلاحية عن الطريق الإلهي، فهي فساد من وجهة نظر القرآن؛ لأن كل تغيير لا يمكن اعتباره لصالح المجتمع والأفراد؛ ربما تبدو بعض التغييرات والتطورات مفيدة؛ ولكنه في الحقيقة يجفف جذور الدين والمعتقدات ويتسبب في فساد المجتمع وتدميره. ويمكن القول إن مثل هذه التطورات لا تحمل إلا عنوان الإصلاح كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ١١) يذكر الطبرسي وإذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي والصد عن الإيمان والإسلام، أو بمساعدة الكفار، أو بتغيير الدين وتحريف الإيمان". الكتاب يقولون إننا الوحيدون نحن من سننفذ الإصلاحات، ولقد وردت ضرورة الإصلاح وأهميته في القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) بتفسيرات مختلفة، فقال شعيب(عليه السلام) لقومه: ""لم يعد لي هدف وهو إصلاحكم ومجتمعكم ما استطعت".

ومعنى الإصلاح في هذه الآية هو الإصلاح بأبعاد مختلفة، منها إصلاح العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وإصلاح العمل، وإصلاح العلاقات والنظم الاجتماعية وغيرها، وهذا هو الهدف الذي سعى إليه جميع الأنبياء[٣].

– ولا شك أننا لن نضيع أجر المصلحين (والصالحين). (الاعراف:١٧٠)

وما كان كذلك أن يهلك ربك القرى ظلماً وقهراً وقومه يحاولون الإصلاح

---

[١] الموسوي ، محمد فالح ، شرح ، نهج البلاغة، ص٤٥٠،.

[٢] نقلا عن كتاب النقد، العدد ١٦، مقال الإصلاحات الواضحة، محمد حكيم بور، ص ٥٢

[٣] نموذج التفسير، آية الله مكارم الشيرازي وآخرون، ٢٠٨/٩، تحت الآية ٨٨ من هود.

– قال الإمام علي (عليه السلام) في رسالته إلى معاوية: "إني لا أريد إلا أن أتقدم إلى أقصى ما أستطيع، وما نجاحي إلا بفضل الله، ولا أرجو التوفيق" إلا على الله توكلت عليه وأناب إليه." سأعود". [١]

– عبّر الإمام الحسين (عليه السلام) عن غرض ثورته بما يلي: "إني لم أقم بسبب السكر والقتل والظلم، ولكن أريد إصلاح أمة آبائي، وأبي دعني أتحرك[٢]".

– عن الامام الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله): «إنّ للصالحين والمحسنين في الأرض أكرم الناس عند الله منزلة يوم القيامة». ". [٣]

– وجاء في رواية أن خير الناس عند النبي صلى الله عليه وسلم أكثرهم نصحاً للمسلمين.[٤]

"تعديل" هو جمع "تعديل" وقد ورد لكلمة "الإصلاح" معان كثيرة، منها: يصلح ويصلح، ويصلح، ويشفي، ويصلح، ويصلح للتجمل، والتحسين، [٥]

الإصلاحات في القرآن الكريم مقترحة بطريقتين:

١– تصحيحات خاصة بين شخصين مثل أصلحوا بين إخوانكم.

٢– إصلاحات اجتماعية عامة وشاملة: "ليت التحسن ليس لدي أي نية إلا الإصلاح.[٦]

وقد استخدمت في القرآن الكريم أحياناً ضد الفاسدين وأحياناً ضد الطاغية.

١. مجالات إصلاح الأنبياء:

---

[١] شرح ، نهج البلاغة، ترجمة المرحوم الدشتي، الرسالة ٢٨، ص ٣٧٥.

[٢] بني سعيد ، علي محمد عقلة ، الاتجاه الفقهي لتفسير الامم الأولسي ، ص ١٦

[٣] محمد حكيم بور ، مقال في الإصلاحات الواضحة ، ص ١–٢ .

[٤] محمد بن سليمان الكوفي ، مناقب أمير المؤمنين، ، ٢٣/١، مجمع إحياء التقوى الإسلامية.

[٥] كريم دحاح ، صفات الاصلاح ، ١ / ١٢ .

[٦] د. محمد معين، ، منشورات العتبة العباسية، كلمة الإصلاح، ٢٩٣/١

إن الإصلاحات التي سعى إليها الأنبياء (عليهم السلام) كانت في كافة مجالات ومجالات الحياة الشخصية والاجتماعية؛ بما في ذلك مجال الاعتقاد في قوله جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(النحل :٣٦).

أما المجال الثقافي في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) .

وعن المجال الاجتماعي كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد:٢٥)

أما المجال السياسي ؛ "ويزيل ما كان عليهم من أعباء ثقيلة وتحرير جماهير الشعب والمضطهدين من براثن الطغاة والظالمين ومن قيود العبودية والعبودية[1] ويمكن تقسيم كافة مجالات الإصلاح : ١- المعتقدات. ٢- يقع مجال شؤون الدنيا.

وإن أول وأهم واجب على الأنبياء هو تصحيح اعتقادات الناس حول الخلق والمبعث؛ لأن الإيمان بالنشأة والبعث هو أساس رؤية الإنسان للعالم وأيديولوجيته، وبدون الإيمان بالله واليوم الآخر، لا يمكن للمرء أن يتمتع بحياة صحية وإنسانية. ورد في كثير من آيات القرآن الكريم الإصلاح الديني، وهو يعتبر الرسالة الأولى للأنبياء الإلهيين، وسنذكر شاهدا على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (هود: ٢٥-٢٦) يخبر تعالى عن نوح (عليه السلام) - وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه : ﴿ إني لكم نذير مبين ﴾ أي : ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله ، لقد أرسلنا نوحا إلى قومه (أول مرة يقول لهم) إني لكم نذير مبين لا تعبدوا إلا "الله" = الإله الوحيد ؛ فإني أخاف عليكم عذاب يوم

---

[1] المصدر السابق ، الصفار ، الامام علي وقضايا الامة ، ١ / ٢٥

أليم! "بالإضافة إلى الإصلاح الديني، يؤكد القرآن الكريم على الإصلاح الدنيوي باعتباره أهم واجب على الأنبياء. الإصلاحات العلمانية لها مجالات مختلفة.[١]

أ. الحكم:

جعل القرآن الكريم الإصلاح بين المؤمنين واجباً على الجميع كما شارك الأنبياء (عليهم السلام) هذا الحكم مع الآخرين، ومن مسؤولياتهم القضاء بين الناس، وإزالة العداوة، وإقامة العدل بين الناس. تحقيق العدل في المجتمع [٢]

ب. محاربة الطغيان:

إن دور الأنبياء في محاربة الطغيان والخنق والصراع مع مظاهر التمرد هو من أهم الأدوار الأساسية. ويؤكد القرآن الكريم على هذا الدور للأنبياء: في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ﴾ (التوبة: ٣٧)

المطلب الثاني

أدوات الإصلاح

لقد تحمل أنبياء الله (عليهم السلام) معاناة شديدة في سبيل هداية الناس وإصلاحهم، وبهذه الطريقة لم يدخروا جهدًا، فقد استخدم الأنبياء (عليهم السلام) الأدوات والأشياء لإصلاح الناس ويمكن تصنيف هذه الأدوات في مجالات اجتماعية واقتصادية وسياسية مختلفة وغيرها، نذكر بعضها:

أ- في مجال العقائد

أن معرفة الله وعبادته أمر فطري، لكنه مهمل. أشياء كثيرة تفهمها عقول الناس؛ لكن هذا العقل مدفون تحت تراب وحجارة هواء الجسد، عمل الأنبياء هو إيقاظ هذه العقول المدفونة:

---

[١] ابن كثير ، التفسير ، ٥ / ٣٦٢

[٢] الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ٣/ ٢٢٠

"واطلب عليهم بالموعظة، ويثيروا لهم دفن العقول والحديث معهم بالوعظ (التكلم بالحجج) وإخراج العقول الخفية واستخدامها.ومن أهم ما ذكره الأنبياء (عليهم السلام):

أ- ذكر الله

إن لذكر الله عز وجل دوراً كبيراً في إصلاح الإنسان، حتى إذا غوانا الشيطان تذكرنا ونطلب العون من الله؛ يقول القرآن:﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الاعراف:١٠٢) إن المتقين الذين يقع في غوايات الشيطان يتذكرون (الله وثوابه وعقابه)؛ و (في ضوء ذكره يبصرون الطريق) بغتة يبصرون».

ومعنى هذه الآية الكريمة هو اللجوء إلى الله عند تدخل الشيطان، لأن هذه هي طريقة المتقين الذين يتذكرون أنه إذا اقترب منهم الشيطان فإن ربهم هو الله، وهو مالكهم ومعلمهم، وجميع شؤونهم بين يديه، فالأجدر به أن يلجأ إليه ويلجأ إليه، فيدفع الله عنهم شر الشيطان، ويكشف عنهم حجاب الغفلة، فإذا هم مبصرون وبحسب القيامة فقد ذكر القرآن الكريم حوالي ١٤٠٠ مرة عن مسألة القيامة وخصائصها، أي أن أكثر من سدس القرآن يدعو الناس إلى البعث وذكر يوم القيامة والحساب ،إن الاهتمام ببقاء حسناته وسيئاته في نظام وجوده، ومحاسبته يوم القيامة، له دور كبير في تصحيح أعمال الإنسان.

"يوم تجديد النفس كلها، سواء عملت خيرًا أو عملت شرًا يوم يرى كل نفس ما عمل من خير؛ ويتمنى أن تكون هناك فجوة طويلة بين السيئات التي فعلها... يوم يفر المرء من عشيرته وأهله ذلك يوم عظيم أي في ذلك اليوم الذي يفر فيه الإنسان من أخيه، ومن أمه وأبيه، ومن زوجته وأولاده، في ذلك اليوم، يكون لكل منهم حال يشغله بنفسه تمامًا، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأمور حتى يتمكن الإنسان من إصلاح نفسه وإعداد الحقيبة لذلك اليوم الرهيب.[١]

[١] محمد تقي، مصباح يزدي، المجتمع والتاريخ من منظور القرآن، ص٢١.

فذكر الموت يكسر الكبر، وبالتالي فهو أصل ترك المعصية، وهو من الموانع والمضبطات: "الروح كلها الموت كل نفس ذائقة الموت..." "...أسلموا أنفسكم من الموت إن كنتم صالحين فأبعد عنكم الموت إن كنتم صادقين!"[1]

ج- الاهتمام بالكرامة الإنسانية

الإنسان خليفة الله وعابد الملائكة، خلق الله له كل شيء وسخر له كل شيء كما يقول القرآن الكريم: "ولقد رحمنا بني آدم ... وفضلناهم على كثير من الخلق الصالحين الذين خلقناهم وكرمنا الإنسان وفضلناهم على كثير مما خلقنا من دابة وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة : ٣٨) وهنا اشارة هل أنت راض بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة؟!..." أي أيها الإنسان، إن لك قيمة ومكانة عالية في النظام، فلا ترض بالحياة الدنيا وافعل لا تبيع نفسك لها ولذلك، إذا عرف الإنسان قيمته وقيمته، فلن يقع في الخطيئة والفساد أبدًا.

هـ- مراعاة سعة الأفعال

ومن العقائد الإسلامية التي لها دور كبير في إصلاح المجتمع وضبط المعاصي والنهي عنها مسألة "تفويض الأعمال إلى القادة الكبار"في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة : ١٠٥) ويشير الى ان الله يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك =(اعملوا)، لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه =(فسيرى الله عملكم ورسوله)، يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا =(وستردون)، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها =(فينبئكم بما كنتم

[1] د. سلام ، محمد رضا، الأسرة في موقف الإسلام وعلم النفس، ص٧٥.

تعملون)، يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون وما منه خالصًا، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.[١]

٢- تحذير:

إن طبيعة بعض الأشخاص هي أنه إذا علموا أنه لا توجد عقوبة أو عقوبة صغيرة جدًا لمخالفة القواعد واللوائح، فإنهم يخرقون القانون وينتهكونه بسهولة. ولذلك يحاول المشرعون تحديد الغرامات بحيث لا تحدث مخالفة القانون بسهولة؛ ولذلك فإن فرض غرامات باهظة على المخالفات يعتبر نوعاً من الردع، وقد استخدم الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً هذه النقطة النفسية، وبينوا أن مخالفة الشرائع الإلهية لها تكلفة باهظة جداً، بالإضافة إلى آثارها في الدنيا، فإن أهم آثارها هي يوم القيامة.[٢]

والآثار الدنيوية للخطيئة. مثل العقوبات التي نزلت على الأمم الفاسدة في الماضيفقد أهلك الله عز وجل [قوم نوح] غرقوا بسبب خطاياهم وكذلك "فسحق الله [قوم ثمود] بذنبهم فسوّاهم بالأرض".

٣- بشرى سارة:

ومن الأدوات الأخرى التي استخدمها الأنبياء(عليهم السلام) لإصلاح الناس "الإنجيل" إن بشرى نتائج الخيرات الصالحة وبشارة لطف الله وفضله الذي لا نهاية له يشجع الناس على فعل الخير والرجوع إلى باب الله والإقلاع عن أخطاء الماضي.

أ- بشرى الجنة والبركات الإلهية

وفي بعض الآيات يحث الناس على التسابق في وعاء الخير وهناك توجيه بمسارعة إلى مغفرة ربك والجنة التي عرضها السموات والأرض" وهو معد للمتقين في قوله تعالى: (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (المؤمنون:٦١)

---

[١] الطبطبائي ، تفسير القران ، ١١ / ٢٤٤

[٢] المصدر نفسه ، ٦٠/١١.

وفي الواقع، لقد استخدم القرآن الكريم هنا نقطة نفسية مفادها أنه إذا كان الإنسان بمفرده للقيام بمهمة ما، فإنه عادة ما يؤديها دون سرعة وبشكل طبيعي، أما إذا اتخذ شكل المنافسة فهي منافسة من أجلها. هناك جائزة قيمة، مصممًا على استخدام كل قوته وطاقته.[١]

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣)

وفي قوله تعالى : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وفي تفسير وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال ربما أخرت عن العبد إجابة الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل وأجزل لإعطاء الأمل [٢] لذلك عليهم أن يقبلوا دعوتي ويؤمنوا بي، حتى يتمكنوا من العثور على طريقهم (ويصلون إلى وجهتهم)".

ب- في المجالات الاجتماعية والسياسية

١- الحكومة

تعتبر الحكومة إحدى أهم أدوات الإصلاح؛ لأن تطبيق العديد من الأحكام الإسلامية غير ممكن بدون الحكومة، ويجب أن يتمتع المرء بالسلطة والتسهيلات ليتمكن من تطبيق تلك الأحكام في المجتمع.

الإمام علي (عليه السلام) بعد أن بايعه الناس و وصل إلى السلطة السياسية، بدأ على الفور بالإصلاحات الحكومية تحت شعار العدالة الاجتماعية، لم يكن الحصول على السلطة و الحكم و العالم و الثروة، لكني أردتم أن ترجعوا علامات حقكم ودينكم إلى مكانها وتظهر الإصلاح في أراضيكم ليعيش عبادكم المظلومون بسلام وأمان، ونسوا القوانين والأنظمة للترشح مرة أخرى[٣].

---

[١] نهج البلاغة، فايز الإسلام، ٦/١، ص٣٣-٣٤.

[٢] وفي المخطوطتين : (لعطاء) عوض (لإعطاء).

[٣] الشريف الرضي ، نهج البلاغة، ج ١٣١، ١٨٢.

ولما عرف عزيز مصر يوسف (عليه السلام) حكمته وحكمته وصدقه وأمينه، اقترح عليه أن يكون خازن بلاد مصر، في قوله تعالى : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف : ٥٥) .

علم أنه بتحمله هذه المسؤولية التي يستحقها لأنه أهل للثقة ولديه الخبرة، يستطيع أن يحل الكثير من مشاكل واضطرابات ذلك المجتمع كاملة ويجب عليه القضاء على الظلم ومساعدة المظلومين، وتقليل التمييز قدر الإمكان، وأخذ حقوق المظلومين من الظالمين، وإعادة النظام إلى الوضع غير المنظم في هذا البلد الشاسع[١].

٢- مكافحة الفساد

ومن الأمور التي استخدمها الأنبياء لإصلاح المجتمعات، المكافحة العملية للفساد الذي كان شائعا في عصرهم. طريقة استخدام القرآن الكريم، في كل قبيلة من القبائل التي بعث إليها نبي، كان الفساد أو مفاسد معينة منتشرة بينهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ وفُواْ ٱلكَيلَ إِذَا كِلتُم وَزِنُواْ بِٱلقِسطَاسِ ٱلمُستَقِيمِ ذَٰلِكَ خَير وَأَحسَنُ تَأوِيلا) (الأسراء: ٣٥) وتفسيرها وأتموا أيها المؤمنون الكيل إذا كلتم لغيركم عند بيعكم لهم ما تريدون بيعه، وزنوا لهم كذلك بالميزان المستقيم العادل ما تريدون وزنه لهم.[٢]

وإلى جانب الدعوة إلى التوحيد، فقد اعتمد كل نبي أكثر على الفساد الشائع في عصره، فمثلا كلما ذكرت قصة حضرة شعيب (عليه السلام) جاءت مسألة "وازنوا بلكستاس المستقيم" وزنوا بالميزان الصحيح "ولا تحتقر الناس أشياءهم.

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(الاعراف: ٨٥)

---

[١]آية الله مكارم وآخرون، نموذج التفسير ،٥/١٠،

[٢] الطنطاوي ، تفسير الوسيط ، ٤ / ٣٤٥

يعني : لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم ، بعد أن أصلحها الله بالأمر والنهي ، وبعثة الأنبياء ، وتعريف الخلق مصالحهم . وقيل : لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل {ذلكم} الذي أمرتكم به {خير لكم} وأعود عليكم {إن كنتم مؤمنين} أي : مصدقين بالله وإنما علق خيريته بالإيمان ، وإن كان هو خيرا على كل حال ، من حيث إن من لا يكون مؤمنا بالله ، وعارفا بنبيه ، لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له ، فكأنه قال لهم : كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن أن يكون المراد : لا ينفعكم إيفاء الكيل والوزن ، إلا بعد أن تكونوا مؤمنين .

وقال الفراء : لم يكن لشعيب معجزة على نبوته ، لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن ، وهو غلط ، لأنه لا يجوز أن يخلي الله تعالى نبيا عن معجزة ،هذا وقد قال سبحانه : {قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا} فجاء بالفاء جوابا للجزاء . و المراد : لا ينفعكم إيفاء الكيل والوزن ، إلا بعد أن تكونوا مؤمنين .[1]

وقال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (الاعراف : ٨٠/٨١)

ويأتي تفسير الآية الكريمة عندما بعث النبي لوط ، انتشر في عصره فساد معين، فبدأ في محاربته: لا شهوة الرجال دون النساء ولكن أنتم قوم فاسقون ولوطا إذ قال لقومه هل تفعلون عملا قبيحا لم يفعله أحد من العالمين قبلكم هل تذهب للرجال بدل النساء من باب الشهوة؟! أنتم فئة مسرفة (ومنحرفة)."[2]

ج- في المجال الاقتصادي

من المشاكل الرئيسية التي تواجه المجتمعات هي مشكلة الفجوة الطبقية، بمعنى أن الفقر والعوز يوضعان في جانب وتركيز الثروة في الجانب الآخر، فبعض الناس يسرقون الكثير من الثروة لدرجة أنهم لا يستطيعون حساب ممتلكاتهم، والبعض الآخر وآخرون يعانون من الفقر،

---

[1] . الطبرسي، تفسير مجمع البيان ، ٤ / ٣٠٢-٣٠٤ .

[2] نفس المصدر ، ٢٩٩-٣٠١ .

ويعانون من الفقر بحيث لا يتمكنون من توفير أساسيات الحياة مثل الغذاء والمسكن والملابس البسيطة.

وفي قوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر: ٧) وتفسير من وجهة نظر القرآن الكريم، لحل هذه المشكلة، لا بد من دفع حقوق الأيتام والمساكين والمتروكين في الطريق وغيرهم، " كَيْ لاَ يَكُونَ دولَةَ بَيْنَ الْأغنيَّةِ".لكي لا تنتقل (الملكية) بين أغنيائكم.

ومن الواضح أن المجتمع الذي يعتمد جزء منه على الثروة والجزء الآخر المهم على الفقر والجوع، ليس مجتمعا مستداما ولن يصل أبدا إلى السعادة الحقيقية، فالحرب ستكون حتمية.

ورغم أن العلماء والمدارس الاقتصادية في العالم ظلوا يفكرون في حل هذه المشكلة الاجتماعية الكبرى واختار كل منهم طريقا ما. "الشيوعية" من خلال إلغاء الملكية الفردية و"الرأسمالية" من خلال فرض الضرائب الباهظة وتشكيل المؤسسات العامة (وهي أشبه بالطقوس أكثر من حل الفجوة الطبقية)، يعتقدون أنهم قاموا لمحاربتها، لكن الحقيقة هي هذا ولم يتمكن أي منهم من اتخاذ خطوة فعالة على هذا النحو لأنه لا يمكن حل هذه المشكلة بالروح المادية التي تحكم العالم. لقد تبين بوضوح في آيات القرآن الكريم أن أحد أهداف الإسلام هو إزالة الظلم الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء، ورفع مستوى معيشة أولئك الذين لا يستطيعون تلبية احتياجات حياتهم دون مساعدة من الله. الآخرين لديهم على الأقل ضروريات الحياة.ولتحقيق هذا الهدف، وضع الإسلام برنامجًا واسعًا: تحريم الربا مطلقًا، ووجوب أداء الضرائب الإسلامية كالزكاة والخمس ونحوها، وتشجيع الصدقات والوقف والعطاء الخيري، والمساهمات المالية المختلفة. من هذا يشكل البرنامج. [١]

ومع كل هذه الأسس وأسس الإصلاح، لماذا لم تصلح المجتمعات ولم يؤمن إلا قليل من الناس؟ وفي الجواب يمكن أن نشير إلى هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾. (الرعد:١١)والحقيقة أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بهم. وانطلاقاً من هذا المبدأ المهم فإن أي تغيير في مصير البشر وإصلاح المجتمعات أو تراجعها يعتمد على إرادة أبناء تلك المجتمعات، إن أفراد المجتمع يتم إصلاحهم إصلاحاً كاملاً عندما يتمكنون، بناءً على

[١] التفسير النموذجي، آية الله مكارم الشيرازي وآخرون، ٢٣٢/٢، تحت الآية ٢٦١ من سورة البقرة.

إرادتهم واختيارهم وعملهم الطوعي، من استغلال الظروف البيئية التي نشأت بمباركة الحكام الإلهيين العادلين وأحكام الإسلام وأحكامه السامية طريقتهم في الارتقاء والتطور في أخذ زمام المبادرة؛ ولذلك فإن وجود الحكام الإلهيين والشروط الأخرى (القوانين الإسلامية، وتوفير الاحتياجات المادية، والرفاهية والأمن، وغيرها) ضرورية وضرورية في عملية تطور المجتمع وإصلاحه؛ لكنها ليست كافية على الإطلاق وعلى مر التاريخ، على الرغم من القادة الإلهيين مثل لقد كان الرسول الكريم وأئمة الأثر (عليهم السلام) موجودين في المجتمع، وتم توفير كافة الظروف والأسباب للنمو والرفعة للناس؛ ولكن لأن كل أفراد ذلك المجتمع لم يصلوا إلى مثل هذا الفهم العميق والاعتراف، لم يتحقق الإصلاح الكامل والشامل في المجتمع.

الفصل الثالث

ابعاد الشخصية في اصلاح المجتمعات

المبحث الأول : ابعاد الاصلاح الديني

المبحث الثاني : ابعاد الاصلاح الإجتماعي

المبحث الثالث : ابعاد الا صلاح السياسي

المبحث الرابع : ابعاد الاصلاح الاقتصادي

الفصل الثالث

أبعاد الشخصية الثورية الإصلاحية في القرآن الكريم

توطئة

أن الاصلاح مفردة شاملة وتعني الهداية البشرية في جميع العصور، وفقاً لأحكام والتعاليم الإجتماعية في القرآن، واهتمام القرآن بالإصلاح وابعاده (الدينية والاجتماعية والسياسة والاقتصادية) هو للسعي لتطبيق الدين الإسلامي على المتغيرات العصرية، وتطبيق القرآن على السنن الإجتماعية، والمقارنة بين خصائص القصص القرآنية مع الأوضاع الحالية في هذا الزمن، واستخراج السنن التأريخية والقوانين العامة من الآيات القرآنية والعمل على تجسيد التعاليم القرآنية على مستوى المجتمع ، وشرح المعارف والأحكام بهدف تربية الإنسان وإصلاح شؤونه، وتشريع القوانين وغير ذلك.

ولهذا السبب نلاحظ الانبياء والرسل يراعون اساليب الاصلاح في مجتمعاتهم وفق أبعاد تم تحديدها مسبقاً كالأسلوب العقلي، والرؤية الموضوعية، وكذلك الأسلوب التحليلي والإقناعي والتي تندرج ضمن ابعاد الشخصية الاصلاحية الثورية التي سيتم تناولها .

المبحث الأول

اصلاح البعد الديني وترسيخ مبادئه

تتسم الحركات الثورية اصلاحية وتتصل هذه الحركات بفضاء الديانات السماوية أهل الكتاب وان اصلاح البعد الديني ومبادئه يعتمد على مبدأ الترسيخ الأخلاقي للعقل وايجاد الطرق الصحيحة للأمر بالمعروف والنهي ن المنكر لذا يمكن تحديد مطالبه .

المطلب الأول

ترسيخ قوة الايمان وأصول العقيدة بالشرائع السماوية

اولا : الدعوة الى الله عز وجل

المقصود بالداعي الى الله : هو ذاك الإنسان الذي أحس بالمسؤولية وشعر بالمخاطر التي تهدد دينه وأمته... ثم قام بتنمية قدراته وشعر أنها أمانة فأداها على وجهها والداعي إلى الله" بأنه المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله [1] وقد ورد في كتاب الله تبارك وتعالى أن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ هو الداعي الأول: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا منيرا.﴾(الاحزاب : ٤٤-٤٥)

قال السعدي في تفسيره : هذه الأشياء، التي وصف الله بها رسوله محمدًا صلى اللّه عليه وسلم، هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه {شَاهِدًا أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خير وشر، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فهو ﷺ شاهد عدل مقبول. الثاني، والثالث: كونه ﴿ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وهذا يستلزم ذكر المبشر والمنذر، وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك فالمبشَّر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى وفي الأخرى بالنعيم المقيم. والرابع: كونه { دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ} أي: أرسله اللّه، يدعو الخلق لربهم ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بِإِذْنِ الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره. الخامس: كونه {سِرَاجًا مُنِيرًا }

---

(١)عبد الرحمن بن ناصر ، القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ ، ص ١٩ – ٢٣.

وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء اللّه بهذا النبي الكريم فأضاء اللّه به تلك الظلمات.[١]

وجاء هذا التكليف من الله تبارك وتعالى حيث أن الداعية بعمله هذا، ينفي الشرك عن نفسه فالداعي هو الذي يقوم بالتكليف الشرعي والواجب الديني، فهو بحاجة إلى عدة تعينه على أداء هذا التكليف المهم، وأن أقوى عدة يتسلح بها هي الأخلاق الإسلامية كما أن الداعي يعزز أصول العقيدة وقواعد الشريعة ومكارم الأخلاق وعلى الإنسان الذي يسعى الإصلاح بين الناس أن يتحلى بالصبر وتحمل الأذى بين أبناء الرحم والوطن لطلب الحق ودعوة الإصلاح ومقاومة الفساد"[٢]

من سمات المصلح أو الشخصية الثورية كظم الغيظ وهو خلق رفيع يدل على قوة الإيمان وعمق التقوى والخلو من الغل والكراهية وتعزيزه داخل قلوب البشرية ، "وهو صفة لا يتحلى بها إلا من استوت سريرته وعلانيته وسلم قلبه من نوازع الشر ووساوس الشيطان ونزعات الهوى"[٣] وقد وعد الله عز وجل ووعده الحق الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس بأعظم الجوائز وحثهم على المسارعة إليها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ال عمران ١٣٣-١٣٤.

وقد ذكر المفسِّرون وجوهاً في تفسير المراد من قوله: [وجنَّةٍ عرضُها السَّموات والأرض] فهل ذلك ثابتٌ في حالة ضمّ بعضها إلى بعض، أم أنَّ ذلك كنايةٌ عن السعة، وربَّما كان الأقرب أنَّها واردة مورد الكناية عن السعة، لأنَّ السياق لا يقتضي أكثر من ذلك، بل يوحي بشيءٍ من هذا القبيل، ومع ذلك فإنَّ تحقيق هذا غير مهم من ناحية الفكرة العامّة للآية، وهي التركيز على الصفات المميّزة للمتَّقين الذين أعدّت لهم هذه الجنّة، وهي صفات خمس، ثلاث منها تتصل بطبيعة حركة العلاقات الاجتماعية التي تربط المتَّقين بالنَّاس في حيوية الممارسة وإنسانيتها وطهارتها وفاعليتها، وذلك هو قوله تعالى: [أعدَّت للمتَّقين]، وتفصيل الموضوع في هذه الصفات في عدّة نقاط:١ . [الذين ينفقون في السَّرَّاء والضَّرَّاء] الإنفاق على النَّاس في حالتي الشدّة والرخاء، ما

---

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان ، ١ / ٣٥١

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار، ٤٤/ ٣٢٩.

(٣) الريشهري ،ميزان الحكمة ، ٣/ ١٩٤٠

يعني أنَّ هذا الإنفاق ليس حالةً طارئةً في ذات التّقي، يختص بأريحية الإنسان في حالات الرخاء، بل هو حالةٌ أصيلةٌ تحرّك الإنسان نحو العطاء حتّى في أشدّ حالات الضيق والضرّ.٢ . [والكاظمين الغيظ] الذي يعبّر عن الإرادة القويّة التي يواجه بها الإنسان حالات الانفعال التي تدفعه إلى الاندفاع في تفجير الغيظ الذي تمتلئ به نفسه تجاه الآخرين، فلا يسمح لها بأن تجرّه إلى ذلك مما لا تحمد عقباه، بل يُحاول أن يحبس غيظه في صدره.[١]

ثانيا : ترسيخ العقيدة وبالله

المقصود بالعقيدة ما يعد المرء عليه قلبه ويدين به، فهي من الأمور الإيمانية التي يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، فتسهم في بناء المسلم الفكري والثقافي، فتعاد عليها القلوب، وتطمئن إليها النفوس، بيقين قطعي وإخلاص لأنها عقيدة ربانية، فالإيمان بالله عمادها، والعبودية محورها، من خلال أركانها السنة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقصد بها ايضا بالدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد، دعوة الناس باسم الله إلى دين الله عز وجل، الذي لا يقبل في الآخرة من أحد عبادة إلا بإقامة بين الله ودين الله هو الإسلام ومن شواهدها وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (ال عمران : ٨٥)

معنى ذلك: إنه من يطلب دينا أو شريعة غير الإسلام بعد بعثة محمد فطلبه باطل ومرفوض فلن يقبله الله منه، وأن مصيره إلى النار مخلداً فيها [٢]أن أي عمل يعمله الإنسان يجب أن يضع له هدفا، والهدف هذا هو إعلاء كلمة الله، والتزام أوامره و اجتناب نواهيه، فتحصل على الإيمان وتفوز بالجنان وتقوم الدعوة إلى الله بالعقيدة على أساس التوحيد، بمعنى أن الدعوة ينبغي أن تبدأ أولاً بتوحيد الله عز وجل، لأنه الأساس الذي تقبل الأعمال عنده

وقال تعالى : ﴿ وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة :٥١) والمراد به في تفسير الرازي اعْلَمْ أَنَّ هَذا نَوْعٌ آخَرُ مِن كَيْدِ المُنافِقِينَ ومِن خُبْثِ بَواطِنِهِمْ، والمَعْنى: إنْ تُصِبْكَ في بَعْضِ الغَزَواتِ حَسَنَةٌ؛ سَواءً كانَ ظَفَرًا، أوْ كانَ غَنِيمَةً، أوْ كانَ

(١) الطبرسي مجمع البيان،تحقيق: تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخ ، ٨٣٥/٢.

(٢) محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، ١ / ٧٤٠

انْقِيادًا لِبَعْضِ مُلُوكِ الأطْرافِ، يَسُؤْهم ذَلِكَ، وإنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ؛ مِن نَكْبَةٍ وشِدَّةٍ ومُصِيبَةٍ ومَكْرُوهٍ يَفْرَحُوا بِهِ، ويَقُولُوا: قَدْ أخَذْنا أمْرَنا الَّذِي نَحْنُ مَشْهُورُونَ بِهِ، وهو الحَذَرُ والتَّيَقُّظُ والعَمَلُ بِالحَزْمِ، والمُرادُ بِهِ ما يَقُولُهُ أصْحابُنا أنَّهُ سُبْحانَهُ يَحْسُنُ مِنهُ التَّصَرُّفُ في العالَمِ كَيْفَ شاءَ، وأرادَ لِأجْلِ أنَّهُ مالِكٌ لَهم وخالِقٌ لَهم، ولِأنَّهُ لا اعْتِراضَ عَلَيْهِ في شَيْءٍ مِن أفْعالِهِ، فَهَذا الكَلامُ يَنْطَبِقُ عَلى ما تَقَدَّمَ؛ ولِذا قُلْنا: إنَّهُ تَعالى وإنْ أوْصَلَ إلى بَعْضِ عَبِيدِهِ أنْواعًا مِنَ المَصائِبِ فَإنَّهُ يَجِبُ الرِّضا بِها؛ لِأنَّهُ تَعالى مَوْلاهم وهم عَبِيدُهُ، فَحَسُنَ مِنهُ تَعالى تِلْكَ التَّصَرُّفاتُ، بِمُجَرَّدِ كَوْنِهِ مَوْلًى لَهم، ولا اعْتِراضَ لِأحَدٍ عَلَيْهِ في شَيْءٍ مِن أفْعالِهِ.(١)

المطلب الثاني

العقيدة وشمولية الاصلاح

اولا : الايمان بعقيدة الأنبياء:

لقد تجلت النصيرة في دعوة الأنبياء والرسل، وخاصة أولى العرب، وكذلك لم يبعث الله نبياً ولا رسولا إلا أمره سبحانه وتعالى أن يدعو إلى العقيدة والوحدانية، وعبادة الله ونبذ الطواغيت. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(الانبياء : ٢٥) ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل : ٣٦) . هذه النصوص تدل على أن وظيفة الأنبياء كلهم دون استثناء هي الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد وخاصة أولي العزم من الرسل فقد تجلت بصيرتهم في الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد وتكتفي بمثال واحد على كل نبي من أولي العزم... فهذا نوح عليه السلام يخاطب قومه قائلاً أنه لا يرجو من دعوته لهم أجراً لأن أجره على الله، قال تعالى: فإن توليتم فما سألتكم من أخر إن أخرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين (٢).

ومن وسائل الانبياء في اقامة الاصلاح هو التبليغ والبيان وإن عملية الإصلاح في كل زمان ومكان ضرورة تفرضها أحوال الناس، وذلك لما لها من الأهمية العظمى لتسيير شؤون الحياة،

---

(١) الرازي، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب = التفسير ، ٣ / ٢٦٦.

(٢) الذهبي، محمد حسين ، بحث مشكلات الدعوة والداعية في العصر الحديث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٤ /٢٩٢

وإنه حينما يقوم المصلحون بإصلاح الاعوجاج القائم في طبائع الناس، لا بد أن يسلكوا إبلاغ الناس بالاعوجاج، ومدى أضراره على الفرد والجماعة، ثم يليه التوضيح والبيان بأفضل حال وأحسن مقال إذ لا يمكن أن تتم عملية الإصلاح دونما جذب الناس بيسر وتعقل إلى الرشاد ونبذ الشر لما فيه من أخطار، ولو نظرنا إلى أسلوب الأنبياء والرسل في دعوة أقوامهم فإنهم مفعولاً له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه. (١)

وأعلم أن المقصود من هذا الكلام أن القوم كانوا قد أقروا بأنه حليم رشيد، وإنما أقروا له بذلك لأنه كان مشهوداً فيما بين الخلق بهذه الصفة، فكأنه عليه السلام قال لهم إنكم تعرفون من حالي أني لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد والخصومة، فلما أمرتكم بالتوحيد وترك إيذاء الناس فأعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة، فإنكم تعرفون أني أبغض ذلك الطريق ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي، وذلك هو الإبلاغ ،والإنذار، وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه. ثم أنه عليه السلام أكد ذلك بقوله: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب، وبين بهذا أن توكله واعتماده في تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته.

ولما نزل الوحي على رسول الله ﷺ خاطبه ربه بتكليفه مهمة البلاغ والتبيين، وخاصة لأقربائه وعشيرته المقربين، ومعلوم ما يكتنف الأسلوب مع الأقارب من الإحراج الشديد والإعراض الكبير، وما ينتج عنه في حال عدم الاستجابة من السخرية والاستهزاء، والكيد والتحقير، وهذا ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أقرب الناس إليه، وهو عمه ومع هذا فالحق أحق أن يتبع، ولا يهم الداعية إلى الله أن يرضى عنه القريب، وأن يُقدم عليه البعيد، ولكن الأهم أنه قام بدعوة الله وتبليغها للناس، مبتدئاً بالأقرب فالأقرب، وفي قوله تعالى :﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة ٢١٤)

ويشير الآلوسى : ووجه تخصيص عشيرته الأقربين بالذكر مع عموم رسالته صلى الله عليه وسلم : دفع توهم المحاباة ، وأن الاهتمام بشأنهم أهم ، وأن البداءة تكون بمن يلى ثم من بعده

(١) الحاج محمد وصفي ، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص ٣٥٩

..أى : أن هذه الآية الكريمة ، لا تتعارض مع عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للناس جميعا ، لأن المقصود بها : البدء بإنذار عشيرته الأقربين ، ليكونوا أسوة لغيرهم .[١]

ما يميز اصلاح في الشخصية الثورية هي الشمولية وهو ما تحدث عنها القران الكريم ووجوب صيانة وحفظ الامانة المقصود بها (الإنسان) أي روح الإبداع في الإنسان في هذه الحياة الدنيا التي ابتنت على الكدح وبذل الجهد والإبداع. بل نقصد أنّه يتناول كل جوانب الحياة التي تحيط بالفرد والمجتمع، ولا يقتصر دوره على جانب معين منها فهو كتاب شامل في تعاليمه ومحتواه أو فلنقل ليعزز جهود الرسول الكريم (ﷺ) في أدائه لهذا الدور، بتوجيه الأمّة وارشادهم الى ما يضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة فمن الطبيعي أن يشتمل على مختلف الأمور التي تكون فاعلة في إصلاح الأفراد والمجتمع، ولم يقتصر على جانب واحد منها. ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الاسراء : ٩) ويشير تفسير الاية لاحتوائها على كل ما يهم المسلم بإطاره العام وهو:

١- أصول العقيدة الإسلامية من التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة والولاية، وغيرها من المسائل الاعتقادية الأخرى، كالقضاء والقدر والعرش...

٢- الجانب التربوي وما يرتبط به من سمو الاخلاق وتهذيب النفوس.

٣- مجموعة من الأحكام الشرعية والقوانين التي تنظم سلوك المسلم وعلاقاته كفرد، والمسلمين كمجتمع، كما أشار الى اتّباع الرسول (ﷺ) وولاة الأمر الذين يحدّدون باقي التفاصيل وهذا هو مانعنيه من شمولية القرآن ونرى أنّ القرآن قد تصدّى لمهمة أخرى وهي جذب الناس وترغيبهم فيما يصلحهم، ولم يقتصر دوره على سرد مقوّمات الإصلاح ضمن مواد قانونية جافة ومحدودة التأثير بل تضمن أرقى الأساليب البلاغية وأكثرها تأثيراً في النفس، [٢]

أن مبدأ التدرج عند الانبياء من المبادئ التي ترتكز على الحكمة والإتباع أن يراعي الداعية والمصلح مبدأ التدرج في الدعوة والإصلاح؛ فلقد استقر في المنهج الشرعي النظرُ إلى المقاصد والغايات ورعايتها ومما يوصل إلى تحقيق الغايات والمقاصد الأخذ بسنّة التدرج؛ لئلا تقمر الخطوة نتائج معاكسة غير مرغوب فيها؛ وتطبيقاً لهذا المعنى أن يكون معلوماً لدى الداعية

---

(١) الألوسي، شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، ص ١٢٢

(٢)الطبري، تفسير القران الكريم ، ١ / ٢٢٥

والمصلح أن تحصيل الأصول مقدَّم على تحصيل الفروع، ولا مانع من تحصيل شيء من الفروع قبل الأصول، إذا كانت في الطريق، ولم يكن ذلك على حساب تحصيل الأصول، أما إذا كان تحصيل الفروع على حساب الأصول فإن الحكمة، وإن مراعاة سنة التدرج تقتضي تأجيل هذا المقصد إلى وقته المناسب وللدعوة مراحل ووسائل على الداعي استغلالها من أجل الوصول إلى الهدف المنشود بتوفيق من عز وجل. (١)

المبحث الثاني

أبعاد الإصلاح الاجتماعي

ان الإصلاح على اختلاف اشتقاقاتهما مادة غزيرة يزخر بها كتاب الله عز وجل، وهي تحمل في طياتها ألوانا متعددة وملامح وسبلا متنوعة، في إشارة إلى أهمية الإصلاح ودوره في التغلب على المشكلات ومعالجة طرق الفساد سواء على صعيد الفرد أو على صعيد الأسرة ... أو المجتمع ... سواء في جانب الاقتصاد... أو السياسة.. أو التعليم، فلفظة الإصلاح في كتاب الله كلمة أصيلة لها قواعدها المتينة وأسسها الثابتة وطرقها الرصينة مرسومة بشكل دقيق لا لبس فيه ولا غموض ولا اعوجاج، وبما أن الإصلاح هو السبيل للرقي بالمجتمع ويمكن تحديده في مطلبين :

المطلب الأول

الإصلاح سبيل المرسلين

فدعوة الرسل أساسا ترتكز على الإصلاح... إصلاح ما أفسده الناس، قال تعالى على لسان الملائكة: {.. قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك .. (٣٠: البقرة)، كما أن الرسل يتصفون بالإصلاح، وفي الآونة نفسها يدعون الله أن يكونوا من الصالحين؛ في إشارة إلى تواضعهم عليهم الصلاة والسلام، ثم إنه طريق أتباع المرسلين، جعلنا الله ممن يتصفون بهذه المنقبة.

---

(١) الزحيلي، دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا، د.ط، ص ٥٢.

قال تعالى: ﴿ ..وَقَالَ مُوسَى الأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾. (١٤٢: الأعراف)، ويشير الطبطبائي الدليل على ذلك قوله: " اخلفني في قومي " فإن الاستخلاف لا يكون إلا في غيبة. وإنما عبر بلفظ " قومي " دون بني إسرائيل لتجري القصة على سياق سائر القصص المذكورة في هذه السورة فقد حكي فيها عن لفظ نوح وهود وصالح وغيرهم: يا قوم يا قوم، وعلى ذلك أجريت هذه القصة فعبر فيها عن بني إسرائيل في بضعة مواضع بلفظ القوم[١]، وقد عبر عنهم في سورة طه ببني إسرائيل، وأما قوله لأخيه ثانيا: " وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين " فهو أمر له بالاصلاح وأن لا يتبع سبيل أهل الفساد، وهارون نبي مرسل معصوم لا تصدر عنه المعصية، ولا يتأتى منه اتباع أهل الفساد في دينهم، وموسى عليه السلام أعلم بحال أخيه فليس مراده نهيه عن الكفر والمعصية بل أن لا يتبع في إدارة أمور قومه ما يشير إليه ويستصوبه المفسدون من القوم أيام خلافته ما دام موسى غائبا، ومن الدليل عليه قوله: " وأصلح " فإنه يدل على أن المراد بقوله: " ولا تتبع سبيل المفسدين " أن يصلح أمرهم ولا يسير فيهم سيرة هي سبيل المفسدين الذي يستحسنونه ويشيرون إليه بذلك[٢].

واعتمد الاصلاح الاجتماعي على ركائز منها التمسك بكتاب الله تعالى.(إقامة الصلاة.

في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَاب وأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُصلِحينَ﴾ (١٧٠: الأعراف) ان هاتين الركيزتين تمثلان عنوانا لصلاح البشرية، فتحكيم كتاب الله في حياة الناس والتمسك به، وإقامة الشعائر التعبدية وفي مقدمتها الصلاة، أنهما الطرفان للمنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس، ولا تصلح بسواه.[٣]

للإصلاح الاجتماعي مكانته بين أنواع الإصلاح الأخرى، كالإصلاح السياسي والاقتصادي والتعليمي والسلوكي والفكري ، حيث يهتم الإصلاح الاجتماعي بإصلاح أحوال المجتمع

---

(١)الطباطبائي ،تفسير الميزان ، ٨ / ٢٣٦

(٢) نفس المصدر

(٣) سيد فطب ، في ظلال القرآن بتصرف، ١٠ –١٣٨٨/٣.

وإنحرافات الناس ، وشيوع الجرائم بين أفراد المجتمع ، ،والعلاج المناسب لذلك كله، وقد يختلف معي بعض الناس فيقدمون الإصلاح السياسي أو الاقتصادي على الإصلاح الاجتماعي [١].

أن الإصلاح الاجتماعي يأتي على رأس الأولويات، ويشكل حجر الزاوية في عملية الإصلاح فالسياسي يخرج من المجتمع الصالح ،والاقتصادي يخرج من المجتمع الصالح ، والمعلم الذي يصلح أحوال التعليم ويصوب الأفكار يخرج من المجتمع، ويقول الحديث : روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي قال : " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا" .[٢]

ففي وصف الرسولﷺ حال المجتمع بحال (ركاب السفينة ، حيث يكون بعضهم في أعلاها، وبعضهم الأخر في أدناها فالذين في أدناها لا يأخذون حاجتهم من الماء إلا بالمرور من عند من كان في أعلاها ، ثم أرادوا أن يخرقوها حتى لا يمروا على من فوقهم) .

ويتضح من هذا النص الشريف أن المجتمع إذا أهمل الإصلاح، وترك الناس يعملون المعاصي والمحرمات والفواحش هلك الناس جميعاً ، وإن تصدى لهؤلاء أهل الإصلاح فمنعوهم من ذلك نجى المجتمع كله ، وأن أنواع الاصلاح مرتبطة ببعضها إرتباطاً وثيقاً ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لكن الإصلاح الاجتماعي هو الأساس والأصل الرئيس في ذلك كله ، قد يكون عندك سياسي صالح في مجتمع فاسد فهل يستطيع إن يعمل الكثير وحده، والإصلاح الاجتماعي منهج حياة لا يستغني عنه أي مجتمع ، فينبغى أن تكون الأرض صالحة وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الاعراف : ٥٦)

---

(١) البخاري : محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)– صحيح البخاري ، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن الهيثم، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤م، كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، ص٢٨٦، حديث (٢٤٩٣) .

(٢) سيد فطب ، في ظلال القرآن بتصرف، ١٠ –١٣٨٨/٣.

وهنا ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح ! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد فنهى الله تعالى عن ذلك ، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه ، فقال : (وادعوه خوفا وطمعا) أي خوفا مما عنده من وبيل العقاب ، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) أي : إن رحمته مرصدة للمحسنين ، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره.[١]

يقوم الإصلاح الاجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم ابن عاشور أصول الإصلاح الاجتماعي إلى قسمين هما:أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع[٢].

١- الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد: يقوم إصلاح الفرد على إصلاح عقله الذي هو الأساس لإصلاح جميع خصاله، وبعدها يأتي إصلاح أعماله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(فصلت:٣٠).والمعنى: إن الذين قالوا بكل صدق وإخلاص ربنا الله-تبارك وتعالى- وحده، لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته. ثُمَّ اسْتَقامُوا أى: ثم ثبتوا على هذا القول، وعملوا بما يقتضيه هذا القول من طاعة الله-تبارك وتعالى- في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر، ومن اقتداء برسوله صلّى الله عليه وسلم في كل أحواله. قال صاحب الكشاف: وثُمَّ لتراخى الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله[٣]. " (٢١).

يرى الطاهر ابن عاشور أن رسول الله (ﷺ) جمع في قوله "آمنتُ بالله" معاني صلاح الاعتقاد وفي قوله "استقم" معاني صلاح العمل، وبناء عليه فإن أصول إصلاح الأفراد عند ابن عاشور تقوم على إصلاحين، إصلاح الاعتقاد وإصلاح العمل.[٤]

.وقد بين ابن عاشور أن هذه الأصول كانت متحققة في دعوة سيدنا شعيب لقومه، قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ

---

(١) انظر : محمود بن محمد سفر ، الإصلاح رهان حضاري ، دار النفائس ، ص٢٦

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١٩٣٣/٤

(٣) انظر : محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، دار النفائس، ص٧٩.

(٤)ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص١٩٣

وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود:٨٤-٨٥) .

فقد أمرهم عليه السلام بثلاثة أمور:

- إصلاح الاعتقاد، وهو من إصلاح العقول والفكر.
- إصلاح الأعمال والتصرفات في العالم بأن لا يفسدوا في الأرض.
- ووسط بينهما الثاني وهو شيء من صلاح العمل خص بالنهي؛ لإن إقدامهم عليه كان فاشياً فيهم حتى نسوا ما فيه من قبح وفساد، وهذا هو الكف عن نقص المكيال والميزان، فابتدأ بالأمر بالتوحيد؛ لإنه أصل الصلاح، ثم أعقبه بالنهي عن مظلمة كانت متفشية فيهم وهي خيانة المكيال والميزان وهي مفسدة عظيمة؛ لإنها تجمع خصلتي السرقة والغدر، ونهاهم عن الإفساد في الأرض وعن نقص المكيال والميزان[1]. ومن هنا يجدر بكل صالح في عقيدته، أن تصدر عنه الأعمال الصالحة، القلبية والبدنية، فإصلاح الأعمال القلبية وهي الانفعالات النفسية وما يترتب عليها من آثار حميدة أو ذميمة، فيكون بإصلاح الضمائر والأخلاق، والنهي عن الكبر والحسد وغيرها.

المطلب الثاني

أهمية الإصلاح الاجتماعي

تظهر أهمية الإصلاح الإجتماعي في توفير السلام ، والأمن ، والطمأنينة ، والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، ووجود الرحمة والبر والتلاحم والأخوة والتسامح الأجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد و نستطيع أن نلخص أهمية الإصلاح الاجتماعي فيما يأتي :

١- الإصلاح سبب لدفع البلاء والهلاك والضنك عن المجتمعات لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].يقول سيد قطب : "وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم. فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صوره، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية ، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يَظلِم فيها الظالمون ، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون

---

(١)ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ،ص٤٥٨.

فيها من يستنكر ، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تَحقُّ عليها، إما بهلاك الاستئصال. وإما بهلاك الانحلال.. والاختلال.[١]

فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحدَه، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره، هم صمام الأمان للأمم والشعوب .. وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحدَه، الواقفين للظلم والفساد بكل صوره .. إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله ، واستحقاق النكال والضياع.. [٢].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الانفال:٣٣) فوجود النبي (ﷺ) في المجتمع، وهو صاحب المقام الأول في القيام بالإصلاح يحمي المجتمع ، وكذلك الاستغفار والاعتراف بالذنب والرجوع عنه أيضاً سبب للنجاة و يؤكد أن دعوة الإصلاح الاجتماعي يجب أن تتأصل في نفوس أفراد المجتمع، حتى يحافظوا على وجودهم وأوطانهم ،ويحموا أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من الهلاك[٣] .

٢-إرادة الإصلاح سبب لعون الله تعالى للعبد :ويظهر هذا جلياً في أكثر من نص شرعي، قال تعالى على لسان شعيب :﴿ وما أُريدُ أن أُخَالِفَكُم إلى ما أنهاكُم عنه إن أُريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ وما توفيقي إلا باللهِ﴾ (هود:٨٨)، فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لم يرد مخالفتهم لمجرد الانتقاد لهم ، وإنما أراد مخالفتهم لمقصد عظيم وهدف سامي وهو إرادة إصلاحهم ، مع إرجاع الفضل في ذلك إلى الله تعالى في قوله: {وما توفيقي الا بالله} فسمى إرادة الإصلاح توفيقاً لا يتم إلا بإرادة الله تعالى فالإنسان إذا أراد الإصلاح وفقه الله لذلك، وهذا من أعظم الفوائد المستفادة من ذلك .[٤]

٣-الإصلاح سبب للحصول على الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله تعالى :قال تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (النساء:١١٤) والآية في حديثها عن الصدقة في

---

(١) انظر: الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ٤٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠

(٣) ، ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص١٥٠

(٤) ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق د. أحمد حجازي ،ص٢٠٦.

مطلع النص، تشير إلى أهمية إصلاح أحوال الناس اقتصادياً، بينما ذكرها للمعروف والإصلاح بين الناس إشارة إلى الإصلاح الاجتماعي، ومن فعل هذه الأمور أو بعضها إبتغاء مرضاة الله فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً .

٣- الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع: يشمل الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع الإصلاح السياسي والاقتصادي والسلوكي ، ويشار الى إن صلاح المجتمع يكون بطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع والتفرق، لإن ذلك يؤدي إلى الفشل الذريع، والضعف الذي لا تقوم للأمة به قائمة على وحدة الأمة[١]، قال تعالى مخاطباً أمة الإسلام: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢) .

وتشير الاية الى الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده قول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣) وقد بلغ النبي (ﷺ) ذلك للأمة في حجة الوداع وحدة الدين بإتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل، وأكمل تشريعه بما يوافق جميع البشر ودليله قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨) .

وحدة الأخوة الروحية والمساواة بين المؤمنين بهذا الدين في أخوته الروحية، وعباداته،وفي الاجتماع الاجتماعي، منها الصلاة ومناسك الحج، فملوك المسلمين وأمرائهم وكبار علمائهم يختلطون بالعوام والفقراء في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج، ولا يرضى غير المسلمين بمثل هذه المساواة[٢]، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠) وقوله:﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:١١) .

ونجد ان تفسير الآية يؤكد على الإصلاح الاجتماعي آثاره، ففيه معالجة للانقسام الذي قد يحصل بين أفراد المجتمع، وفيه تخليص للمجتمع من الآمه، فهو الذي يغير أحوال الناس

---

(١)ابن هشام، عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق د. أحمد حجازي،ص٢٢.

(٢) انظر : محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ٢٥٨/٣.

جميعاً، ويصلح جميع نواحي حياتهم، إن منهج الإسلام يقوم على إصلاح الأنفس بالعقائد الصحيحة التي تدفع الأوهام والخرافات، والأعمال الصالحة التي تردع الإنسان عن المنكرات والمحرمات وأصناف الفواحش،كما أن الأحكام التي تقوم على العدل بين الناس في حقوقهم ومعاملاتهم تحقق الإصلاح الاجتماعي ،وكل ما مضى مقدم على الرقي في كل مناحي الحياة.[1]

أهتم الانبياء بإصلاح الأسرة، وبالعلاقات بين الزوجين، وبين الأرحام في محضن الأسرة لإن الأسرة هي المكون الرئيس للمجتمع ، ولتحقيق ذلك أوصى الإسلام بالنساء خيراً وأمر باكرامهن والإحسان إليهن، ورتب للزوجين حقوقاً وواجبات على بعضهما البعض، وحقوق للأرحام بين أفراد الأسرة[2]، وجاءت النصوص الشرعية العديدة التي نصت على إصلاح أحوال الأسر، بدءاً من العلاقات الزوجية ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾]النساء: ٣٥[، فهذا نص صريح في وجوب تدخل أطراف الصلح من جهة الزوجين؛ لكي يتداركوا الخلل ويصلحوا بين الزوجين حتى لا تتدمر الأسرة ويتضرر الأبناء[3] ولهذا يرد النص الأخر إلذي ينص صراحة على الإصلاح بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٢٨)، ووصف الله سبحانه وتعالى الصلح هنا بأنه خير ، وبأن المصلحين ينبغي إن يتدخلوا لإصلاح الشؤون الأسرية ،وحفظ العلاقات الزوجية ،والروابط الأسرية ،ثم يأتي نص آخر يتحدث عن أهمية الإصلاح في حالة التعدد ،وبأنه لايجوز تحت أي ذريعة أن يظلم الزوج إحدى زوجاته بالميل عنها وهجرها مدة طويلة ،وبأن عليه أن يصلح؛ لأن الصلح ضرورة في هذه الحالة قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (لنساء: ١٢٩) وهذه النصوص جميعها تؤكد أهمية بقاء الأسرة متماسكة، إذ بصلاح الأسرة صلاح المجتمع بأكمله؛لإن المجتمع يتكون من أسر صغيرة تكون مجتمعاً كبيراً. لذا يمكن القول بأن الإصلاح

---

(١)ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص١٥١

(٢) المصدر نفسه

(٣)المصدر نفسه

الاجتماعي أصل شرعي من أصول الإسلام، دعا إليه القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهو عملية تجديد تتصل بالحياة، بحيث تحمي المجتمع من شيوع المفاسد والمنكرات والانحراف، وبالتالي يتحقق إصلاح البشر من جميع النواحي، وبصلاح الإنسان يصلح العالم والحاجة للإصلاح الاجتماعي تزداد كلما كثر الانحراف في المجتمع؛ لإن كثرة المعاصي سبب للهلاك والدمار ووجود المصلحين سبب للأمان كما نصت على ذلك النصوص القرآنية الكريمة على ذلك .

المبحث الثالث

أبعاد الإصلاح السياسي

أن الإسلام يؤكد الحرية في دائرة الإلتزام كما تؤكده كل الأنظمة الأخرى، فنحن نرى أن كل الأنظمة لا تدعو إلى الحرية الفوضوية،[1] وإنما إلى الحرية المنظمة الملتزمة في دائرة التشريعات التي تفرضها الدولة. ونحن نؤكد حرية الإنسان داخل النظام الإسلامي ضمن الدائرة الأخلاقية التي يخضع لها التشريع الإسلامي في تنظيمه لحياة الإنسان، كما أننا لا نحرك الإسلام على أسسٍ ديكتاتورية، بل نعتبر أن للناس دورهم في هذا المجال.

غير أن لهذه الحالة تاريخها وتقاليدها الخاصة. والمهمة المطروحة الأن لا تقوم في مقارنة الماضي بالحاضر، بقدر ما تقوم في رسم الصورة العامة لتقاليد الفكرة الإصلاحية، من اجل رؤية النوعية الخاصة للإصلاحية. لكنها تبقى في نهاية المطاف جزءا فعالا فيما ادعوه بصيرورة المركزية الإسلامية الحديثة بوصفها صيرورة ثقافية وسياسية لم تكتمل بعد. [2]

المطلب الأول

الإصلاح السياسي

لقد أبدع التاريخ الإسلامي مدارسه وأنماطه ونماذجه المتنوعة عن فكرة الإصلاح. وهذه جميعا بدورها وثيقة الارتباط بالعقائد الإسلامية الكبرى المتعلقة بالوحدانية والأمة والجماعة. الأمر الذي جعل من العقيدة الإسلامية الأولية العامة مصدر الفكرة النظرية والعملية للسلطة والدولة والمجتمع والأمة. مع ما ترتب عليه من بلورة تقاليد خاصة عن فقه الدولة والمجتمع

---

(١) ابن كثير ،عماد الدين إسماعيل ، البداية والنهاية ، ١٣ /١١٩.

(٢) ينظر: ابن اثير ، عز الدين أبو الحسن علي الشيباني، الكامل في التاريخ ،٣٢٣/٢.

والفرد. فقد كان الدور والأثر الكامن للإسلام الأول يقترب بمعايير التاريخ الواقعي آنذاك مع فكرة "الإصلاح الثوري" أو "الثورة الإصلاحية" الشاملة. وفي هذا تكمن خصوصيته بهذا الصدد.

فقد احتوى بقدر واحد على إدراك قيمة الإصلاح الشامل،[١] وفي الوقت نفسه بقي ضمن إطار الرؤية المعتدلة. بحيث تحولت فكرة الاعتدال إلى عصب العقيدة الإسلامية الأولى سواء بمعناها الإيماني الديني أو السياسي. وبهذا يكون قد وضع أسس الفكرة الإصلاحية العملية بوصفها حقا وواجبا بقدر واحد. وبلور بصورة أولية مبادئها الكبرى وغاياتها في مفاهيم وحدة والجماعة والأمة حول أركان الإيمان الإسلامي العقيدة الإسلامية. وبهذا يكون قد أرسى أسس الوحدة الإجتماعية والأخلاقية والروحية والمادية الشاملة بوصفها واحدية إسلامية، مبدأها الأول وغايتها – الوحدانية، أما نموذجها العملي ففي فكرة "الأمة الوسط". [٢]

وقال تعالى بمعنى المعصية { قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رحْمَةِ الله } الزمر : ٥٣.والتعليل هنا، وبعد تسليم حديث حمل الإطلاق على التقييد يكون عطفاً لتتميم الإيضاح كأنه قيل: لا تقنطوا من رحمة الله تعالى فتظنوا أنه لا يقبل توبتكم وأنيبوا إليه تعالى وأخلصوا له عز وجل. وأجاب بعض الجماعة بمنع وجوب حمل الإطلاق على التقييد في كلام واحد نحو أكرم الفضلاء أكرم الكاملين فضلاً عن كلام لا يسلم كونه في حكم كلام واحد وحينئذٍ لا يكون المعطوف شرطاً للمعطوف عليه إذ ليس من تتمته. وقيل إن الأمر بالتوبة والإخلاص لا يخل بالإطلاق إذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الأمر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب.[٣]أن حرية الإختيار التي يجسدها مصطلح العبادية هي كلمة الله العليا التي سبقت لأهل الأرض، وقامت عليها حكمة الخلق بالأساس، وأمر رسول الله صلوات الله عليه بالجهاد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا. وقضية حرية اختياراواقامة العدل بين المسلمين وإصلاح احوالهم والحفاظ على أموالهم ، لولاها لما بقي معنى ليوم الحساب ولا للثواب والعقاب. [٤] لأن العبد لا يستطيع أن يقيم العدالة، ومن هنا اقترن الظلم بالعبودية. أما العباد الأحرار فلا حاجة لتذكيرهم بالعدالة لأنهم يستطيعون أن

---

(١) ينظر: مسعود حايفي ، مدخل إلى دراسة تأريخ الأديان ، ٦٥ .

(٢) القزويني ، كاظم ، فاطمة الزرهاء من المهد إلى اللحد ، ١ / ٢٢٢ .

(٣) الالوسي ، تفسر القران روح المعاني ، ١ / ٢٥٦

(٤) مطهري ، مرتضى ، الرشد اولي العزم ، ١ / ٢٨٣.

يقيموها بأنفسهم باعتبارهم أحراراً. وحين يملك المرء حرية الإختيار ويرتفع عنه سيف الإكراه يصبح قادراً على تحقيق العدالة وصنعها. ننتقل الأن لننظر كيف اخذ الفقه الإسلامي التاريخي بالحرية والعدالة في مسألة الردة[1].

فقد بدأ نبياً ورسولاً وانتهى مؤسساً لدولة مركزية في الجزيرة العربية عاصمتها المدينة المنورة. فترسخ في الوعي السياسي لدى الناس أن أي إنسان يريد أن يصبح له دور سياسي أو أن يصبح رئيس دولة يجب أن يدعي النبوة. وأول من فعل ذلك في العصر النبوي.وحقق مفهوم الأمة وحقوق المواطنة:حددت الأمة تعريفاً لا يقوم على التعصب القبلي ، بل قررت أن الأمة هي كل من يعتنق الدين الجديد بغض النظر عن أصله وقبيلته. إنها أمة قادرة على التوسع واستيعاب الشعوب الأخرى. لم تعد هناك اختلافات بين القبائل ، بل أصبحت العشائر والقبائل أعضاء في أمة واحدة وأصبح ميزان التمايز تقوى وعمل صالح .حكم القانون والإجراءات التنفيذية:

الناس متساوون أمام القانون ؛ إذا انتهك أحد الأمن ، أو ارتكب عملاً فاحشًا ، فإن الأمة بأكملها تتحمل مسؤولية فرض العقوبة المطلوبة ، وأن يتكاتف الجميع في تنفيذ العقوبة ، حتى لو كان أحدهم طفلاً ؛ جاء في الوثيقة: (والمؤمنون الأتقياء ضد من أخطأ أو سعى لنشر الظلم أو المعصية أو العداوة أو الفساد بين المؤمنين ، وأن أياديهم كلها ضده ، وإن كان ابن أحد هم...).يرتبط بسيادة القانون تحويل الانتقام إلى عقاب ، بمعنى: هو عمل يقع على عاتق الأمة بعد أن كانت العشائر تفعل ذلك وفق النظام القبلي الزائف ، والقانون المخصص للعشائر. للفرد في نفس الوقت الحق في تحديد نوع العقوبة بالاتفاق مع المعتدي. من قتل مؤمناً بالدليل فإنه يقود به إلا إذا وافق ولي المقتول ...) وهي على النحو الاتي :

أ. حرية الأديان وتحديد علاقة أتباعها بالدولة: اعترفت الصحيفة بحرية الدين ، وأن أتباعها يعتبرون مواطنين يحق لهم التمتع بحماية الدولة. ونصت الصحيفة بوضوح على حقوق اليهود وواجباتهم مع مراعاة حقوق المواطنة.

ب. سيادة الدولة واعترافها بمظاهر تلك السيادة: قواعد سيادة الدولة هي كما يلي:

١ ، اتحاد عموم السكان ، المواطنين ، لدرء أي اعتداء.

٢، اعتبار الحرب والسلام من اختصاص سيادة الدولة.

---

(١) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء ، ١٦ / ١١٤ .

٣، حرية الوطن وأراضيه

٤ ، رأس الدولة هو المرجع في كل نزاع ، وحكمه واجب التنفيذ وطاعته واجبة.

ومن هنا كان من أهداف هذه المرحلة ترسيخ أركان الدولة الثلاث ، وهي الأمة: التي يمثلها المسلمون ومن تحالف معهم وعهدهم النظام: وهذه الجريدة والصحيفة. مصدرها القرآن والسنة والأرض هي يثرب وما حولها.

٥، تحقيق العالمية بضمان حرية الدعوة وإزالة معوقاتها ومن يقف في طريقها. ، أن يسير بحكمة ومواعظ صالحة ، ليحقق حرية العقيدة بلا إكراه ، ويفرض السلام والأمن ، وينشر العدل في كل الأرض .[١]

ويقول لنبيه: ﴿ إِن مَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ الغاشية:٢١-٢٢ فكيف يستقيم أن يأمر النبي بقتل المرتد؟ – وثمة من يقول: أنت دخلت في الإسلام طوعاً ولم يجبرك أحد ولهذا لا تستطيع الخروج الأن. ونحن نقول: أن معظم المسلمين دخل في الإسلام في شكل آلي لا طوعاً ولا كرهاً، ولدوا من أبوين مسلمين فكانوا مسلمين ولو ولدوا في بلاد البوذية لكانوا بوذيين.[٢]

وإذا كانت هذه العقائد العامة تكمن في أعماق الفكرة الإسلامية الأولى المحمدية، فإنها برزت للوجود بوصفها احتمالا تاريخيا وواقعا جديدا بعد موت النبي محمد. بعبارة أخرى، أن انتهاء مرحلة النبوة كانت البداية الأولية للتاريخ السياسي. مع ما ترتب عليه من حالة الانتقال من نموذج "الوحي المقدس" إلى نموذج الاجتهاد الواقعي. ووجد ذلك انعكاسه الأولي في ظهور فكرة الخلافة ونماذجها العملية من حيث الأسلوب والإدارة والنتائج، بما في ذلك فيما اصطلح عليه لاحقا بعبارة "خلافة الراشدين". لقد كشف ذلك عن أن فكرة الخلافة كانت تعادل ما يمكن دعوته بديناميكية الإصلاح وحدودها في الاجتهاد السياسي الجديد، أي فكرة الاجتهاد في بناء الدولة ومؤسساتها، بوصفها صيغة واعية لإشكاليات العقائد العملية ودراما التاريخ الفعلي. ومن الممكن رؤية ذلك على مثال تطور بنية السلطة ونظامها السياسي في تلك الحلقات المتعرجة والمتدرجة كما جرت أولا في حالة طارئة انتخاب أبو بكر ثم إلى تنصيب في حالة عمر بن

---

(١) أ.د. محمد أبو الفتح البيانونيالمدخل إلى علم الدعوة ، ، ص٨٦

(٢) بشهرآشوب مشير الدين أبو عبدالله ، مناقب آل أبو طالب ،١٨١/٣.

الخطاب ثم إلى شورى وانتخاب عثمان بن عفان ثم إلى ثورة جاءت بعلي بن أبي طالب للحكم.[١]

وقد أدى هيمنتها لقرون عديدة إلى استنزاف وضمور الروح العقلي المبدع في التاريخ الإسلامي، وانغلاق أية إمكانية للإصلاح الذاتي. لكن ذلك لم ينف إرهاصات جزئية متناثرة في التاريخ الإسلامي على امتداد القرنين الأخيرين قبل انهيارها، بوصفها تراكمات جزئية ومبعثرة للفكرة الإصلاحية، قبل أن تظهر بوضوح بوادر الإصلاحية الإسلامية الحديثة. مما حدد بدوره خصوصيتها بوصفها حصيلة تاريخ إصلاحي ديني ودنيوي، "إسلامي" وأوربي، أي إنهُ يحتوي في ذاته على وحدة التاريخ والحداثة، القومي الاممي، العقلي والنقلي.[٢]

لكن مفارقة الظاهرة هذه تقوم في أن الصورة البيانية لظهور الشخصيات الإصلاحية الإسلامية المشار إليها أعلاه تعكس مسار الانحدار أكثر مما تعكس تطور الفكرة الإصلاحية الإسلامية. والسبب يقوم في أن الإصلاحية الإسلامية الحديثة لم تجسد ولم تحقق أفكارها العامة. بمعنى أنها لم تندثر في سماد الصيرورة التاريخية للإصلاح الحقيقي الشامل.[٣]

أن لفظ السياسة في الأخبار الشريفة، وقد كان الأنبياء عليهم السلام ساسة، وقد ورد في جملة من الروايات والآيات الإشارة إلى ذلك، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (داود:٢٦)

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكاً عظيماً﴾ النساء:٥٤ والملك هنا هو القوة التي بها يترشح للسياسة كما أن الملك اسم لكل من يملك السياسة ويتصرف بالأمر والنهي في الجمهور كما هو المستفاد من مفردات الراغب وغيره..[٤]وقد كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء من ورثتهم قد أخذوا بزمام السياسة بأيديهم ما تمكنوا منه وأن لم يتمكنوا من ذلك وجهوا الناس إلى وجوب ذلك مهما قدروا وكانوا عليهم السلام يرجعون الناس إلى علماء الأمة ونواب الأئمة فقولهم عليهم السلام فإني قد جعلته عليكم حاكماً وكقوله عليهم السلام: أما الحوادث الواقعة

---

(١) ينظر:أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ،أنساب الأشراف، ١/٤ -٢ .

(٢) ينظر: فتحي يكن ، أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان ، ١/ ٢٣٥-٣٣٠.

(٣) الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،١٨٤/٣ .

(٤) السيد محمد حسين فضل الله ، الحركة الإسلامية هموم وقضايا ، ٤٦-٤٩.

فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم وغير ذلك من الأخبار والأدلة المتضافرة كما عرفتها في بحث ولاية الفقيه.[١]

المطلب الثاني

الإدارة السياسية وإصلاح الحكام والمجتمع

وكيف كان فإنه لما كانت السياسة مركز الحياة العامة للمجتمعات الإنسانية فقد كثرت فيها التعريفات والاجتهادات وقد عرفتها بعض المدراس بالمفاهيم السلبية وبطريقة نقدية، فقد عرفها بعضهم بأنها فن حكم البشر عن طريق خداعهم، وعر فها آخر بأنها فن تأجيل تأزم المشاكل والمعضلات. إلى غير ذلك من التعاريف الناظرة إلى السياسة من الجهة السلبية والى الظلم والفساد.[٢]إلا أن من الواضح أن هذه التعاريف خلطت بين الممارسة والمفهوم، وحملت خطأ التطبيق على المعنى. [٣]وكيف كان فإنه يمكن القول بأن مما يتفق عليه الآراء والاجتهادات هو أن السياسة فن ممارسة القيادة والحكم، وله مراتب وأسمى مراتبه هو العلاقة العادلة بين السلطة والشعب والحاكم والمحكوم، ومن هنا فسرها البعض بالإدارة ولعل أكثر التعاريف اختصاراً لها وشمولية ما ذكره السيد الشيرازي قدس سره في الفقه السياسة حيث قال: هي إدارة العباد والبلاد. فبالعباد لم يفرق فيها بين رأي أو مذهب أو دين أو قومية أو لغة أو ما أشبه فإن جميع عباد الله الذين يقطنون أرضاً واحدة يجب أن تقوم بشؤونهم سياسة الدولة وكذا الكلام في البلاد من دون فرق بين سهل أو جبل أو بحرٍ أو بر أو غابة أو حقلٍ وما أشبه فكل الثروات الوطنية ينبغي أن تنالها سياسة الدول بالنظم والحماية والاستثمار على الوجه الأحسن.لكن الإنسان بما هو إنسان لا يمكنه الاستغناء عن السياسة ولا العلم بها، لأنه مدني بالطبع ويجب عليه اختيار المعيشة الحسنة والفكر الوقاد والهدوء والسكينة والاستقرار وتحقيق الانجازات والآمال ويتكامل في هذه الدنيا مادياً ومعنوياً، كما عليه أن يعلم كيف ينفع البشرية وينتفع بهم وهذا ما لا يتم إلا بواسطة

---

(١) راشد الغنوشي ، محاور إسلامية ، ٤١.

(٢) ينظر:أبو الأعلى المودودي ، نحو ثورة سلمية ،١٠٥.

(٣) ينظر: مجلة منبر الإسلام ، القاهرة ، السنة ٥٣ ، العدد ٦ ، ٤٩.

هذا العلم.[1] تتجلى سياسة الدولة وخططها عادة في مجالات أربعة، وبواسطتها يحكم على عدالتها وظلمها ونجاحها وفشلها وهي:[2]

١- السياسة الداخلية.

٢- الاقتصاد.

٣- القوة والجهاد.

٤- السياسة الخارجية.

ونعني بها الوظائف والمهام التي يجب على الدولة أن تقوم بها تجاه الرعية وجوباً عينياً تعيينياً أو تخييرياً أو وجوبا كفائياً على اختلاف الموارد والشرائط ومن أوليات واجبات الدولة التي يجب عليها القيام بها أمور تأتي بحسب تسلسل الحاجات البشرية ويحرم على الدولة التخلف عنها أو التخل ي عن مسؤوليتها تجاهها:

- الأول: حفظ النظام ومنع الإخلال بالأمن والهرج والمرج.

- الثاني: القيمومة على حفظ الحقوق الأولية والثانوية ابتداء من الطعام والشراب إلى السكن والنكاح والعمل والتعليم ونحوها كحاجات أولية ثم توفير الرفاه العام والكرامة الإجتماعية للجميع.[3]

- الثالث: بسط العدل في الناس ومساواتهم أمام القانون بلا فرق بين أهل الملل والأديان والعناصر والأعراق ونحوها..

- الرابع: توفير فرص التنمية والتكامل للجميع في بعديها المادي والمعنوي.

- المسألة الأولى: وحدة المجتمع المسلم وتماسكه وتعاطفه وتعاونه وتناصره ضرورة إنسانية وحاجة سياسة وواجب شرعي وعقلي والإخلال به حرام بل ويعد كبيرة من الكبائر لما يترتب عليه من مفاسد ومخاطر عظيمة، فواجب الوحدة بين المسلمين يعلو فوق جميع المصالح الفردية والفئوية والعنصرية واللغوية ونحوها ولا يجوز لأحد انتهاكه إلى مزاحم أهم كالمصالح العليا للإسلام والحفاظ على حوزته وبيضته، وقد ورد تشريع واجب الوحدة باعتباره واجباً على عموم

---

(١) ينظر : ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تح: محمّد طه الزيني، ١٩/١.

(٢) ينظر: د. حسن الترابي ، الحركة الإسلامية في السودان ، ١٩٩.

(٣) ابن اثير، عز الدين أبو الحسن ،الكامل في التاريخ، ٧٥/٣.

الأمة في الأدلة الأربعة، ولعل من أصرح ما ورد فيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا أن الله مع الصابرين﴾ الانفال:٤٦

ثم يقول سبحانه: ﴿آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكاً عظيماً ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ النساء:٥٤.[١]ولا يخفى إنهُ كان اختلافهم على الإيمان والعقيدة فأنكروا رسالات الأنبياء عليهم السلام وفرقوا المجتمع إلى مؤمنين وكافرين وكانوا بعملهم هذا معتدين بداهة إنهُ بعد قيام الحجة والبينة لا ينكر إلا المعتدي والباغي الذي يريد غير الهدى والصلاح ولذا فإن مصيره إلى النار.الملحوظ أن هذا الخطاب بما تضمنه من تكاليف شرعية عديدة موجهة إلى الأمة بنحوٍ عام وقد جعلت الآية الشريفة مراحل تدريجية لسياسة التعامل مع الفتن تبدأ من الإصلاح أولاً بما يتطلبه من الجمع بين الحقوق وإيجاد الحلول الوسطى التي يمكن أن يتفق عليها الطرفان لأن الصلح خير ولأنه مقتضى قاعدة العدل فإن أبت إحداهما عن الصلح ووافقت الأخرى صارت الآبية باغية وكذا إذا حاربت واحدة من الطائفتين الأخرى التي توفرت فيها الشرائط الشرعية فصارت المحاربة باغية أي متجاوزة من الحق إلى الباطل فهي معتدية فيجب ردع العدوان والوقوف أمامه لإرجاعها إلى المصالحة والاتفاق بالعدل.أن الإصلاح على نحوين:[٢]

– الأول: الإصلاح الحقوقي وهو فيما أمكن تشخيص الحق وتمييزه عن الباطل وبالتالي تشخيص صاحب الحق والمعتدي عليه فحينئذٍ يجب إعطاء الحق لأهله وردع المعتدي ومنعه من عدوانه.

– الثاني: الصلح الاتفاقي وهو فيما لو التبس الحق بالباطل أو تناصفت الطائفتان ببعض الحق وببعض الباطل كما هو الغالب في النزاعات السياسية والاجتماعية فحينئذٍ لا مجال إلا باللجوء إلى الصلح الاتفاقي الذي يجمع لكل طرف منهما بعض حقه للابدية العقلية إذ لولاه لتعذر الحكم أما بترك النزاع متواصلاً وهو باطل، أو ترجيح أحدهما على الأخر وهو ظلم للآخر أو يتنازل أحدهما وهذا ليس ممكناً دائماً والكلام في صورة التنازع وعدم التنازل، فيتعين الجمع بالتوافق بينهما وهو خير كما قال سبحانه: ﴿الصلح خير﴾ النساء:١٢٨ لكونه يجمع بين الحقوق.ثم

---

(١) ينظر: فتحي يكن ، أبجديات التصور الإسلامي الحركي ، ١٦٥.

(٢) الصدر، محمّد باقر ،فدك في التاريخ، تح: عبد الجبار شرارة ،١/ ١٠٦ – ١١٢.

بعد ذلك ذكرت الآية فلسفة الصلح وسبب الدعوة إليه وهو الأخوة الإيمانية والإسلامية ثم تدعو المجتمع إلى تجنب عوامل التفرقة وأبرزها التكبر والتعالي على الآخرين، واحتقارهم واستصغارهم والاستهانة بشأنهم قال سبحانه: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ الحجرات:٩ فإن معيار الوضاعة والعلو والكبر والصغر ليس المظهر والشكل بل واقع القلب والنفس والعقل وهذا أمر لا يمكن أن يحكم به الإنسان بحسب المظاهر الخارجية ولذا قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات : ١١) ومن الواضح أن عسى وأن كانت تفيد الترجي والانتظار إلا أنها في الآية تدل على الواقع أما لجهة وجود الأفضل في ضمن المجموع كما هو الغالب إذ فوق كل ذي فضل أفضل وفوق كل ذي علم عليم. أو لجهة حث الأفضل على التواضع بأن يكف لسانه ونظره وفكره عن التعالي راجياً من يكون الأفضل منه في الآخرين على ما هو الأقوى في تفسير مثل عسى ولعل ونحوهما في القرآن خلافاً لكثير من المفسرين حيث حملوهما على اللازم دفعاً لمحذور الرجاء في الباري سبحانه وتعالى.[١]

هذا ولا يخفى أن وجود الوحدة في المجتمع لا يعني إلغاء التنوع واختلاف الاجتهادات والآراء والمناهج، بل هذا من الضرورات الأولية في البشر كما أن قيامها على الوجه الإيجابي من الضرورات الأولية للتطور والتكامل لاستلزامه التنافس وإيجاد الأفضل، وإنما المراد من الوحدة هي الوحدة الروحية والاجتماعية والعاطفية والعقيدية في مقابل التعدد السلبي المسبب للصراع والتفرق والتشتت.كما أن الوحدة الإجتماعية لا تمنع من تكوين الأحزاب والتعددية الحزبية والتكتلات الإيجابية كما عرفته في المبحث السابق، كما لا يمنع من نظام التحالفات لو كانت في الإطار الإيجابي لشمول أدلة الوحدة والسلطنة والقوة والعلو لمثلها بل هو مما قامت عليه سيرة رسول الله ﷺ ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكره التاريخ في مثل حلف الفضول وغيره.[٢]ولعل من المناسب التذكير هنا بكتاب الحلف بين ربيعة وأهل اليمن الذي أملاه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كما أورده المرحوم الشريف الرضي رضوان الله عليه في نهج البلاغة حيث ورد فيه: هذا ما

---

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان ، ٤/ ٢٧٣

(٢) ينظر : المعتزلي، ابن أبو الحديد ، شرح نهج البلاغة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم،١/١٣٠.

اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها أنهم على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويجيبون من دعا إليه وأمر به وإنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه أنصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوماً ولا لمحبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وسفيههم وعالمهم وجاهلهم فإن هذا العهد نص على مجال الوحدة والتعاون بين الفريقين لغرض المصالح العليا لحفظ حوزة الإسلام وكرامة المسلمين .

المبحث الرابع

أبعاد الإصلاح الاقتصادي

يعتبر النشاط الاقتصادي العام للمجتمع الفاضل وقدرته المالية ودخله العام من أهم القضايا التي تعتمد عليها القوة المالية للمجتمع الفاضل وقدرته على الحركة والحماية من الأخطار والمخاطر، والصمود أمام الصعوبات والضغوط – يعتمد وبدون أخذ هذه المسألة بعين الاعتبار لا يمكن لأي مجتمع أن يبلغ الكمال، أو ينجو من تقلبات الزمن، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الإسلام قد اهتم كثيراً بالجانب الاقتصادي .فعلى سبيل المثال، لعبت الإمكانات المالية الكبيرة للسيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) دوراً حيوياً للغاية في مساعدة المسلمين على الصمود في وجه المحن ومقاومة الحصار المالي الذي فرض عليهم في بداية نشر الإسلام.

المطلب الاول

الاقتصاد الاسلامي واثره على نظام العالم

الاصلاح الاقتصادي ويُقصد بها: مجموعة القواعد والأحكام التي تنظم جانباً معيناً من جوانب الحياة الإنسانية ويصطلح المجتمع على وجوب احترامها وتنفيذها[1].

(١) ينظر : الحجازي ،عبد الحي ، مدخل لدراسة العلوم القانونية ،ص٥ وما بعدها .

ونظراً لأن الجانب الاقتصادي من الحياة يهم جميع شرائح المجتمع فقد تولت الشرائع السماوية بيانه وتنظيمه ، كما أن المجتمعات البشرية قد تعارفت على بعض المفاهيم والعادات التي يقصد بها تحقيق العدالة الإجتماعية في توزيع الثروات المالية ولما كانت الشريعة الإسلامية آخر الشرائع السماوية فقد اعتنت بهذا الجانب وأقرت العديد من القواعد والأحكام العامة والتفصيلية التي تبين أصول العلاقة المالية بين الأشخاص والأموال من جانب ، وبين الأشخاص بعضهم مع بعض فيما يتعلق بشؤونهم المالية من جانب آخر، ويختلف تعريف الإصلاح الاقتصادي الإسلامي بحسب الجانب الذي نظر إليه المعرف فقد يعرفه بالنظر إلى أصوله التي يقوم عليها ومن ذلك تعريفه بأنه " مجموعة الأصول الاقتصادية العامة التي نستخرجها من القرآن والسنة، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر "[1] وقد يُعرف بحسب غايته وهدفه ومن ذلك تعريفه بأنه: " العلم الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه ". [2]

ولعل الأنسب في تعريف النظام الاقتصادي الإسلامي أن يُعرف بحسب حقيقته وجوهره ونستطيع تعريفه بناءاً على هذا الاتجاه بأنه مجموعة الأحكام والسياسات الشرعية التي يقوم عليها المال وتصرف الإنسان فيه، مجموعة الأحكام : الحكم الشرعي هو ما نص عليه الشارع مما يتعلق بأحكام المكلفين على وجه الطلب والتخيير الأحكام التكليفية الخمسة وهي الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة أو الوضع كالصحة والفساد أو جعل الشيء شرطاً لشيء آخر أو سبباً له أو مانعاً منه والسياسات الشرعية : السياسة الشرعية هي: ما يفعله ولي الأمر أو تسنُهُ الدولة من نظم يقصد بها تنظيم أحوال المجتمع وطرق تعاملهم فيما بينهم وتكون غير معارضة للأحكام المنصوص عليها ومبنية على تحقيق المصالح ودرء المفاسد[3] ،التي يقوم عليها المال : يُقصد بالمال : ما له منفعة مقصودة مباحة وله قيمة مادية بين الناس ويشمل ذلك المال النقدي : أي النقود ، والمال العيني : أي الأعيان والأعراض كالعقارات والسيارات وسائر السلع ، والمنافع: سواء منفعة الإنسان أو منفعة المال العيني، ولذا فإن المال ليس مقصوراً على

---

(١) ينظر: د. محمد العربي ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ١٤/١ .

(٢) ينظر: د. محمد الفنجري ، المذهب الاقتصادي في الإسلام ،٣٠٠ .

(٣) ينظر د. عبد العال عطوه، المدخل إلى السياسة الشرعية ،٥٢.

المال النقدي فقط وإنما يشمل جميع هذه الأنواع وهو ما يُعبر عنه في علم الاقتصاد بالمواد الإنتاجية وتصرف الإنسان فيه : أي تصرف الإنسان في المال كإنفاقه أو بيعه ونحو ذلك من سائر التصرفات المالية .

وفي القرآن الكريم نجد قول الله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾،(فمنهم مقتصد)،(واقصد في مشيك).

والمعنى الذي دارت حوله هذه الكلمات هو الاعتدال والمنزلة بين المنزلتين: منزلة الإفراط ومنزلة التفريط.

لم يتبن الإسلام العدالة الاجتماعية بمفهومها التجريدي العام، ولم يناد بها بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا اوكلها إلى المجتمعات الإنسانية التي تختلف في نظرتها للعدالة، الاجتماعية، باختلاف افكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة، وانما حدد الإسلام هذا المفهوم وبلوره، في مخطط اجتماعي معين – واستطاع – بعد ذلك ان يجسد هذا التصميم في واقع اجتماعي حين تنبض جميع شرايينه واوردته بالمفهوم الإسلامي للعدالة.(١)

وتقدم العدالة الاجتماعية من وجهة نظر النظام الاقتصادي الإسلامي على مبدأين عامين،الأول مبدأ التكافل العام، والثاني مبدأ التوازن الاجتماعي، في التكافل الاجتماعي والتوازن في توزيع الثروة في المجتمع يتم تحقيق العدالة الاجتماعية – ان هذه الاركان الاساسية في الاقتصاد الإسلامي التي تتمثل في ملكية وسائل انتاج ذات اشكال متنوعة، يتحدد التوزيع خلالها – ثم حرية في النشاط الاقتصادي محدودة بالقيم الإسلامية والعدالة الاجتماعية التي تكفل للمجتمع سعادته وقوامها التكافل الاجتماعي والتوازن.وللمذهب الاقتصادي في الإسلام صفتان اساسيتان هما الواقعية والاخلاقية:فأما الواقعية فالاقتصاد واقعي في غايته لأنه يستهدف في انظمته وقوانينه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية بطبيعتها وخصائصها العامة... ويقيم مخططه الاقتصادي دائماً على اساس النظرة الواقعية للانسان، ويتوخى الغايات الواقعية التي تتفق مع تلك النظرة – الاخلاقية حين نجد ان الإسلام لا يهتم بالجانب الموضوعي فقط وهو تحقيق الغايات، وانما يهتم ايضاً بالعامل النفسي. والطوعية..لاتباع الطرق التي تتحقق بواسطتها

(١) ينظر د. عبد العال عطوه، المدخل إلى السياسة الشرعية ،٥٢.

الاهداف وبذلك يزج النظام الإسلامي العامل النفسي والذاتي بالطرق التي تحقق الغايات المرجوة، لذلك جعل الإسلام من الفرائض المالية (الخمس والزكاة مثلاً) عبادات شرعية، يجب ان تتبع عن دافع نفسي نيّر، يدفع الإنسان إلى المساهمة في تحقيق غايات الاقتصاد الاسلامي، بشكل واع ومقصود، طلباً لرضا الله تعالى والقرب منه.[١]

ان الاخلاق الاقتصادية لم تكن في العالم الإسلامي الا مجموعة مثالية واذا ما رجع المفكر أو القضية لاثباتها كأصول لمنظومة التفكير الاقتصادي فان هذا لا يعني مطلقاً انها اخلاق اقتصادية معمول بها، ولا ننسى أن الفقه في هذا الميدان الاقتصادي على الخصوص، سلك في تشريعاته الموقف الوسط بين المثالية المتجلية في الاصول، والواقع الحي الذي يتجلى في المعاملات الكثيرة التطور في مختلف الازمنة والمجتمعات

المطلب الثاني

العلاقة بين النظام الاقتصادي الإسلامي والعلوم المشابهة

أ – العلاقة بين النظام الاقتصادي الإسلامي وفقه المعاملات:

فقه المعاملات هو أحد فروع علم الفقه ويُقصد بعلم الفقه " العلم الذي يهتم بدراسة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية [٢]".

والنظام الاقتصادي الإسلامي له صلة وثيقة بعلم الفقه وخاصة الزكاة في فقه العبادات، والنفقات والفرائض في فقه الأسرة ، وسائر أبواب فقه المعاملات المالية ، والتي تشمل العقود والتصرفات المالية كعقد البيع والإجارة والقرض والرهن والكفالة والحوالة والعارية والوديعة واللقطة والشركة والصلح والسبق والهبة والوقف والوصية وغيرها من العقود والتصرفات المالية ولكن هذا الارتباط لا يصل إلى حد الاندماج و أن لكل علم موضوعه المستقل عن الأخر ، ومن الفروق بين النظام الاقتصادي وفقه المعاملات ما يلي :

---

(١) ينظر: د. محمد الفنجري ، المذهب الاقتصادي في الإسلام ،٣٠٠ .

(٢) ينظر : د. عبد الله الدرعان، المدخل للفقه الإسلامي ،٣١.

١- النظام الاقتصادي الإسلامي أعم وأشمل من فقه المعاملات المالية حيث إنهُ يقوم عليه وعلى غيره من أبواب الفقه كالزكاة والنفقات والفرائض والنظام المالي للدولة إضافة إلى الجانب العقدي – مكانة المال والنظرة

٢- أما فقه المعاملات فهو خاص ببحث المعاملات المالية بين الأفراد والمجتمعات والدول أن النظام الاقتصادي يدرس النظريات العامة المرتبطة بالمال والعلاقات المالية كالملكية بقسميها العامة والخاصة ، والحرية الاقتصادية وضوابط تقييدها والتكافل المالي الإجتماعي ، ومنهج الإسلام في الإنتاج ، والاستهلاك والتوزيع والتداول.

ثانياً العلاقة بين النظام الاقتصادي الإسلامي وعلم الاقتصاد :

علم الاقتصاد الاقتصاد التحليلي هو أحد العلوم الإجتماعية التي تهتم بدراسة الكيفية التي يتم بها توزيع الموارد الاقتصادية على الحاجات والرغبات الإنسانية وذلك بقصد مساعدة الأفراد والمجتمع على الإختيار بين البدائل المتعددة بغرض تحقيق أقصى منفعة أو عائد ممكن[١] وينقسم علم الاقتصاد إلى فرعين رئيسيين هما :

١- الاقتصاد الكلي : وهو الذي يهتم بدراسة مشاكل الاقتصاد ككل ، حيث يقوم بتحليل سلوك الوحدات الاقتصادية مجتمعة على أنها وحدة واحدة مكونة للاقتصاد القومي ، ومن مباحث هذا القسم : تحديد مستوى الدخل القومي ، الإنتاج القومي ، الاستهلاك القومي ، متوسط مستوى الأسعار ، مستوى التوظيف والتشغيل ، الإنفاق الحكومي .

٢- الاقتصاد الجزئي : وهو الذي يهتم بدراسة مشاكل الوحدات الاقتصادية الفردية كالفرد والعائلة والمؤسسة ..الخ . وكذا دراسة الأشكال المختلفة للسوق وكيفية تحديد الأسعار فيه ، ومن مباحث هذا القسم : نظرية العرض والطلب ، ونظرية الإنتاج والتكاليف ، ونظرية سلوك المستهلك ، وتوازن السوق واستقرارية التوازن[٢] .ومن أوجه الفروق بين علم الاقتصاد أو ما يسمى بالاقتصاد التحليلي ، والنظام الاقتصادي ما يلي :

---

(١) ينظر : خالد الدخيل، مقدمة في النظرية الاقتصادية الجزئية ، ٣ .

(٢) نفس المصدر ، ١٠-١١ .

١ النظام الاقتصادي لا يقوم على تفسير الحياة الاقتصادية وأحداثها ، أما علم الاقتصاد فهو قائم على دراسة الظواهر الاقتصادية وتفسير أحداثها على أساس الاستقراء والملاحظة والاستنتاج العلمي .

٢ النظام الاقتصادي يتأثر بعوامل غير اقتصادية لتأثره بمفهوم العدالة الإجتماعية، إذ لكل نظام فكرته المستقلة عن العدالة التي يحكم من خلالها على ما يجري في الحياة .أما علم الاقتصاد فلا يتأثر بفكرة العدالة لأنها ليست فكرة قابلة للقياس بالأساليب المادية[١].

٣ النظام الاقتصادي تتفاوت فيه المجتمعات والحضارات تبعاً لمبادئها التي تؤمن بها، أما علم الاقتصاد فيوجد فيه تفاوت إلا إنهُ أقل من التفاوت بين الأنظمة الاقتصادية، وذلك لأنه متعلق بالظواهر الاقتصادية كالعرض والطلب والتكاليف والإنتاج والتوازن ..الخ والتي لا تختلف بين مجتمع وآخر وإنما الذي يختلف كيفية معالجة هذه الظواهر فيما يحقق مصلحة الأفراد والمجتمع وهذا التفاوت في علم الاقتصاد مرتبط بالعقائد والمبادئ التي تؤمن بها المجتمعات ، إذ لكل مجتمع مبادئه التي يؤمن بها والتي قد تتفق أو تختلف مع المجتمع الأخر، وحيث أن الإسلام له مسلكه الخاص في توجيه الموارد الإنتاجية فإننا نجد أن للاقتصاد التحليلي في الإسلام استقلالية في أدوات البحث والتي تتفق مع عقيدته وشريعته ، ويطلق على هذا العلم " الاقتصاد التحليلي الإسلامي " .

وعلى ضوء هذا الواقع المتلازم مع الإخفاق في برامج التنمية والحرية التي وعدت بها الدولة الناشئة بعد عهود الاستعمار، برزت إتجاهات في الفكر الإسلامي بمواجهة إشكالية العلاقة بين الدين والدولة، وبين الدين ومدى ملاءمته للتطورات الحديثة في حقل السلطة والتشريع، وتلازمه مع مقتضيات العدالة والتنمية والتأطير العام خصوصاً في المجتمعات المتنوعة الذي يشكل أحد خصوصيات هذا الواقع بتعقيداته الإجتماعية والثقافية.ففيما مضى كان شكل الحكم في الإسلام متفقاً عليه أثناء حياة النبي محمدﷺ لجهة الحاكمية التي شغلها هو نفسه. وبعد وفاته طرحت الإشكالية حول طبيعة النظام السياسي الإسلامي في كيفية انبنائه، وآليات تشكله. حتى ذلك

---

(١) ينظر : د. صالح العلي ،عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي ، ٥٠.

الحين لم تكن موضوعة الفصل بين الديني والزمني مطروحة بشكل حثيث على الفكر الإسلامي وإنما جل ما كان مطروحاً هو ما كان حول الآلية التي يتم من خلالها تشكل السلطة، وبالتالي تكون مشروعية الحاكم هي المطروحة وليست مشروعية أحكام الدين باعتبارها أحكاماً فردية وأحكاماً اجتماعية تستوجب وجود سلطة لضمان تنفيذها وتشييد المجتمع الإسلامي على قواعد العدالة المفترضة بحسب التعاليم الدينية .

الفصل الرابع

الاصلاح عند منهج الانبياء

المبحث الأول : نبي الله ابراهيم عليه السلام

المبحث الثاني نبي الله موسى عليه السلام

المبحث الثالث : نبي الله شعيب عليه السلام

المبحث الرابع : نبي الله يوسف عليه السلام

المبحث الخامس : نبي الله محمد ﷺ

الفصل الرابع

الإصلاح عند الانبياء

توطئة

أن الإصلاح روح إسلامية. فكل مسلم بحكم كونه مسلما هو إصلاحي شاء أم أبى، وعلى الأقل من أنصار الإصلاحية لقد بذل الأنبياء الإلهيون جهودًا كبيرة لإجراء الإصلاحات في المجتمعات البشرية وعملوا بجد من أجل ازدهار الفكر الإنساني وكثيراً ما تظهر في تفاسير القرآن كلمتي "الإصلاح" و"المصلحين"، ويفصل القرآن الكريم بين المصلحين والمفسدين ويعدد خصائصهم.، وكثيراً ما يقوم المفسدون بالتغيير تحت شعار الإصلاح، وهو ما يبين القرآن خطتهم إلى درجة أنه جاء في سورة البقرة أن المفسدين لا يقدمون إلا أنفسهم على أنهم مصلحون حقيقيون، والله بارك الله فيهم، وهو المفسد، وقد صدق: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(البقرة: ١١) كما ينظر الأنبياء في فلسفة رسالتهم لإصلاح المجتمع. وكما قال نبي الله شعيب لقومه: ﴿ الَ يٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ (هود: ٨٨).

ومن خلال سياق آيات القرآن الكريم، يمكن أن نفهم جيدا أن الأنبياء تابعوا بكل قلوبهم مهمة إصلاح المجتمع البشري، وبهذه الطريقة، لم يفوتوا لحظة واحدة، وبإصلاحهم لقد قاموا بإصلاح الفكر الديني للمجتمعات البشرية، وقاموا بإصلاح البنية الاقتصادية وطريقة الحكم، وعلى مر التاريخ، وقف المجتمع البشري ضد القوى القمعية من خلال الثقة في الله.

المبحث الأول

نبي الله إبراهيم عليه السلام

لقد خص الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بالفضائل العظيمة، والمكارم الجليلة، فكان الإمام ، والأمة، والحنيف ، القانت لله عز وجل، الذي ينتسب إليه جميع الأنبياء بعده، ويَرِد مُصطلح النبوة، هو الإيمان بِالرسُلِ، البلاغ، الدعْوَة، الصبْرُ في العَقِيدَةِ في عِدةِ أبواب، منها: بابُ تَوْحِيد الأُلُوهِيَةِ عند الكلام عن الشفاعَةِ[1]، وباب: توحيد الأسماء والصفات وباب الإيمان، عند الكلام عن زيادَةِ الإيمان ونُقصانِهِ وتَفاضُلِ أَهْلِ الإيمان وباب: الإيمان باليَوْمِ الأخر، عند الكلام عن أحوالِ الناسِ يَوْمَ القِيامَةِ، وغَيْرِ ذلك[2].

المطلب الاول

من هو النبي ابراهيم عليه السلام

النبي ابراهيم عليه السلام : وفقًا للعقيدة الإسلامية ، كان إبراهيم نبيًا ورسولًا من الله ، وجدًا للإسماعيليين العرب وإسرائيل يلعب إبراهيم دورًا بارزًا كمثال للإيمان باليهودية والمسيحية والإسلام في مسلم إيمانًا بأن إبراهيم تمم جميع الوصايا والتجارب التي رعاها الله طوال حياته. نتيجة لإيمانه الراسخ بالله ، وعد الله إبراهيم بأن يكون قائدًا لجميع دول العالم. ويمجد القرآن إبراهيم كنموذج ومثال ومطيع وليس وثنيًا. بهذا المعنى ، يوصف إبراهيم بأنه يمثل "الإنسان البدائي في الاستسلام الشامل للواقع الإلهي قبل تجزئته إلى ديانات منفصلة عن بعضها بسبب الاختلافات في الشكل"، ، كان لإبراهيم ، في عقيدة الإسلام ، دور فعال اصلاحي في تطهير عالم الوثنية في ذلك الوقت. تم القضاء على الوثنية من قبل إبراهيم في كل من شبه الجزيرة العربية وكنعان ، لقد ظهر كلا المكانين روحياً كما ظهّر جسدياً بيوت العبادة. كما أسس إبراهيم وإسماعيل إسماعيل مناسك الحج أو " الحج " ، والتي لا يزال المسلمون يتبعونها حتى اليوم.

---

(١) ينظر: العبوسي ، جعفر صالح ،الانبياء في القرآن الكريم قصص وعبر،٢/ ٤٣٤

(٢) ينظر: ابن مريم عبدالقادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، ٢/ ٤٧.

يؤكد المسلمون أن إبراهيم طلب كذلك من الله أن يبارك في ذريته ، إسماعيل وإسحاق إسحاق ، وأن يحفظ جميع نسله في حماية الله

وإبراهيم عليه السلام هو أفضل الأنبياء والرسل بعد نبينا محمد ﷺ ، ولهذا أخبرنا الله تعالى إنهُ اتخذه خليلا ﴿ وَاتخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النساء:١٢٥ ، فإبراهيم عليه السلام هو أبو العرب ، وهو أبو النبي ﷺ من جهة النسب، وإبراهيم هو الذي أمر النبي ﷺ وسلم باتباع ملته ﴿ ثُم أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أن اتبِعْ مِلةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النحل:١٢٣، ولهذا كان نبينا ﷺ ونحن تبع له أولى الناس بإبراهيم عليه السلام [١]

كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران:٦٨، وقال رداً على اليهود والنصارى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلا نَصْرَانِياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران:٦٧ ، ويمثل إبراهيم عليه السلام ، نبي التوحيد وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبيا:٢٥، وهو يدعو إلى التوحيد الخالص ، واليهود والنصارى ادعوا أنهم أتباعه، والمسلمون هم أتباعه ، فكان هو عليه الصلاة والسلام قد خُص بأنه أبو الأنبياء[٢]، وأنه صاحب الحنيفية ، وأمرنا باتباعه ؛ لأننا نحن أولى بإبراهيم ، كما قال عز وجل : ﴿ أن أَوْلَى الناسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلذين اتبَعُوهُ وَهَذَا النبِي وَالذِينَ آمَنُوا﴾ آل عمران:٦٨ .

وقد خص الله عز وجل النبي إبراهيم عليه السلام بالصلاة– والعلم – والايمان وأوجب باتباعها وامتاز إبراهيم عليه السلام بأنه خَلِيلُ الرحمن، وأن الله أكرمه بالكرامات المتنوعة ؛ فجَعَل في ذُريتِه النبوة والكتاب، وامتلأت قلوب الخلق من وألسنتهم من الغناء عليه[٣]، لا شك أن جَمِيعَ الرسُلِ والأَنْبِياءِ أَفْضَلُ العِبادِ وأَكْرَمُهُم عند الله تعالى، ولم يُرْسِل اللهُ رَسُولاً إلا وهو ذُو عَزْمٍ وجِد في طاعةِ اللهِ والدعْوَةِ إليه، ولكن خَص الانبياء بالذكر والتفضيل؛ لأنهُم أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ عَزْماً مِن غَيْرِهِمْ، وهنا أَمْرانِ مُهِم ان:[٤]

---

(١) العيني ،أبو داود شرح سنن ، منشورات محمد علي بيضون٤ /٢٦٠ .

(٢) الطبري ، الجرير بن محمد جعفر ، تفسير الطبري ، ١/٢٤-٢٦.

(٣) القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبو بكر، تفسير القرطبي ، ١ /١٦-٢٢.

(٤) ينظر: أبن جوزي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ٢/ ٤٠٣.

١- لا يجوز تَفْضِيلُ نَبِي أو رَسُولٍ على آخَرَ بِقَصْدِ الانْتِقَاصِ والاحتقار.

٢- أن ما سوى هذا الترتيب والتفضيل بين الرسُلِ والأَنْبِياءِ مِما لا دَلِيلَ عليه في كِتابِ اللهِ وسُنةِ رَسُولِهِ ﷺ، ولا حاجَةً بِالمُسْلِمِ إلى تَكَلفِ طَلَبِهِ والبَحْثِ عنه.

وصف الله تعالى عبده ونبيه إبراهيم بأوصاف عدة في كتاب يتلى حتى قيام الساعة، وأهم هذه الصفات التي اكتسبها من دينه هي حنيفيته السمحة[١]، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أو نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المشركين﴾ ، ثم أن الله تعالى قال: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ البقرة :١٣٠.

قال تعالى : ﴿ قد أوتي وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ الأنبياء : ٥١ ، ويقصد بها الرشد الظاهر في شخصيته إنهُ كثير الندم على معاصيه وأن صغرت، شديد الحلم على من يخطئ معه مع عظم الخطا ﴿أن إبراهيم لأواهُ حَليم﴾ وليس هذا فحسب بل إنهُ أيضا دائم التوبة والرجوع إلى الله أن إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أواهُ منيب جاء في مفاتيح الغيب: وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم، أما الحليم فهو الذي لا يتعجل بمكافأة غيره، بل يتأنى فيه فيؤخر ويعفو، ثم ضم إلى ذلك ماله تعلق بالحلم وهو قوله: أواه منيب" لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط، عظم حزنه بسبب ذلك، وأخذ يتأوه عليه، فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة، ووصفه أيضا بأنه منيب، لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير، فإنه ينيب ويتوب، ويرجع إلى الله في إزالة ذلك العذاب، ومن باب أولى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله بالتوبة والإنابة[٢].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وهو إنهُ كان حليمًا لا يُحِب الْمُعَاجِلَةَ بالعقاب، كَثِيرَ التأْوُهِ مِما يَسوء ويؤلم ، مُنِيبٌ يَرْجِعُ إلى اللهِ فِي كُل أمر ولم تكن هذه الصفات لتوجد إلا في قلب سليم كما أخبر عنه المولى عز وجل ﴿ وأن مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إذ جَاءَ رَبهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

❁ وقد حلف وتحلف، والدين الحنيف الإسلام، الحنفية ملة الإسلام والحنفاء جمع حيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، وفي الحديث: بعثت بالحنفية السمحة السيلة ابن منظور، لسان العرب مادة حنف ، ج٩/ ٥٨ .

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد ، تفسير القرآن، ٢/ ١٨ ٢ .

(الحجرات:٨٣) قال السيوطي: القلب السليم هو القلب الخالي من الشك في الله ، والشرك به، ويشهد بأنه لا إله إلا هو[١].

وقلب إبراهيم أسلم القلوب في زمانه؛ إذ لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيره وزوجته سارة وابن أخيه لوط كما ثبت في الحديث الذي ذكرته في مطلب ولم يُعط إنسان فوق النبوة عطاء فهي أشرف العطايا، وأعظمها، كقوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء : ٥٤) .

وقد فسر معظم العلماء الحكمة في الآية على أنها النبوة، قال ابن المنذر[٢]: الكتاب القرآن والحكمة السنة، ومُحَمد ﷺ من آل إبراهيم[٣]. والمقصود كلام ابن المنذر أن الله تعالى أعطى آل إبراهيم عطاء جزيلاً، بل هو أفضل العطاء وأجله على الإطلاق، وهو النبوة، ومحمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام وهو أفضلهم على الإطلاق، أما الرازي فقد ذكر أن للحكمة معان ثلاثة المواعظ، العلم والفهم، والنبوة وهي أعظم مراتب الملك[٤]. أما السيوطي فقد رجح أن تكون الحكمة هي السنة[٥] .

وكذلك فقد وصفه الله تعالى بأنه صديق فقال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنهُ كَانَ صِدِيقًا نبِيا﴾ مريم : ٤١ قال الفخر الرازي: الصديق هو الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهوراً به، وذلك لأن المصدق بالشيء لا يوصف بكونه صديقاً إلا إذا كان صادقا في ذلك التصديق، فيعود الأمر إلى الأول، فالمؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق، والنبي يجب أن يكون صادقاً في كل ما أخبر عنه؛ لأن الله تعالى صدقه ومصدق الله صادق، فلما

---

(١) ينظر: الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد ،المستدرك على الصحيحن ، تح: مصطفى عبد القادر عطا،. ١/ ٤٠٣٦.

(٢) ينظر:هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر : فقيه مجتهد ، من الحفاظ كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها منها المبسوط في الفقه، والأوسط في السنن، وتفسير القرآن. ينظر : الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٩٤.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢/ ٢٥٢.

(٤) ينظر: النيسابوري ابن المنذر ، محمد بن إبراهيم أبو بكر ، تفسير القرآن، ٢/ ٧٧٥.

(٥) الرازي ، أبو عبد الله محمد ، مفاتيح الغيب، ٤/ ٧ -١٦١.

ثبت أن كل نبي يجب أن يكون صديقاً ولا يجب في كل صديق أن يكون نبياً، ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً[١].

وأما النبي فمعناه كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس وأي رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده. وقوله: كان صديقاً قيل : إنهُ صار وقيل أن معناه وجد صديقا نبيا أي كان من أول وجوده إلى انتهائه موصوفا بالصدق والصيانة[٢].

وفوق كل هذه الصفات فهو كريم ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الذريات :٢٤ في هذه الآية يسأل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ إذا كان قد سمع عن ضيوف أبيه إبراهيمعليه السلام وقد جاء الرد في آية أخرى ﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أن جَاء بِعِجَلٍ حَنيذ ﴾ هود:٦٦ .

قال القرطبي في الآية أربع عشرة مسألة منها : الأولى قوله تعالى فما لبث أن "جاء أن بمعنى حتى جاء، قاله كبراء النحويين، حكاه ابن العربي ، والتقدير فما لبث حتى جاء، أي ما أبطأ عن مجيئه بعجل حنيذ، وحنيذ مشوي، وقيل هو المشوي بحر الحجارة دون أن تمسه . النار ، يقال : حنذتُ الشاة أحنِذُها حنذا أي شويتها، وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها، فهي حنيذ، وإنما جاء بعجل لأن البقر كانت أكثر أمواله.[٣]

وكان النبي إبراهيم أول الانبياء الذين اوصوا بتكريم الضيف فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره أن كان له جدة ولا يتكلف ما يضر به والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن خلق النبيين والصالحين، وإبراهيم أول من أضاف[٤] .

وليست القوة في اليد والبصيرة ببعيدة عن خليل الرحمن وأولاده ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (ص: ٤٥).

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٤٠٨.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٠/ ٣١١.

(٣) ينظر: محمد رشيد رضا ، تفسير المنار، ١ / ٣٧٤.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ٦٣.

جاء في زاد المسير: أولي الأيدي يعني القوة في الطاعة، والأبصار البصائر في الدين والعلم [١]

وقال الرازي: واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال، والبصر آلة لأقوى الإدراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر إذا عرفت هذا فنقول: النفس الناطقة الإنسانية لها قوتان عاملة وعالمة أما القوة العاملة فاشرف ما يصدر عنها طاعة الله، وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله، وما سوى هذين والمعارف فكالعبث والباطل، فقوله: "أولى الأيدي والأبصار" القسمين من الأعمال إشارة إلى هاتين الحالتين، فاليد تذكر في اللغة على وجوه : أحدها: الجارحة وهو معلوم، وثانيها النعمة ، تقول : لفلان عندي يد أشكره عليها، وثالثها: القوة ، والراجح أن اليد في جانب هؤلاء الأنبياء تنطبق عليها المعاني الثلاثة.

اولا : مكانة النبي إبراهيم عليه السلام

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: أن أكمل الناس توحيدا الأنبياء عليهم السلام والمرسلون منهم أكمل في ذلك[٢]،أكملهم توحيدا، وأكملهم الخليلان: محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علما، ومعرفة، وحالا، ودعوة للخلق وجهادا فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه ولهذا أمر سبحانه نبيه أن يقتدي بهم فيه، كما قال تعالى، بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد، وذكر الأنبياء من ذريته: ﴿ أُولَئِكَ الذينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الانعام:٩٠) فلا أكمل من توحيد من أمر رسولُ اللهم أن يقتدي بهم، وكان عليه السلام يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين.[٣]

تفاوت هذا العزم بناء على كمال التوحيد ولست أقصد لا قد ر الله تعالى – الانتقاص من قدر الأنبياء ولكنها محاولة في فهم قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ

---

(١) ينظر:ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٢.

(٢) ينظر: الحنفي ، ابن أبو العز ، شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٩٦.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣/ ٢٠٢.

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣) وكل مسلم يعلم سنة الله تعالى في التفضيل بين البشر فقد قال جل وعلا ﴿أن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ أن اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات: ١٣)

فالتقوى إذن هي معيار التفاضل بين الناس جميعا، وبما أن الآية خالية من أي تخصيص لطبيعة هؤلاء الناس فيدخل في التفضيل بالتقوى الأنبياء وغيرهم ،وذكرت هذه الصفة الخاصة مرة واحدة في القرآن الكريم قال الله عز وجل لحبيبه المصطفى ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أولي الْعَزم مِنَ الرسُل وَلَا تَسْتَعْجِلُ لَهُمْ كَأَنهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِن نَهَارٍ بَلاغُ فَهَلْ يُهْلَكَ إلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الاحقاف : ٣٥) حيث اختلف المفسرون في تحديد من هم أولي العزم من الرسل، فذهب معظمهم وسأذكر أقوال بعضهم لاحقا إلى أنهم الذين ذكرهم الله تعالى في آية واحدة، في سورة الشورى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى : ١٣) وفيما يأتي أقوال بعضهم: فقد ذهب الطبري إلى القول بأن أولي العزم هم الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جدا في أمر الله وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومحمدﷺ، وقد نقل عن ابن زيد قوله: "كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم [١].

لذلك نرى الفخر الرازي يرجح أن الحرف "من" في قوله تعالى "من الرسل" للبيان وليس للتبعيض، كما يقال كسيته من الخز، وكأنه قيل: اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم وصبرهم وثباتهم[٢].

وقد ذهب الإمام ابن القيم إلى القول بأن الله تعالى خص أهل الذكر بالله وهم أعلمهم بصفاته عز وجل بهذه الصفة، ولذلك كان أولي العزم من الرسل وهم نوح و ابراهيم وموسى

---

(١) ينظر: الزركلي، فرج سليمان ، الأعلام، ٢/ ١٤٠.

(٢) ينظر:الطبري، جامع البيان، ٢٧ / ٣٦.

وعيسى ومحمد عليهم الصلاة و السلام هم خير خلق الله؛ للمعارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه بحيث لم يؤتها غيرهم [1] .

أما الإمام القرطبي فقد نقل عن مجاهد قوله: "هم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام" وهم أصحاب الشرائع، وقول السدي: " هم ستة إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين"، وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء[2]، وقول ابن عباس أيضا كل الرسل كانوا أولي عزم قال وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض، وقد استثنى بعض العلماء آدم لقوله تعالى :﴿ لَقَدْ عَهِدْنَا إِلىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه: ١١٥ ويونس لخفة في صبره وخروجه مغاضبا ﴿ وَذَا النونِ إذ ذهَبَ مُغَاضِبًا فَظَن أن لن نقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظلُمَاتِ أن لا إِلَٰهَ إلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِني كُنتُ مِنَ الظالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧ .

وقد ذكر ابن كثير ما ذكره غيره من العلماء ورجح ما رجحه الطبري فقال: يقول تعالى لهذه الأمة ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ الشورى : ١٣ .

أن أقيمُوا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على الْمُشركين ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْه الله يجتبي إِلَيْه من يشاء ويهدي إليه مَن يُنيب فذكر أول الرسل بعد آدم ، وهو نوح ، وآخرهم وهو محمد ﷺ ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم، وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة، كما اشتملت آية الأحزاب عليهم، في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ الأحزاب :٧ والدين الذي جاءت به الرسل كلها هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عز وجل وإلى مثل ذلك ذهب الإمام ابن أبي العز الحنفي، وقد رجح الشيخ محمد رشيد رضا أنهم نوح وإبراهيم

---

(١) ينظر:ا الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٨ / ٣١ .

(٢) ينظر:ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٣ /٤١٢ .

وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم كان يدفعهم إلى من بعده حتى إذا انتهوا إلى الخاتم كان هو الشافع المشفع[١].

ونلاحظ من خلال ذلك بان أولي العزم هم من الشخصيات الثورية المناهضة للإصلاح أن هؤلاء الدعاة لو عادوا إلى رشدهم، وحرروا عقولهم من التبعية والانقياد ونفوسهم من الضعف والجمود لعلموا أنهم قادرون على بلوغ مراتب ما كان شيوخهم وقادتهم يحلمون بها، ولا يكلفهم هذا المقصد إلا أن يصدقوا مع ربهم، ويأخذوا بالأسباب الشرعية، والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.[٢]

أما الإمام السيوطي الذي آثرت أن أذكر كلامه آخر الأقوال؛ لأن فيه شيئاً من التفصيل فقد قال: أولي العزم من الرسل هم نوح وهود وإبراهيم، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم قال الله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ يونس:٧١ فأظهر لهم المفارقة،

وقال الله عن هود عليه السلام: ﴿ حين قالوا أن نَقُولُ إلا اعتراكَ بَعْضُ آلهتنا بسوء قَالَ إني أُشْهِدَ الله وَاشْهَدُوا أني بَرِيءٌ مِما تُشْرِكُونَ﴾ هود:٥٤ فأظهر لهم المفارقة، وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُ إذ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إنا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَن لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ ربنَا عَلَيْكَ تَوَكلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير﴾ الممتحنة : ٤ .

فأظهر لهم المفارقة، وقال الله يا محمد يا محمد﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ٥٧ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ الانعام:٥٦

---

(١) ينظر:الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ١ / ٧٥.

(٢) العسقلاني ،ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة، ٦ /٦٤.

والراجح عندي في مسألة تحديد أولي العزم من الرسل هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة قالت: "ظل رسول الله صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال: يا عائشة أن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة أن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها وثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله [١].

فإذا اعتبرنا الابتلاء والصبر عليه أساسا لهذا الشرف في التسمية، كان الأنبياء كلهم أولي عزم، ودخل معهم في الصفة الصابرون على الابتلاء، وإذا اعتبرنا تكذيب أقوامهم لهم أساسا، دخل الأنبياء كلهم في التسمية، وإذا اعتبرنا البعد عن النقائص والصغائر والكبائر، دخل جميعهم كذلك، أما بالنسبة للمفارقة التي ذكرها السيوطي فإنه من المعلوم لدى المسلمين أن جميع الأنبياء فارقوا أقوامهم مفارقة جسدية أي بالهجرة، أو معنوية أي بالهجر، مصداقا لقوله تعالى:﴿ فإن كَذبُوكَ فَقَدْ كُذبَ رُسُلٌ من قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِنَاتِ وَالزبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾. ال عمران:١٨٤ فالراجح عندي إذن أن الأنبياء كلهم أولي عزم وبأس وقوة ليس لها في البشرية مثيل، ولم يكن أحد من البشر مثلهم، ولن يكون مع الإقرار بأن هذا العزم يتفاوت حتى يقول الله تعالى وإبراهيم واحد من أولي العزم هؤلاء، تميز عليهم بأنه أب لمجموعة كبيرة منهم، ومن ذريته انبثقت الديانات الثلاث التي ختمت بمحمدﷺ .[٢]

ثانيا : تكريم إبراهيم عليه السلام بالإمامة ووصفه بالأمة.

أن الله سبحانه وتعالى كلفه بالإمامة، وهي من التكاليف الشاقة التي يعجز عنها كثير من الأقوياء عقلا وجسدا، إلا أن إبراهيمعليه السلام الذي أوتي رشده منذ أن كان صغيرا، تلقى هذا الابتلاء بالخير بصدر رحب كما عهده ربه جل وعلا، فكان وقد قال ابن أبي العز الحنفي: ولما كان بيت إبراهيم عليه السلامأشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص، منها: إنهُ جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته، ومنها: إنهُ سبحانه جعلهم أئمة

(١) ابن السيوطي، الدر المنثور، ٤/ ٩١.

(٢) ينظر: حمد أخلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ١/ ١١٦.

يهدون بأمره إلى يوم القيامة[1]، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم، ومنها: إنهُ سبحانه اتخذ منهم الخليلين، ومنها: إنهُ جعل صاحب هذا البيت إماما لأسباب ومنها: إنهُ أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياما للناس ومثابة للاس وأما، وجعله قبلة لهم وحجا، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين، ومنها: أه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت، إلى غير ذلك من الخصائص[2].

ومن خصائصه عليه السلام ما ذكره الله تعالى عنه من أَنه: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة : ١٢٤

وفي قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاق وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا في ذُريتِهِ النبُوةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ في الدنْيَا وأنهُ في الآخرة لمن الصالحين﴾ الانبياء:٧٢.

فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم كان في ذريته ، وأما قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظالِمِينَ ﴾ البقرة : ١٢٤ فقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد: إنهُ سيكون في ذريتك ظالمون، وقد جاء في مفاتيح الغيب: اعلم إنهُ سبحانه وتعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم، شرع سبحانه هنا في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة إبراهيم ، والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ، والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه أحدها: إنهُ تعالى لما أمره ببعض التكاليف فلما وفى بها، وخرج عن عهدتها لا جرم نال النبوة والإمامة.[3]

---

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الأنبياء ، شرح العقيدة الطحاوية، ١ /٢٩٦ .

(٢) ينظر: الرازي ،الغيب، ٢ / ٧٦- ٧٧ .

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ١٦٨.

وثانيها: إنهُ تعالى حكى عنه إنهُ طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظالِمِينَ﴾ البقرة : ١٢٤ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل[١].

وثالثها: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

أما قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِني جَاعِلُكَ لِلناسِ إِمَامًا ﴾ البقرة:١٢٤ فالإمام اسم لمن يؤتم به كالإزار لما يؤتزر به، أي يأتاويل بك في دينك. والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولا من عند الله مستقلا بالشرع لأنه لو كان تبعا لرسول آخر لكان مأموما لذلك الرسول لا إماما له، فحينئذ يبطل العموم. وهذا يدل على إنهُ كان معصوما عن جميع الذنوب لأن الإمام هو الذي يؤمن به ويُقتدى ، قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصلَاةِ وَإِيتَاءَ الزكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣) .

وقد قال ابن أبي العز الحنفي: ولما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص، منها: إنهُ جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته. ومنها: إنهُ سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم، ومنها: إنهُ سبحانه اتخذ منهم الخليلين، ومنها: إنهُ جعل صاحب هذا البيت إماما لاسباب[٢].

ومنها: إنهُ أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياما للناس ومثابة للاس وأما، وجعله قبلة لهم وحجا، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين، ومنها: أه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت، إلى غير ذلك من الخصائص ومن خصائصه عليه السلام ما ذكره الله تعالى عنه من أَنه عليه السلام أَتمَ الكلمات التي ابتلاه الله بهن ، وأن ه تعالَى قال لَه "إِنِ ي جَاعِلُكَ لِلنَ اسِ إِمَامًا" وقد فُصلت الجملة عما قبلها[٣] ؛ لأنها جوابٌ عن سؤالٍ مقدَرٍ تدل عليه القرينة، ولم يقل: فقال إِني

---

(١) ينظر:ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٢ /٥٥٨.

(٢) ينظر: الحنفي، ابن أبو العز ، شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٩٧.

(٣) ينظر: محمد أخلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ٤/ ١١٦

جاعلك؛ للإشعار بأنَ هذه الإمامةَ بمحض فضل االله تَعَالَى واصطفَائه، لا بسبب إتمام الكلمات، فإن الإمامةَ[1].

فإن عبارةٌ عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب ثم وصفه االله تعالى بالأمة فقال: ﴿ أن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أمةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُن من المشركين ﴾ النحل:١٢٠ قال ابن الجوزي: هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة مِنَ الْمُشْرِكِينَ ونسابه، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، وللمفسرين في المراد بالأمة هاهنا ثلاثة أقوال: أولها أن الأمة الذي يعلم الخير، والثاني إنهُ المؤمن وحده في زمانه والثالث إنهُ الإمام الذي يُقتدى به .

أن أول موقف تصوغه القصة في هذا الصدد، إنما يتصل بطريقة اللغة التي واجه بها إبراهيم أباه وقومه، العاكفين على عبادة التماثيل، وبطريقة السلوك الذي مارسه حيال التماثيل المذكورة، وبطريقة المناقشة المنطقية التي أتمها معهم: وهي جميعاً. لغة وسلوكاً ومحاجةً – تُفصح عن الرشد الذي يتسم بشخصيته. [2]

المطلب الثاني

الشخصية الثورية عند إبراهيم الخليلعليه السلام

﴿ وَلَقَد آتينا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ من قبل، وكُنا بِهِ عَالمين﴾ الأنبياء :٥١ أن هذه المقدمة القصصية تُشدد على إبراز ظاهرة الرشد الذي يسم شخصية إبراهيم : مما يعني من حيث البناء العماري للأقصوصة، أن محتوياتها ستصاغ وفاقاً لمنطق المعرفة الحقة التي يتعامل إبراهيم – من . أحداث القصة و خلالها – مع ومواقفها وشخوصها.

القصة، بالحوار التالي: إذ قَالَ لأبيهِ وَقَومه ونلفت النظر إلى أن اقصوصة إبراهيم الخليلعليه السلام كانت قصة تدور حول التساؤل الوجودي وما يرافقها من أحداث ووقائع تتميز ببناء

---

(١) ينظر: فضل حسن عباس القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، الفن القصصي في القرآن ، ٢٤٨ – ١١.

(٢) ينظر:البستاني ، محمود ، دراسات في قصص القرآن ، ١/ ٣٨٥.

هندسي خاص قائم على وحدة الموضوع من جانب_ وعلى صياغة الأحداث والمواقف، وتتلاحم بنحو بالغ الإثارة، فنياً وفكرياً، من جانب آخر، والشخوص التي تصب في الوحدة الموضوعية المذكورة، وفق خطوط تتنامى وواضح أن هذا النحو من الصياغة القصصية، يتميز عن منحى صباغي آخر تتوفر القصة القرآنية الكريمة عليه، حينما تحققه من خلال الوحدة الفكرية التي تعني موضوعات مختلفة ، وينطوي المهم أن النص القرآني الكريم، يسلك طرائق شتى في صياغة الأقاصيص كل منها على إمتاع جمالي وفكري بالغ الإثارة ومنها، هذا المنحى القائم على وحدة الموضوع في قصة إبراهيم، قبال المنحى القائم على وحدة الفكر في أقاصيص أخرى عن إبراهيم نفسه، أو عن الأبطال الآخرين.[١]

ونرى بان نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام كان مندهش ومرتاب من أمر الأصنام وكانت استجابته لما يقوم به قومه بغضب شديد بل كان ساخراً ممزوج بالشك المتيقن بأنهم قوم ضالون كونه وجد العلة الوجودية بان قدرة الله تعالى المؤثرة ولا نرفع اليد عن تأثيرها ووجد بأن العلية التامة هي متحققة كونه صاحب القدرة وهو الواجب تسبيحه حيث أن البنية القصصية لأولوا العزم كانت منفردة لأن بنائها الهندسي معتمد على خصائص تم ذكرها سلفاً في الشخصية الإصلاحية أو الثورية أو المصلحة فمن سمات أولي العزم الرشد وهي السمة الأولى والأبرز لدى الأنبياء ومنهم إبراهيم الخليل أن أحداث القصة ومواقفها ستكشف في البعض منها [٢]عن أن استجابته كانت غاضبة، مثلما كانت ساخرة أيضاً في البعض الأخر منها: مما نتوقع حيناً[٣]

كما أن النمط من الصياغة الفنية لاستجابة إبراهيم لم يكن مجرد ظاهرة جمالية، تستثير أحاسيسنا في نطاق محدودٍ أو عابر بقدر ما ينطوي الأمر على خطورة فنية وفكرية، تدل نا على طرائق السلوك التي ينبغي أن تترك فاعلية لها قيمتها في ميدان التعامل، أن نختطها في التعامل مع الظواهر[٤]، والآن فإن أول استجابة صادرة عن إبراهيم حيال التماثيل، لا تكشف لنا عن نمط الاستجابة، بل يظل الأمر ملفعاً بغموض فني: تبدأ الأحداث اللاحقة بتبيين ذلك، فيما بعد، لكن

---

(١) ينظر: د. حسن طبل، د. زكريا سعيد،بلاغة النظم القرآني ، ١٧٨ – ١٧٩

(٢) نفس المصدر.

(٣) ينظر: عبد الله التركي ،جامع البيان عن تأويل أي القرآن لابن جرير الطبري ، ٢ /٥٨٢ .

(٤) ينظر: طه بن علي دار ابن حزم، أحكام القرآن لابن الفرس، ١ /١١٢ .

قبل أن نتبين ذلك، ينبغي أن نتابع جواب قومه حيال السؤال الذي وجهه إلى أبيه وقومه بقوله: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، لقد أجابه القوم بما يلي: قالوا: ﴿ وَجَدْنا آباءنا لها عابدين﴾ الانبياء:٥٣، وهنا، أجابهم إبراهيمﷺ مباشرة، قال: لقد كُنتُم أنتُم وآباؤكم في ضلال مبين. ثم، أجابه القوم، أيضاً: قالوا: أجئتنا بالحق، أم أنت من اللاعبين.

قال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن، وأنا على ذلكم من إلى هنا، فإن هذه السلسلة من الحوارات المتبادلة بين إبراهيم وقومه، تدع المتلقي وساخراً في أن واحد؟؟ متردداً في تحديد ما إذا كان إبراهيم غاضباً في مواجهته للقوم، أم ساخرا، أم غاضباً، مما لا شك فيه أن القوم بصفتهم مجموعة من الأغبياء والحمقى، قدموا إجابات مثيرة للسخرية حينما قدموا:

أولا _ إجابة على تخلفهم الفكري من أنهم وجدوا آباءهم التساؤل الذي مزجوه بالسخرية في قولهم: أجتتنا بالحق، أم أنت من اللاعبين.

ثانياً – إجابة تدل على تقديم مثل هذه الاستجابة الحمقاء، قد تستدعى نمطاً من الاستجابة التي بواجهُهُم إبراهيمُ بها، بحيث تتناسب مع الموقف، مما يعني أن إبراهيم سيمارس سلوكاً ساخراً حيالهم فيما بعد.

في عبادتهم للتماثيل. ويُلاحظ أن إبراهيم الله وجه خطاباً مشتركاً لأبيه وقومه، دون أن يُفرد لأبيه خطاباً خاصاً، أو منفصلاً عن الخطاب الذي وجهه للقوم، بل تم توجيه الخطاب على

النحو التالي: إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟. والسؤال هو : لماذا جاء ذكرُ الأب في سياق الخطاب الموجه للقوم؟ من حيث المبنى الفني للحوار.[١]

أن إفراد الأب في هذا الصدد، ينطوي على سمة فنية هي: بدافع البنوة نحو الأب، ولفت الانتباه إلى أن العاطفة النسبية مع أنها موضع أهمية كبيرة : التشدد على ما يسمى في نطاق العلاقات لكنها في نطاق التعامل مع : السماء، ينبغي العاطفة المذكورة، بل ينبغي الاتجاه إلى السماء فحسب، والالتزام بمبادئها. إلا تحتجز الفرد من إلغاء وهناك سمة فنية ثانية وراء إفراد

(١) ينظر:البستاني ، دراسات في قصص القرآن الكريم ، ١/ ٣٨٩ .

الأب في سياق الخطاب الموجه للقوم، فالملاحظ أن إبراهيم تسل م جواباً من قومه على هذا النحو: قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين.

فهذا الجواب يتضمن دلالة واضحة إلى أن الأبناء قد وجدوا أباءهم عاكفين على الأصنام، أي أنهم مقلدون ومحاكون لآبائهم دون أن يمارسوا عملية تفكير فيهذا الموقف، وهذا يعني أن الوعي أو الرشد غائب عن أذهانهم تماماً، أن ما نود من لفت الانتباه إليه، هو: أن القصة قد استخدمت طريقة فنية غير مباشرة، أي: طريقة قائمة على فسح المجال للقارئ أو السامع أن يستكشف بنفسه بعض الدلالات المهمة التي يستهدفها النص من وراء هذا الحوار الفني، دون أن توضحها القصة ذاتها. الدلالة التي تستهدفها القصة هي أن إبراهيم الله قد ترك تقليد الأباء في عبادتهم للأصنام بدليل، إنهُ وجه اعتراضاً لأبيه. ولا يغب عن بالنا، أن القصة في مقدمتها قد وسَمت إبراهيم بصفة الرشد، فقالت: ولقد آتينا إبراهيم رُشده.(١)

ثم تقدمت الأن – بطريقة فنية غير مباشرة – بتوضيح هذه الصفة، حيث أبانت من خلال الاعتراض الذي وجهه إبراهيم إلى ابيه وقومه على عبادتهم للتماثيل..... ومن خلال الإجابة التي تقدم بها القوم من أنهم وجدوا آباءهم عابدين للتماثيل، وأنهم مقلدون لآبائهم في هذا الموقف... أبانت من خلال ذلك كله، أن إبراهيم لم يكن مقلداً لأبيه وقومه، بل كان رشيداً متصفاً بسمة الرشد التي تعني عدم انغلاق الفكر، أو سذاجته.(٢)

قصة إبراهيم القوم وقالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين اذن: هناك دلالتان فنيتان يستوحيها القارئ أو السامع من الإجابة التي تقدم بها ،الدلالة الأولى: أن إبراهيم الله لم يقلد آباءه ، بدليل إنهُ وجه اعتراضاً لهم. الدلالة الثانية: أن إبراهيم الله موسوم بسمة الرشد، طالما لم يقتص أفكار الأباء، بل اتسم بـ الرشد الذي جعلته مقدمة القصة: سمةً أو طابعاً لشخصية إبراهيم الذي ستحوم كل أحداث القصة على مصاديق الرشد الذي تتسم به شخصيته (٣).

---

(١) فضل حسن عباس ،القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ٤/ ١١.

(٢) محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية ، ٤/ ١٢٤.

(٣) محمد حسين عبد الحميد، أبو الأنبياء إبراهيم الخليل الله ، ٣١ .

والآن: لنتابع مواقف القصة من خلال الحوار المتبادل بين إبراهيمﷺ وقومه، بعد أن أوضحنا كلاً من البناء العضوي للحوار ولصلته بمقدمة القصة.لقد خاطبهم إبراهيم أولاً: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟. فأجابوه: وجدنا آباءنا لها عابدين ثم رد عليهم ولقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ،وهذا الرد يعكس بُعداً آخر من طابع الرشد الذي يتسم به إبراهيم: حيث أوضح بأن المقلد والمقلد في ضلال مبين بصفة أن المقلد وهم الأباء لم يصدروا عن فكر صائب رشيد في عبادتهم للتماثيل طالما يعبدون ما لا ينفعهم شيئاً ولا يضرهم... وطالما يعبدون ما لا يملك حتى فاعلية النطق. (١)

وأما المقلد وهم الأبناء، فيتسمون بنفس الطابع الضال ما داموا مجرد مقلدين لم ينتبهوا إلى حقيقة الموقف الذي سار الأباء عليه. طبيعي، لم تتحدث القصة القرآنية بنحو مباشر عن هذه التفصيلات، بل أن هذه التفصيلات المتصلة بعبادة ما لا ينطق، وما لا ينفع شيئاً أو يضر... هذه التفصيلات سنجدها في تضاعيف القصة عبر أحداث ومواقف لاحقة،... بيد أن القارئ أو السامع يكتشف بنفسه أصداء هذه الدلالات، عندما يتابع القصة... مثلما يكتشف القيمة الفنية لمثل هذا المنحى من صياغة الحوار الذي يقدم جواباً مُجملاً مثل ما هو أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، ثم يفصل ويوضح اللاحقة من القصة: محققاً بذلك إمتاعاً جمالياً للمتلقي – مجمل، في الاجزاء عندما يواجه مثل هذه العمارة الفنية التي خضعت القصة لها.(٢)

والآن بعد أن ألمح إبراهيم إلى القوم بأنهم وآباؤهم في ضلال مبين ... ماذا كانت الإجابةُ من قبلهم؟ قالوا: اجئتنا بالحق، أم أنت من اللاعبين؟. أن مما يثير السخرية، أن تجيء الإجابة باهتة ساذجة، تتوافق ونمط العقلية أو الثقافة التي تغل ف هؤلاء القوم. فما داموا مقلدين بلا إعمال للفكر، .. حينذ نتوقع أن يخيل إليهم أن إبراهيم كان لاعباً هازلاً في اعتراضه على عبادة الأصنام لأن مثل هذا الاعتراض يزلزل أسس التقليد الذي طبعت أذهانهم عليه. قال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فَطَرَهُن وأنا على ذلكم من الشاهدين. أن الفقرة الأخيرة وأنا على ذلكم من الشاهدين، تؤكد – من جديد – سمة الرشد الذي طبع شخصيته.... مثلما تؤكد يقينه التام بالقضية التي يتحرك من خلالها، ثائراً على قومه. وبالفعل، تبدأ ثورته على الواقع الفاسد،

---

(١) ينظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١ / ١٧٧.

(٢) سيد قطب ، في ضلال القرآن ، ٤/ ٢٣١١.

متمثلة أولاً: في قسم لفظي: وتالله، لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. ثم: في ممارسة عملية، ثانياً: فجَعَلهم جُذاذاً، إلا كبيراً لهم، لعلهم إليه يرجعون.[١]

ومع ذلك، فإن إبراهيم تبعاً لسمة الرشد الذي طبع شخصيته أجابهم بما يلي:

أن أحداث القصة تبدأ فيها يسمى بـ التازم في لغة الأدب القصصي تبدأ من القسم الذي أعلنه أو أضمره حسب بعض النصوص المفسرة بأن يكيد أصنامهم.... وتبلغ ذروتها أو تأزمها في تهشيمه فعلاً للأصنام، وفي جعلها قطعاً قطعاً، أو خطاماً ومع تحطيمه الفعلي للأصنام بأكملها، عدا الصنم الكبير منها. والآن فإن القسم الثاني من القصة، يبدأ مع قسم إبراهيم بأن يكيد الأصنام ولكن ينبغي أن نتعرف على تفصيلات هذا الحدث الخطير، بدءا من القسم مروراً بتهشيمه للأصنام، وانتهاء بتركه كبير الأصنام ثم تعليل ذلك كله فنياً وفكرياً، وصلته بمقدمة القصة، وقسمها الأول!! يبدأ القسم الثاني من قصة إبراهيمﷺ في سورة الأنبياء بحادثة تهشيمه للأصنام، وقد سبق حادثة التهشيم، قسم بالله، بأن يكيد الأصنام. [٢]

ومثلما أشارت بعض النصوص المفسرة عن أهل البيت بها مؤداه: من أن إذن مثل هذه الشجاعة المستمدة من الركون إلى الله، تظل أمراً لافتاً للانتباه..... وبخاصة إنها – أي الشجاعة المذكورة – سيصاحبها يقين مماثل كما سنرى في القسم حادثة إلقاء إبراهيم في النار. يقين برعاية الله في المواقف كل ها عبر على تنوع مستوياتها: سواء أكان ذلك متصلاً بمجابهة أعداد ضخمة من الطواغيت، أم القصة، الثالث من أن هذه الحادثة تنطوي – بوضوح – على دلالة فكرية تتصل بشجاعة إبراهيم ، و بثقته بالله، وبتحسيس الآخرين أن التعامل مع الله ينبغي إلا يعوقه الخوف من أي ظالم مهما عنا وتجبر، ومهما بلغت قوته.[٣]

إبراهيم بلغت شجاعته الذروة، حين كان وحده يقف قبال الآلاف من عبدة الأصنام.... وحتى من الزاوية النفسية الخالصة، فإن الوحشة لم تداخل الخوف حينما كانت وحدة إبراهيم حتى

---

(١) الرازي، الفخر، التفسير الكبير ٢/٢٢٦ .

(٢) ابن أبو شيبة عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والاثار، ٦/ ٢٥٨.

(٣) ينظر :ابن كثير، البداية والنهاية، ١/١٥٢.

من أبيه الذي لم يحتج إلى عاطفته[١] ، كان متصلاً بمجابهة نار تحرق الجسد بطبيعتها. المهم: أن وضوح مثل هذه الدلالة الفكرية، يظل متصلاً بسمة الرشد التي وسَمَ الله بها إبراهيم اللي فيها تفصح هذه السمة عن مدى الوعي الذي غلف بشجاعة إبراهيم في ثقته بالسماء، ومعرفته بقدراتها غير المحدودة .... حيث أمدته بالغة المدى في ممارسته تحطيم الاصنام وحده قبال الآلاف، وفي يقينه بالسماء في حادثة إلقائه في النار على نحو ما ستتحدث عنه لاحقاً. [٢]

وحين نتجه إلى واقعة تهشيمه للأصنام، نلحظ : أن النصوص المفسرة، تقدم تفصيلات قد اختزلها النص القصصي، فيما لا حاجة إلى سردها فنياً . يتصل بإبراز دلالة خاصة هي: عملية تحطيم الأصنام، وما يراف ما دام الأمر يرافقها من شجاعة: ثم، ما يرافقها من دلالات أخرى تظل في الصميم من اهتمامات إبراهيم [٣]، وحرصه على إبرازها أمام الوثنيين، بغية كشف السذاجة والغفلة التي تطبع عقولهم. على أن حادثة تحطيم الأصنام قد رافقها موقفٌ وحادث آخر، ينبغي الوقوف عندهما ملياً، ما دمنا أمام نص قرآني عظيم: لا يرسم موقفاً أو حَدَثاً جانبياً إلا انا انطوى على دلالة فنية كبيرة أو دلالة نفسية متصلتين بالبناء الهندسي للقصة. أما الموقف، فهو قول إبراهيم : الأكيدن أصنامكم، قبل أن يقدم على كسر الأصنام[٤].

وأما الحادثة فهي: إبقاؤه كبير الأصنام سالماً، دون أن يحطمه. لا شك، أن كلاً من الموقف والحادثة، يرتبطان عضوياً: أحدهما بالآخر، مثلما يرتبطان بمواقف سابقة في القصة، كما يرتبطان بمواقف لاحقة في القصة أيضاً. ويمكننا ملاحظة هذا الأحكام الهندسي وجماليته الفائقة في القصة: حين نشرع بتوضيح كل من ملابسات الموقف والحادثة موقف كيده للأصنام، وحادثة إبقائه كبير الأصنام.[٥]

أما الموقف، فتقول النصوص المفسرة عنه، إنهُ ممارسة لفظية وجهها لعبدة التماثيل من إنهُ سيكيد لها بنحو أو بآخر. وظاهر النص القصصي الكريم يسند مثل هذه الممارسة اللفظية

---

(١) ينظر:السردي ، نجود فارس احمد ، الحكمة من دعوة إبراهيم اللي رسالة ماجستير غير منشورة ، ٣٥ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبو بكر ، مفتاح دار السعادة وولاية العلم و الإرادة ، ٢٠٤/٢ .

(٣) ينظر:ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء حققه وأخرج أحاديثه لجنة التحقيق والنشر ،٢/ ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ١٥٥.

(٥)الصابوني ،احمد علي صفوة التفاسير،٣/ ٤٠ .

الموجهة إلى اعتراضك على تماثيلنا؟؟ القوم، وبخاصة أنها قد اقترنت بقسم بالله من إنهُ سيكيد الأصنام: مما يعني أن القسم موجة لأولئك الذين سخروا منه حينما تساءلوا اجادٌ أم هازل أنت يا إبراهيمفي اعتراضك على تماثلينا .

وفي أن بعض النصوص المفسرة، تذهب إلى أن إبراهيمﷺ قد أسر ذلك على قومه ولم يوجه خطابه إلا إلى واحدٍ من القوم فحسب أثره من الزاوية الفنية على مواقف لاحقة من القصة: كما سنرى وأياً كان الأمر، فإن المهم هو أن إبراهيم كان في صدد القيام بكيد محدد سيعكس ، كان إبراهيم غاضبا الله عبر رؤيته غفلة القوم وعكوفهم على التماثيل، وكان – فيما يبدو – ساخرا من أولئك أيضا، عندما مزج الغضب بالسخرية، قائلاً: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. وتبعاً لذلك قرر إبراهيم أن يعمل كيداً بالنسبة إلى الأصنام، حتى يعرفهم حقيقة ما هم عليه من الضلال المبين. وفعلاً، أقسم بالله أولاً: لأكيدن أصنامكم الانبياء:٥٧.

وبدأ بتنفيذ العملية ذات يوم، مستثمراً فرصة أحد الأعياد عند القوم، وخروجهم من مساكنهم، وها هو يحمل فأساً في يده، ويبدأ – في ثقة الفارس الشجاع الذي لا تضاهيه شجاعة – بتكسير الأصنام واحداً بعد آخر، غير مبال بالنتائج المترتبة على هذا العمل الخطير، ما دام واثقاً إنهُ يكسر مجموعة أصنام لا تضر ولا تنفع.... لا تعي ولا تنطق ... وما دام واثقاً إنهُ حيال قوم غافلين، منعزلين عن السماء... وما دام واثقاً – وهذا هو مكمن الخطورة – إنهُ يستمد فاعليته من السماء التي لا تكف لحظة عن إمداده بالقوة... بالمعطيات... بالإنقاذ.[١]

وفعلاً تم كل شيء لكنه، أبقى صنماً واحداً هو كبير الأصنام، فيما تقول النصوص المفسرة، أن إبراهيم أبقاه – وقد علق الفأس في عنقه – دون أن يهشمه. وكان موقعه في مقدمة الأصنام.[٢]

ثم عاد القوم من تجوالهم في يوم العيد لكنهم فوجئوا بما لم يدر في حسبانهم، لقد وجدوا تماثيلهم مهشمة جميعاً، خلا التمثال الكبير ... التمثال المعلم الذي مثل هذه الحادثة لم تمر على القوم دون مبالاة ... بل أنها ستحدث لا له دلالته في أذهانهم دون ادنى شك. لديهم رد

---

(١) ينظر: ابن الكثير الدمشقي ، قصص الأنبياء ، ١٦٢.

(٢) ينظر: فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته، ١٥٢.

فعل وُضِعَ الفأس في عنقه، وطبيعي أن يتساءلوا – بادئ ذي بدء – عن هوية الفاعل... عن الشخصية التي تجرأت على القيام بمثل هذه العملية ،لقد تساءلوا بمرارة ساذجة، قائلين: مَن فَعَل هذا بالهتنا؟.ويبدو، أن البعض منهم كان على وعي و وتذكر بأن إبراهيم كان معارضاً، متقداً تماثيلهم، وعكوفهم عليها.... أو – على الأقل – قد سمع البعض منهم أن إبراهيم أقسم ذات يوم بأن يكيد أصنامهم ، ولذلك: أجاب البعض منهم، على سؤال البعض منهم، قائلين:[1]

سمعنا فتى يذكرهم، يُقال له إبراهيم. إذن: عرف القوم أن البطل هو إبراهيم .

إلى هنا، فإن الأحداث والمواقف تمضي على نحوها المذكور.

ولكن هناك إجابة خاصة أعد ها إبراهيم، لمواجهة الموقف وقبل ذلك: هناك أسرار وسمات وخصائص فنية، ينبغي أن نقف عندها حيال صياغة القصة بنحوها المذكور. عندما هشم إبراهيم التماثيل القوم، وتعرفوا على شخصيته بدأت الأحداث والمواقف تأخذ منعطفاً خطيراً في هيكل القصة ، فالقوم وهم مشدودن إلى أصنامهم لا يُعقل أن يقفوا حيال البطل إبراهيم موقف المتفرج، أو حتى موقف المعاتب الذي لا يُثير ضجيجاً قبل إقدامه على الجريمة.

جريمة إلقائه في محرقة خاصة ، ولذلك، اقترحوا ما يلي: قالوا: فأنوا به على أعين الناس، لعلهم يشهدون. وفعلاً، جيء بالبطل إلى مشهد يغص بالناس... ووجهوا إليه هذا السؤال: أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم؟.حينما أقسم بالله إنهُ ليكيدن أصنامهم.... لقد أجابهم – ساخراً – وإنها لسخرية الحق وأجابهم إبراهيم على الفور، إجابةً ذكية، أعد لها إعداداً خاصاً من قبل، الباطل أجابهم قائلاً: بل، فَعَلَهُ كبيرهم هذا فاسألوهم أن كانوا ينطقون، بالآخر ... وفي إنارة أحدها للآخر.. بهذه الإجابة، تتكشف أبنية القصة وخطوطها الهندسية، في ترابط بعضها فالقارىء أو السامع سيدرك على الفور بعض السمات الفنية وراء هيكل القصة. إنهُ – القارئ أو السامع – سيُدرك على الفور، أن إبراهيم عندما قال ذات يوم الله لأكيدن أصنامكم، فإنه لم يقل

(١) ينظر: ابن الكثير الدمشقي ، قصص الأنبياء،١/ ١٦٢.

هذا عبثاً، بل أن القصة قدمت مثل هذا الكلام، ليشكل تمهيداً لـ فعل لاحق تكشفه تضاعيف القصة فيما بعد.[١]

وهل هناك كيد أشد وقعاً على النفوس من أن يقوم إبراهيم بتحطيم الأصنام، ثم يقول للقوم: اسألوهم عن الفاعل أن كانوا ينطقون ،أليس من حق إبراهيم الله من الزاوية الفنية في صياغة القصة أن يناقش القوم في البداية قائلاً: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ثم بعد يستمع إلى إجابتهم الهزيلة وجدنا آباءنا لها عابدين، ثم بعد إجابتهم الساخرة ، اجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟ أليس من حق إبراهيم – بعد تسلمه مثل هذه الإجابات التي تحيا في غفلة من العقل – أن يوجههم بكيد يتناسب مع الغفلة العقلية التي يحيونه غفلة العكوف على أصنام لا تعي ولا تنطق ؟؟ إنهُ – القارئ أو السامع – سيدرك على الفور، أن إبراهيم عندما قال ذات يوم والله لأكيدن أصنامكم ، فإنه لم يقل هذا عبثاً، بل أن القصة قدمت ليشكل تمهيداً لـ فعل لاحق تكشفه تضاعيف القصة فيما بعد. وهل هناك كيد أشد وقعاً على النفوس من أن يقوم إبراهيم بتحطيم الأصنام[٢].

يقول للقوم: اسألوهم عن الفاعل أن كانوا ينطقون. أليس من حق إبراهيم هم من الزاوية الفنية في صياغة القصة، أن يناقش القوم في البداية قائلاً: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ (الانبياء:٥٢)، ثم بعد إجابتهم الهزيلة وجدنا آباءنا لها عابدين ، ثم بعد إجابتهم الساخرة ﴿ اجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين﴾ الانبياء:٥٥ أليس من حق إبراهيم – بعد تسلمه مثل هذه الإجابات التي تحيا في غفلة من العقل – أن يواجههم بكيد يتناسب مع الغفلة العقلية التي يحيونها: غفلة العكوف على أصنام لا تعي ولا تنطق ؟؟ أن من حقه أن يفعل ذلك ، وأن يقدم لهم إجابة ساخرة كل السخرية ، داعية إلى الاشفاق كل الاشفاق عليهم قائلاًهم بل فعله كبيرهم هذا : أن من حقه أن يفعل ذلك، وأن يقدم لهم إجابة ساخرة كل السخرية، داعية إلى فسألوهم أن كانوا ينطقونوهذا كله فيها يتصل بالموقف الساخر، أما ما يتصل فنياً بحادثة إبقاء الصنم الكبير سالماً دون أن يناله التحطيم، فإن الأمر يبدو واضحاً تماماً من حيث الموقع الهندسي لهذه الحادثة

---

(١) الخطيب عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ١/ ١٢٩ .

(٢) الزركشي، لأبي عبد الله محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن ، ٢ / ٩٦ .

بهيكل القصة[١]..فلقد ابقى إبراهيمﷺ صنماً كبيراً في مقدمة الأصنام، بغية أن يكون هذا الحادث دلالة فنية من حيث بناء القصة ودلالة فكرية من حيث سلوك إبراهيم.... هذه الدلالة هي: أن تحطيم الأصنام من الممكن أن يقترن في اذهان هؤلاء وأصبحت في حكم العدم.... وإلى أن بقاء واحد منها حياً من الممكن أن يسعفهم بالإجابة على أسئلتهم، بل يمكن الذهاب – بنحو أو بآخر من انحاء الاستخلاص الفني – أن إبقاء الصنم الكبير سيحسم الأمور تماما، عندما يعي القوم ولو للحظة – أن الصنم الكبير لا يملك قابلية على النطق أبداً... وفي هذا كفاية لتحسيس القوم بواقع الغفلة التي يحيونها. ولكن السؤال: هل أن القوم اتعظوا بهذه الحادثة أم لا؟ أن القصة ذاتها، تجيب على هذا السؤال. إذن: فلتتابع الموقف ،تقول القصة، ساردة رد الفعل الذي أحدثته إجابة إبراهيم لدى القوم، بعد أن قال لهم: فاسألوهم – أي الأصنام – أن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون[٢].

لقد، أفحم القوم تماماً، حينما تنبهوا إلى حقيقة الأمر، وأدركوا أن الصنم لا يملك قابلية على النطق، وعندها خاطب بعضهم بعضاً، فقالوا: أنكم أنتم الظالمون اضطروا إلى مواجهة الحقيقة وتيقنوها في أعماقهم تماماً للدرجة التي طاطا وا أكثر من ذلك: لقد تملكهم الخجل تماماً للدرجة التي من خلالها رؤوسهم[٣]، مضطرين إلى الإقرار بحجة إبراهيم الله حيث خاطبوه ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون، له إبراهيم إعداداً ذكياً – أن مثل هذا الإقرار يُعد نصراً ضخماً دون أدنى شك في ميدان الفكر: قد أعد حتى انتهى به إلى هذا المطاف. ولذلك، تحدث إبراهيم – بعد هذه الواقعة – بلغة المنتصر وليس بلغة من يُحاول اقناع القوم، قائلاً لهم:﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ الأنبياء: ٦٦ .

واضح أن هذا التعقيب جاء مناسباً للموقف الجديد، ما دام الأمر فيما يتصل بالمنغلقين ذهنياً لا يحقق فاعليته المنشودة المتمثلة في عبادة ما لا ينفع شيئاً ولا يضر.... إلا بعد تقديم

---

(١) الشاطبي ، رضوان ابن محمد بن سليمان ، الوجيز فى فواصل الكتاب العزيز ، ٢٢٩ .

(٢) الصابوني ، محمد علي ، النبوة والانبياء ، ١/ ١٥٤.

(٣) البستاني ، دراسات في قصص القرآن الكريم ، ١/ ٤٠١ – ٤٠٥ .

ممارسة تحطيم الأصنام، وإبقاء الكبير منها، ومطالبة القوم بتوجيه السؤال إلى الصنم في التعرف على هوية الفاعل. [١]

بهذا الموقف الذي اعقب حادثة تكسير الأصنام، وإبقاء الكبير منها، وإقرار القوم ،بغفلتهم، وظلمهم... ينتهي القسم الثاني من قصة إبراهيم وقبل أن نتعرف على المواقف والاحداث التي يتضمنها هذا القسم من القصة، لقد، أفحم القوم تماماً، حينما تنبهوا إلى حقيقة الأمر، وأدركوا أن الصنم لا يملك قابلية على النطق وعندها . خاطب بعضهم بعضاً، فقالوا: أنكم أنتم الظالمون اضطروا إلى مواجهة الحقيقة وتيقنوها في أعماقهم تماماً للدرجة التي طاطا أو أكثر من ذلك: لقد تملكهم الخجل تماماً للدرجة التي من خلالها رؤوسهم، مضطرين إلى الإقرار بحجة إبراهيم الله حيث خاطبوه ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون، له إبراهيم إعداداً ذكياً – أن مثل هذا الإقرار يُعد نصراً ضخماً دون أدنى شك في ميدان الفكر: قد أعد حتى انتهى به إلى هذا المطاف. ولذلك، تحدث إبراهيم – بعد هذه الواقعة – بلغة المنتصر وليس بلغة من يُحاول اقناع القوم، قائلاً لهم: ﴿ افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أن لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ الأنبياء : ٦٦ .

وواضح أن هذا التعقيب جاء مناسباً للموقف الجديد، ما دام الأمر فيما يتصل بالمنغلقين ذهنياً لا يحقق فاعليته المنشودة المتمثلة في عبادة ما لا ينفع شيئاً ولا يضر.... إلا بعد تقديم ممارسة تحطيم الأصنام، وإبقاء الكبير منها، ومطالبة القوم بتوجيه السؤال إلى الصنم في التعرف على هوية الفاعل. بهذا الموقف الذي اعقب حادثة تكسير الأصنام، وإبقاء الكبير منها، وإقرار القوم ،بغفلتهم، وظلمهم... ينتهي القسم الثاني من قصة إبراهيم. [٢]

إن إبراهيم قد حقق انتصاراً ملحوظاً في حادثة تحطيم الأصنام، وانتزع من القوم إقراراً بخطأ ما هُم عليه.... فهل أن ذلك يعني أن القوم قد رجعوا إلى رشدهم، وتركوا فعلاً عبادة التماثيل؟ أم أن البعض منهم فحسب، قد اهتدى إلى الحقيقة، وبقي الآخرون على ضلالهم؟أن القسم الأخير من القصة، يجيب على هذا السؤال مع ملاحظة، أن الحمقى من الصعب أن يستسلموا للواقع،

---

(١) الندوي ، ابو الحسن علي الحسيني ، قصص النبيين ، ٤ / ٢٣-٢٤.

(٢)الحنفي ، ابن أبو العز ، شرح العقيدة الطحاوية، ١ / ٢٩٦ .

وتبعاً لذلك نتوقع من عبدة التماثيل – وسائر الذين يحيون في غفلة الله – إلا يكفوا عن إيقاع الأذى بكل الشخوص الخيرة التي تدعوهم إلى عبادة الله. من بيد أنهم – غافلون أيضاً – عن أن السماء لن تدع عبادَها المخلصين في قبضة من يكيدون لهم.... بل تتدخل لإنقاذهم على نحو ما سنلحظه في تعامل القوم مع إبراهيم ، وإنقاذ السماء لهذه الشخصية المصطفاة بنحو من المعجز المذهل كما ستوضحه القصة.[١]، يبدأ القسم الأخير من قصة إبراهيم الله بحادثة إلقائه في النار. من فبالرغم من أن إبراهيم الله ، قد أفحم القوم، وجعلهم يخاطب بعضهم بعضاً بأنهم ظالمون في عكوفهم على التماثيل، وبالرغم من أن هم نكسوا على رؤوسهم خجلاً الخطاب الذي وجهه إبراهيم الله إليهم بقوله: فاسألوهم أن كانوا ينطقون، وبالرغم من أنهم أقروا أمام إبراهيم الله بقولهم عن هذه الأصنام ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون»، بالرغم ذلك كله، فإن القوم أبوا إلا أن يلحقوا الأذى من بإبراهيم ما دام قد تجرأ على تهشيم أصنامهم. لقد اقترحوا – في غوغائية تدعو إلى الاشفاق، وفي هياج الرعاع الذين ألغوا حتى المسكة الصغيرة من التفكير – اقترحوا ما يلي:[٢]

قالوا: احرقوه وانصروا الهتكم أن كنتم فاعلين. إلى هنا، فإن أحداث القصة تبدأ بالتأزم وتبلغ ذروتها من ذلك، فالقضية تتصل بتدبير جريمة كان من الممكن أن تتم بنحو آخر كالقتل مثلاً وهو الأسلوب الاعتيادي القصة إبراهيم في مقارفة الجريمة .... لكنهم يقترحون نمطاً آخر.... إنهُ الإحراق في النار..... لقد خيل إليهم أن إحراق إبراهيم الله في النار، يضع حداً لأتي تصرف حكيم للانتباه مثلا، أو نظرا لتساوقه مع طبيعة أعماقهم التي طبعتها القسوة... وهي قسوة حيال أوثانهم التي عكفوا عليها ... فلعله – أي الاحراق – نظراً لتميزه بإثارة لافتة تبحث – دون ادنى شك – عن اسلوب مطبوع بنفس الانغلاق الذهني الذي قادهم إلى عبادة ما لا ينطق ولا يعي بحيث يحقق مثل هذا الأسلوب من الانتقام مزيداً من التلذذ بتعذيب الآخرين، وهو تلذذ بطبع الشخصيات السادية التي نزعت الرحمة منها تماماً. المهم أن الوحش الكامن في اعماق هؤلاء

---

(١) الزركلي، خير الدين ، الأعلام، ٦ /٢٣٣.

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١/ ٢٩٩.

القوم، بدأ يتلذذ فعلاً، بمشهد الإحراق الذي تصفه النصوص المفسرة على نحو يبعث الإثارة حقاً.[١]

أكثر من ذلك .... بدأوا يتسابقون في بذل الأموال لتهيئة الحطب، وإنه لمرأى مثير حقاً، حينما نجد أن نزعة التلذذ بالتعذيب تسوقهم – كالخراف – إلى البحث عن الحطب بأية وسيلة كانت: تلهفاً إلى مشهد الإحراق الذي سيصعد من تلذذهم بتعذيب إبراهيم،تقول النصوص المفسرة، أن القوم بدأوا بجمع الحطب من هنا وهناك، وتبلغ نزعة التلذذ بالتعذيب ذروتها، عند كبير خرافهم نمرود، حيث بني له بناء خاص لينظر إلى إبراهيم الله كيف تأخذه النار. حتى آزر أب إبراهيم – كما تقول النصوص المفسرة – كان في موقف المتلذذ بتعذيبه، مستغلاً هذه الواقعة في ثنيه عن سلوكه الثائر على مهزلة عبادة الأصنام، ممارساً حياله بعض أنماط التعذيب البدني[٢]، وأياً كان الأمر، فإن مشهد الإحراق بدأ في مرحلته العملية... لكن البطل إبراهيم لا يلوي على شيء.... لقد ضجت الأرض والسماء من هول الجريمة... ولسان حالها يقول : ليس على ظهر الأرض أحد يعبد الله غير إبراهيم... فهل ستحرقه النار ؟؟حتى أن حاجة؟ بيد أن البطل أجابه بلغة الواثق بالله ... بلغة غير الابه بالدنيا وما فيها..... أن جبرائيل – تقول بعض النصوص المفسرة – قال لابراهيم: هل لك التي أجابه بهذه اللغة العظيمة: أما إليك فلا !! وأما إلى رب العالمين، فنعم. الوحيدة ... الله... وفعلا ... كانت السماء عند حُسنِ ظن إبراهيم . هذه الإجابة تحسم كل شيء وتتجه إلى القوة ، و بلوغ ذروة القصة تأزمها.... سيظل عند . مثلما سيظل عند تفصيلاته التي سكت النص القصصي عنها تماماً، تاركاً ذلك لنصوص حَدَثِ الإحراق كما هو واضح، التفسير التي اكتفت بالتفصيلات التي قدمناها ، أو لنقل: تاركاً ذلك للقارئ أو السامع الذي سيستخلص بوضوح أن عملية الإحراق قد تحققت فعلاً ... لكنه لم يتعرف بعد على نتائجها. وها هي الواقعة.... عند بلوغها ذروة التأزم، تعقبها – حسب لغة الأدب القصصي لحظة الإنارة التي ستحسم كل شيء، وتضع خاتمة للقصة. إنها

---

(١) الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير ، ١ / ٣٩.

(٢) فكري ، علي ، أحسن القصص ، ١ / ٧٥ .

خاتمة تقوم على عنصر المفاجأة المذهلة،... إنها: المفاجأة التالية: قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم.[١]

أن هذه الحادثة المذهلة التي ختم النص بها قصة إبراهيم ، تبعث الإثارة والدهشة التي ما بعدها من دهشة.... لكنها – في منطق السماء التي لا حدود لرعايتها.... لا حدود لمعطياتها التي تغدقها على عبادها المصطفين الذين يخلصون في عبادتهم للسماء – هذه الدهشة ستأخذ الوضوح في ذهن القارئ أو السامع .... ألسنا نتوقع أن تكون السماء عند حسن ظن إبراهيم ؟؟... ذلك ما تتوقعه كل التوقع !!. ولنتابع هذه الخاتمة القصصية: قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. هذه البيئة القصصية للنار، منطوية – كما هو واضح – على عنصري البرد والسلام..[٢]قصة إبراهيم ساكت. النص القصصي، لكننا ما عسى أن نتوقع من الاستجابة العامة لديهم؟ أن أبسط ذلك، يمكننا أن نتوقعه متمثلاً في: خفوت وانطفاء كل تلك الأمال المتوحشة التي صعدتها نزعة التلذذ بتعذيب الآخرين ... ثم وقوعهم باهتين.... يلفهم دوار الهزيمة، والخذلان والضياع، والتمزق... ولعل تعقيب السماء على الحادثة المذكورة، بقولها: المهم إنهُ في صدد تبيين المعجز، وكفى بيد أن النصوص المفسرة، تسرد التفصيلات ومنها أن الحرارة تبدلت برداً وهذا ما يُصرح النص القصصي به بوضوح، ومنها : أن البيئة تحولت إلى روضة خضراء..... ومنها: أن قميصاً وبساطاً قد أُنزلا إليه .[٣]

وننتهي إلى نقطة جوهرية لما تقدم من الحجج الواضحة في قصة النبي إبراهيم الخليل عليه السلام إلى أن هذه الشخصية تم اختيارها من قبل الله سبحانه وتعالى واعطاه الرشد وقوة الإرادة في الإصلاح ومجادلة الظالمين وأن فرض الانتقاء واضح من قبل الله سبحانه وتعالى أي له القدرة في تحقيق الإرادة المفقودة للشخصيات الإصلاحية والقوة المتكاملة في مجابهة المشككين حيث أن هذه القوة الإرادية متفاوتة تبعا لدرجات الوجود ومراتبه .

---

(١) فضل ، حسن عباس ، القصص القراني ، ١/ ١٨٢ –١٨٣.

(٢)الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير ، ١/ ٤٠–٤٥.

(٣) الكوراني ،علي ، السيرة النبوية ، ٤٥ .

المبحث الثاني

نبي الله موسى عليه السلام

أن الإصلاح لا يتوقف عند جانب محدد بل هو يشمل معظم الإتجاهات والجوانب كونها مرتكز من مرتكزات لإيمان ينطلق البحث من معطيات الواقع التاريخي للفكر الديني وبنياته المؤسسة، كما يرتبط بموضوع الدراسة من زاوية الوجود الإنساني ذاته؛ فالسلام ليس نقاشًا أكاديميًا فحسب، تتزين به أروقة الساسة والمثقفين، ولكنه موضوع يلامس الحق الإنساني في العيش والوجود والاختيار والإرادة. وما الإسلام في أبعاده إلا أحد تجليات هذا الواقع، حيث حصر القرآن الكريم الإنسان بين فئتين، أما مسلمين أو مجرمين، حينما قال: ﴿ ان لِلْمُتقِينَ عِندَ رَبهِمْ جَناتِ النعيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم:٣٤-٣٦) هو هذا الفارق بين الإسلام والإجرام. وما الإسلام إلا ذلك البعد الذي يعطي الانطباع بالسلام، كما جاء في بعض الر وايات: "المسلم من سلم الن اس من لسانه ويده".[١]

المطلب الاول

مكانة النبي موسى عليه السلام واصلاحه

لكن انتقال مفهوم الإسلام من دلالاته الشاملة حيث أن الإصلاح لايخص فئة من الناس وحصره في جانبه الطقوسي، وساهم في تشكيل مرتكز العقيدة ، لقد سعى جميع الأنبياء المذكورين في القرآن جاهدًا جاهدًا لأداء الواجب المقدس الذي كلفهم به الله. من هذا المنظور ولابد الأخذ بالحسبان النقطة يجب أخذها في الاعتبار هي أن الفترات الزمنية والجماعات التي أرسل إليها هؤلاء الأنبياء وأبعاد إرسالياتهم اختلفت. ومن المهم في هذا الصدد أن الله يستخدم لفظ "أول العزم" لبعض الأنبياء على وجه الخصوص. إنهم أولئك الذين يتم إرسالهم عند نقاط تحول في الإنسانية ويتمتعون بصفات معينة لا يتمتع بها الآخرون.

أن النبي موسى عليه السلام بن عمران هو ثالث أول العزم الأنبياء وقد أسبغ عليه كتاب وشريعة . كان من نسل إسرائيل عليه السلام أو يعقوب عليه السلام النبي يعقوب وعاش موسى عليه السلام حياة

---

[١] ينظر: د. حسن طبل، د. زكريا سعيد،بلاغة النظم القرآني ، ١٧٨ – ١٧٩

مضطربة. وُلِد في وقت كان فيه الإسرائيليون يعيشون في مصر بين الغجر في حالة من الذل والعبودية ، وعندما قُطعت رؤوس أبنائهم بأمر من فرعون[١].

وضعت والدة موسى عليه السلام ، حسب الأمر الصادر لها وهي نائمة ، موسى عليه السلام في صندوق خشبي وتركته في نهر النيل. حمل الماء الصندوق مباشرة إلى قلعة فرعون ،بأمر من فرعون ، تم التقاط الصندوق، عندما فتحوه وجدوا طفلاً بداخله، وبسبب إصرار الملكة استغنت فرعون عن قتل الطفل، نظرًا لأنه لم يكن لديهم ابن ، فقد تبنوه كابن لهم ووضعوه تحت رعاية ممرضة كانت والدته بالمناسبة عاش موسى عليه السلام حتى بدايات شبابه في قصر فرعون . ثم بعد جريمة قتل عرضية ، هرب من مصر خوفا من فرعون ، ذهب إلى مديان والتقى بالنبي شعيب عليه السلام. تزوج إحدى بنات شعيب ، ورعى شاة عدة سنوات. بعد بضع سنوات ، تذكر مكان ولادته ، واصطحب زوجته معه ، وانطلق إلى مصر ، حاملاً متعلقاته معه، وفي طريقه ، عندما وصل جبل سيناء ليلاً ، كلفه الله تعالى بمهمة نبوية. اختاره الله لدعوة فرعون إلى دين التوحيد لتحرير بني إسرائيل من نير الغجر ، وتعيين أخيه هارون وزيراً له. ولكن بعد أن أعلن رسالته ونقل الرسالة الإلهية ، لم يقبل فرعون الذي كان عابدًا للأوثان والذي قدم نفسه أيضًا لشعب مصر كواحد من الآلهة ، رسالة موسى النبوية ورفض ذلك. منح الحرية لبني إسرائيل، على الرغم من أن موسى عليه السلام دعا الناس لسنوات عديدة إلى التوحيد وأظهر العديد من المعجزات إلا أن فرعون وقومه لم يظهروا أي رد فعل سوى الصلابة والكآبة.

أخيرًا ، بأمر من الله ، هاجر موسى عليه السلام الإسرائيليين وتوجهوا من مصر إلى صحراء سيناء ليلًا. عندما وصلوا إلى البحر الأحمر ، عرفهم فرعون أيضًا وطاردهم مع جيشه.[٢]بمعجزة شق موسى عليه السلام ماء البحر وعبره مع قومه ، لكن فرعون وجيشه غرقوا. بعد هذا الحدث ، أنزل الله التورات لموسى عليه السلام وأقام شريعة موسى عليه السلام بين بني إسرائيل وقد أخذ العلماء من هذه القصة أحكاما وآدابا من أهمها ما يأتى : [٣]

---

(١) ينظر: د. عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء ، ٢٠١.

(٢) ينظر: المناوي، محمد عبدالرؤوف، بناء القائد والتوقيف على مهمات التعاريف ، ٤٢٧ .

(٣) ينظر: الغامدي ، أدب الأنبياء عليهم السلام مع الخلق في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، ١٩.

أولاً: العقلانية للشخصية الثورية عند نبي الله موسى عليه السلام .

أن الإنسان مهما أوتى من العلم، فعليه أن يطلب المزيد، وأن لا يعجب بعلمه، فالله – تعالى – يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم منَ العلم إلا قَلِيلاً﴾ الاسراء : ٨٥ وطلب من نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتضرع إليه بطلب الزيادة من العلم فقال : ﴿ وَقُل رب زِدْنِي عِلْماً﴾ طه : ١١٤ والنبي موسى عليه السلام وهو من أولى العزم من الرسل، تجشم المشاق والمتاعب لكى يلتقى بالرجل الصالح؛ لينتفع بعلمه، وصمم على ذلك مهما كانت العقبات بدليل قوله تعالى حكاية عنه : ﴿لا أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البحرين أو أَمْضِيَ حُقُباً ﴾ الكهف :٦٠ .

قال القرطبى فى هذا من الفقه رحلة العالم فى طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وأن بعدت أقطارهم، وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون لطلب العلم إلى الحظ الراجح: وحصلوا على السعى الناجح، فرسخت لهم فى العلوم أقدام. وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام .[١]

وجواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى الطبيعة البشرية، كالجوع والعطش والتعب والنسيان فقد قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَباً﴾ الكهف : ٦٢

ورد عليه فتاه بقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ إذ أَوَيْنَآ إلى الصخرة فَإِني نَسِيتُ الحوت وَمَآ أَنْسَانِيهُ إلا الشيطان أن أَذْكُرَهُ﴾ (الكهف : ٦٣) وفى هذا الرد أيضا من الأدب ما فيه، فقد نسب سبب النسيان إلى الشيطان، وأن كان الكل بقضاء الله تعالى وقدره[٢] ، كما أن العلم على قسمين: علم مكتسب يدركه الإنسان باجتهاده وتحصيله بعد عون الله تعالى له. وعلم لدنى يهبه الله سبحانه لمن يشاء من عباده فقد قال – تعالى – فى شأن الخضر ﴿ وَعَلَمْنَاهُ مِن لدُنا عِلْماً﴾ الكهف : ٦٥ أي: علما خاصا أطلعه الله عليه يشمل بعض الأمور الغيبية من الضروري المتعلم أن يخفض جناحه للمعلم، وأن يخاطبه بأرق العبارات وألطفها، حتى يحصل على ما عنده من علم بسرور وارتياح. قال بعض العلماء ما ملخصه: وتأمل ما حكاه الله عن موسى فى قوله للخضر ﴿ أَتبعُكَ على أن تُعَلمَنِ مِما عُلمْتَ رُشْداً ﴾ الكهف : ٦٦ .

---

(١) لقرطبي ، أبو عبد الله محمد الانصاري ، الجامع لأحكام القرآن، ٥ / ١٢٩ .

(٢) ينظر:عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات ،٤/ ١٤.

فقد أخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، فكأنه يقول له: هل تأذن لي فى ذلك أو لا، مع إقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذى لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه[١] ، كما أن معرفة الأسباب تعين على الصبر وفقد قال الخضر لموسى: ﴿إِنكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ على مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ (الكهف :٨٠) فقد جعل الموجب لعدم صبره عدم إحاطته خبرا بالأمر من علامات الإيمان القوى، أن يقدم الإنسان المشيئة عند الإقدام على الأعمال ، وأن العزم على فعل الشيء ليس بمنزلة فعله [٢] ، فقد قال موسى للخضر:﴿ ستجدني أن شَآءَ الله صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً ﴾ (الكهف : ٦٩) ومع ذلك فعندما رأى منه أفعالا يخالف ظاهرها الحق والصلاح، لم يصبر وأنه لا بأس على العالم أن يشترط على المتعلم أمورا معينة قبل أن يبدأ فى تعليمه ،فقد قال الخضر لموسى :﴿ أن اتبعتني فَلاَ تَسْأَلْني عَن شَيءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾ (الكهف :٧٠) ما يجوز للإنسان أن يعمل عملا فى ملك غيره بدون إذنه بشرط أن يكون هذا العمل فيه مصلحة لذلك الغير كأن يرى حريقا فى دار إنسان فيقدم على إطفائه بدون إذنه، ويدفع ضرر الحريق بضرر أقل منه، فقد خرق الخضر السفينة، لكى تبقى لأصحابها المساكين وأن التأني فى الأحكام. والتثبت من الأمور، ومحاولة معرفة العلل والأسباب كل ذلك يؤدى إلى صحة الحكم، وإلى سلامة القول والعمل[٣] ومن دأب شخصية موسى العقلانية والمشيرة إلى الإصلاح الشامل استعمال الأدب مع الله تعالى فى التعبير ، فالخضر قد أضاف خرقه للسفينة إلى نفسه فقال : ﴿ فَأَرَدت أن أَعِيبَهَا﴾ (الكهف : ٧٩).

وأضاف الخير الذى فعله من أجل الغلامين اليتيمين إلى الله فقال : ﴿ فَأَرَادَ رَبكَ أن يَبْلُغَآ أَشُد هُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً من ربكَ ﴾ الكهف :٨٢ وشبيه بهذا ما حكاه الله تعالى عن صالحى الجن فى قولهم : ﴿أنا لاَ ندري أَشَر أُرِيدَ بِمَن فِي الأرض أم أَرَادَ بِهِمْ رَب هُمْ رَشَداً﴾ الجن:١٠ قال القرطبى : قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ أن يَنقَض ﴾ (الكهف : ٧٧)علمت أن معناه: قد قارب

---

(١) ينظر:الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢/٤٠-٤٢.

(٢) ينظر:العز بن عبد السلام، تفسير القرآن، ٣/١٩٠.

(٣) ينظر: ابن حبان ، صحيح ابن حبان، ٤/ ٦٩.

من أن يقع أو يسقط، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أزل الوحي بلسانه، وقد عقلوا ما عنى به وأن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى، وضل فيه ذوو الجهالة والغبا.[١]

وقوله: فَأَقَامَهُ ذكر عن ابن عباس إنهُ قال: هدمه ثم قعد يبنيه وحدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن الحسن بن عُمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقال آخرون في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أن يَنْقَض قال: رفع الجدار بيده فاستقام والصواب من القول في ذلك أن يُقال: أن الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسىعليه السلام وجدا جدارًا يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى، بمعنى: عَدَل ميله حتى عاد مستويا.[٢]

وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم ، وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوى بقدرة الله، وزال عنه مَيْلُه بلطفه، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أي وقوله: ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الكهف:٧٧) يقول: قال موسى لصاحبه: لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على إقامتك أجرا، فقال بعضهم: إنما عَنَى موسى بالأجر الذي قال له ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ القِرى: أي حتى يَقْرُونا، فإنهم قد أبوا أن يضي فونا وقال آخرون: بل عنى بذلك العِوَض والجزاء على إقامته الحائط المائل واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ على التوجيه منهم له إلى إنهُ لافتعلت من الأخذ ، وقرأ ذلك بعض أهل البصرة ﴿ لَوْ شَئِتَ لَتَخِذْتَ﴾ بتخفيف التاء وكسر الخاء، وأصله: لافتعلت[٣]، غير أنهم جعلوا التاء كأنهم من أصل الكلمة، ولأن الكلام عندهم في فعل ويفعل من ذلك: اتخِذ فلان كذا ي والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أني أختار قراءته بتشديد التاء على لافتعلت، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما، وأكثرهما على ألسن العرب، وذهب قوم إلى منع المجاز فى القرآن فإن كلام الله عز وجل – وكلام رسوله ﷺ

---

(١) ينظر: الحرستاني ، الطبري ، تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ٣ /١١٩– ١٤٥

(٢) المصدر نفسه ، ١/ ١٤٦ –١٤٧ .

(٣) ينظر: ابن حبان ،صحيح ابن حبان، ٤/ ٧٠ .

حمله على الحقيقة أولى بذى الفضل والدين ، لأنه يقص الحق كما أخبر الله تعالى فى كتابه ، وقد صرح صاحب أضواء البيان إنهُ لا مجاز فى القرآن فقال ما ملخصه : قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أن يَنقَض فَأَقَامَهُ﴾ (الكهف: ٧٧) هذه الآية من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون : بأن المجاز فى القرآن ، زاعمين أن إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة وإنما هي مجاز [١]، وقد دلت آيات من كتاب الله على إنهُ لا مانع من أن تكون إرادة الجدار حقيقة ، لأن الله – تعالى – يعلم للجمادات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق ، كما صرح تعالى بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه فى قوله سبحانه : ﴿ وأن من شَيْءٍ إلا يُسَبحُ بِحَمْدِهِ ولكن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الاسراء : ٤٤) فصرح بأننا لا نفقه تسبيحهم ، وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها سبحانه ونحن لا نعلمها .

ثانياً : الإصلاح عند شخصية نبي الله موسى عليه السلام

تعد قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم، فقد ذكر عليه السلام فيه مائة وستا وثلاثين مرة، في أربع وثلاثين سورة [٢] ، وقد حازت "سورة الأعراف على النصيب الأكبر من إجمالي هذا العدد، فقد ذكر كليم الله موسى فيها إحدى وعشرين مرة ثم تلتها سورة القصص بثماني عشرة مرة، ثم سورة طه بسبع عشرة مرة ثم سورة البقرة بثلاث عشرة مرة ثم سورنا يونس والشعراء بثماني مرات لكل منهما، ثم سورة غافر بخمس مرات، وتشترك سور النساء والمائدة والأنعام وإبراهيم والنمل وهود والإسراء بنصيب واحد هو ثلاث مرات لكل منها، ومرتان في كل من سور الكهف والمؤمنون والأحزاب والصافات والأحقاف، ومرة واحدة في كل من سور آل عمران ومريم والأنبياء والحج والفرقان والعنكبوت والسجدة وفضلت والشورى والزخرف والذاريات والنجم والصف والنازعات والأعلى".[٣]

---

(١) ينظر: البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البداية والنهاية، ٤١٦/٢ .

(٢)الخالدي ،القصص القرآني ، ٢/ ٢٧٢ .

(٣) نظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ،قصص الأنبياء، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، ٢٥٨.

وهذه الكثرة في ذكر سيدنا موسى عليه السلام إنما مردها إلى فضل هذا النبي ومكانته بين المرسلين لذلك نجد الكثير من الآيات تذكر خصاله وأخلاقه الكريمة على عكس ما وصفه به مؤلفوا الكتاب المقدس، وهكذا يكون تعالى قد كرمه تكريمها ربانيا وذلك من خلال:[١]

أ. طلب التوفيق الإلهي وتيسير الأمر عند مقاومة الإستبداد

ب. التحلي بسعة الصدر ورباطة الجأش

ج. بلاغة القول وحسن الفهم

د. اختيار البطانة الصالحة من الأهل والأقربيين، لأنهم أقربهم نفعاً وأبعدهم غدراً وأكثرهم حرصاً، وآلفهم ودًا وطبعاً، وأصبرهم طاعة وذكراً.

هـ. الإعراب عن الخوف وهواجس الخطر الذي تهدد أمنه الشخصي وطلب الحماية.

- **ملامح نظام فرعون الاستبدادي**

ويرصد القرآن ملامح النظام الاستبدادي هو نظام يقضي بوراثة الحكم حتى الممات فرعون يرث فرعون، نظام هرمي:[٢]

أ. حاكم باطش مطلق اليد متمثل في فرعون هو يعد نفسه المالك للأرض والسلطة ورقاب الناس

ب. حاشية النخبة من فسدة أصحاب النفوذ السياسي والاقتصادي متمثلة في هامان وقارون وملأ فرعون

ت .طبقة من التابعين للحاكم المؤيدين لسلطانة المنتفعين بثرواته متمثلة فى السحرة والجنود والرجل الذي قتله موسى خطأ.

ث .طبقة السواد الأعظم من المستضعفين قهراً وظلماً.

---

(١) ينظر : قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة أطروحة دكتوراه، نضال عباس جبر دويكات جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ١٨ –٢٢.

(٢) الموسوي ، عبد الستار ، موسى كليم الله النبي والقائد ، ١ / ١٨–٢٠.

- بعض سمات فرعون الشخصية في القرآن الكريم[1]

- التكبر والتجاهل
- الحديث عن التخوين والمؤامرات الخارجية
- التحدي والإصرار على الباطل
- زيادة إنفاق الأموال والمكافئات المالية للمنتفعين.
- الوعيد والتنكيل بالمصلحين والمؤمنين.
- تتبع المعارضين أينما ولوا وبأي أرض ذهبوا.
- الكذب والمخادعة ونقض الوعد.
- الميل الدائم للتصعيد،

المطلب الثاني

نبي الله موسى عليه السلام ثوريا ومبرا ووجيا

لعل أهم وأرفع ما وصف به موسى في كتاب الله تعالى اختيار الله له المنزلة الرسالة والنبوة، وهي منزلة لا تضاهيها منزلة، يصطفي لها الله من يشاء ويختار ﴿الله يصطفي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ الناسِ إن اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (الحج : ٧٥)"، وقد جمع الله له منزلة النبوة والرسالة والاصطفاء في آية واحدة فقال عز من قائل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنهُ كَان مُخْلصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيا ﴾ (مريم : ٥١)، أي كان موسى مختارًا، إذ كان من الرسل العظام، وأولي العزم الذين اصطفاهم الله على سائر الخلق والنبيين.

١. نبي الله موسى كليم الله

خص الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بتكليمه مباشرة دون وساطة، قال تعالى: ﴿ وَكَلَمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء :١٦٤)، وفي هذا تشريف وتكريم، وقد أكد الكلام بالمصدر "تكليما". لبيان إنهُ أراد حقيقة الكلام، والمعنى أن التكليم منتهى مراتب الوحي وفيه حيازة التكريم والتشريف ويقول المفسرون: وقد خص الله موسى بهذه العبارة وَكَلَمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ليدل على إنهُ أوحى

(١) الموسوي ، عبد الستار ، موسى كليم الله النبي والقائد ، ١ / ١٨-٢٠.

لموسى بطريقتين؛ الأولى: الطريق الذي أوحى بها إلى غيره من الأنبياء والثانية الطريقة الخاصة وهي تكليمه مباشرة [١]، وعلى هذا يكون جمع المراتب العالية وخلص إلى المنزلة الرفيعة في التكريم والتشريف وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٤)

٢. نبي الله موسىعليه السلام مبراً وجيها:

ضرب بنو إسرائيل أشنع الأمثلة في إيذاء نبي الله موسىعليه السلام ومارسوا ضده شتى أصناف الإيذاء، فطعنوا في عقيدته ودينه وأخلاقه، ورموه بالعيوب المنفرة في جسده"، فبرأه الله مما رموه به وأثبت لهم سلامته[٢]، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ الأحزاب:٦٩، والوجيه عند الله عظيم القدر، رفيع المنزلة، وقال بعض السلف كان من وجاهته إنهُ شفع في أخيه هارون عند الله، وطلب منه أن يكون معه وزيرا فأجابه الله إلى سؤاله وجعله نبيا. [٣]

أن ببعث الأنبياء تحرك المياه الراكدة، وتضطرب أحوال العباد، فالأنبياء هم صناع الأحداث وهم قواد الثورات، وهم أنصار الضعفاء، ومع قصة كل نبي تجد ضروباً من الحيل، وألوانا من الوسائل التي سلكها الأنبياء لاسترعاءالإنتباه، ولفت النظر، وإفراغ الوسع، وشأنهم في هذا ضرب نماذج للمصلحين في حياتنا وتقرير حقيقة مفادها أنك مطالب بإفراغ الوسع، لا بتحقيق النتائج فالنتائج جماع وسع مع قدر والمصلحون هم تلاميذ لهؤلاء الأنبياء، فمنهم تلاميذ موسى عليه السلام، ومنهم تلاميذ داود وسليمان عليهما السلام ومنهم تلاميذ لإبراهيم الخليل عليه السلام، ومنهم تلاميذ المدرسة الجامعة محمد ﷺ ومنهم تلاميذ لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً صلوات الله بل الإصلاح هو إنسان عادي جداً ، نعم هو رجل صالح وفيه مؤهلات الإصلاح ، وله عناصر في الشخصية تميز بها عن جميع من في الأرض وهي عناصر كامنة لوقتها .. لكن هذا شيء وحمل أمانة أمة بأكملها ، وفي أشد مراحل الفتن والظلمة التي مرت بها البشرية

---

(١) ينظر:لأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ، ٣/ ٤١٤.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ٤٠٠ .

(٣) ينظر: نضال عباس جبر قصة موسى عليه السلام فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة أطروحة دكتوراه، ٢٣

.. فهذا لا محالة يحتاج إلى إصلاح لا يعلم حقيقته إلا اللطيف الخبير ،وتأخير الإصلاح حتى اللحظة الأخيرة كما ذكرت سابقاً قد يكون لدواعي الحفظ من جهة ولدواعي الاصطناع من جهة أخرى من طور إلى طور حتى يبلغ الطور الأخير الذي معه الإصلاح عندها يطوي مرحلة الرجل الصالح المصلح ليبدأ بمرحلة جديدة

٣. نبي الله موسى عليه السلام من الصابرين

قدر الموسى أن يخرج من مصر خائفًا يترقب، ولبث في الغربة عشر سنين، ثم قدر له أن يُبعث إلى أكثر أهل الأرض جبروتًا وطغيانًا، وما أن بلغ دعوته حتى لاقى ما لاقى من السخرية والاستهزاء، وتوعده فرعون بالسجن والقتل، ويصبر موسى على هذا كله ويوجه قومه للإستعانة بالله والصبر حتى يهديهم ويهلك عدوهم ﴿ قال مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بالله وَاصْبِرُوا أن الأَرْضَ اللهِ يُورثها مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلمُلقين﴾ (الأعراف:)١٢٨ ، وقد صبر موسى على لون آخر من البلاء هو الصبر على أذى قومه وعناد أتباعه من بني إسرائيل، وكثرة نمردهم وطول عنادهم(١). فما أن جاوز بهم البحر بعد نجاتهم من فرعون حتى طلبوا منه أن يجعل لهم إلها، وما أن ذهب موسى إلى الطور ليناجي ربه حتى عبدوا من دون الله عجلا جسدا له خوار، وما أن أمرهم بدخول الأرض المقدسة واعدًا إياهم بنصر الله حتى رفضوا ذلك، ولذلك نجد أن جمهور المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: "فَاصْبِرُ كَمَا صَبَرَ أولي العزم من الرسل، يعدون موسى ضمن أصحاب العزم من الرسل الكرام ، وذلك لصبره وثباته و نجد أن جمهور المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: "قاضي كما صبر أولي العزم من الرسُلِ"، يعدون موسى ضمن أصحاب العزم من الرسل الكرام، وذلك لصبره وثباته على دعوته، ولما لاقاه من فرعون ومن صبره على قومه(٢)

ومن خصائص الشخصية الثورية السيطرة على الكوامن الداخلي منها الغضب والنبي موسى عليه السلام كان أحد الشخصيات التي قتلت الغضب لتفادي معصية الله ، والغضب هو : نوع تغير يحدث عند ثوران دم القلب؛ لإرادة الانتقام فإن أول الغضب غليان دم القلب، وغايته: إيصال

---

(١) الشوكاني ،موسى ،فتح القدير ،واولو العزم ، ٤/ ٣٨٠.

(٢) البيانوني ،محمد أبو الفتح ، مدخل إلى علم الدعوة ، ١/ ٢٢٦ .

العقاب إلى المغضوب عليه. وقد قُسمَ الغضبُ في جانب المخلوق إلى محمود ومذموم: فالأول: ما كان في جانب الدين، والحق، وقد كان الغضب المحمود واضحا في جانب موسى[1]وظهر في مواقف عديدة، منها غضبه على قومه بسبب عبادتهم العجل: قال تعالى: ﴿ وَلَما رَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ، غَضْبانَ أَسِفًا قَالَ بِئسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ (الاعراف:١٥٠) ومن أهم صفات أنبياء العزم امتلاكهم للشريعة الإلهية كما جاء في هذه الآية : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (شورى:)١٣ أي أن تبقى ثابتًا على الدين ولا تقسم فيه: بالنسبة لمن يعبدون غير الله ، فإن الطريقة التي تدعونهم بها صعبة. يختار الله لنفسه من يرضى ويرشد إليه أولئك الذين يلجأون إليه في هذه الآية ورد ذكر النبي نوح أولاً ثم النبي محمد ثم الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وهم من أنبياء علماء العظم– أولي العزم في الواقع ، وردت أسماء هؤلاء الأنبياء معًا في سورة الأزهب. تؤكد هذه الآية أن الرسالة المشتركة لجميع الأديان التي جاء بها الأنبياء هي أنهم يدعون الناس إلى عباد الله وحده وعبد الله وحده.[2]كمأمهاتهم مختلفات لكن أديانهم واحدة ". وهكذا فإن مصيرهم المشترك هو عبادة الله الواحد الفريد. دعا جميع الأنبياء الناس إلى الإيمان بالتوحيد لتخفيف الاضطرابات الدينية في عصرهم.

٤. القوي الأمين:

وصف الله تبارك في علاه نبيه موسى على لسان إحدى الفتاتين اللتين سقى لهما أغنامهما عندما ورد ماء مدين بأنه قوي أمين وذلك في قوله: ﴿ قالت إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ أن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ القصص: ٢٦ ، ويذكر البغوي أن الآية جمعت لموسى صفتي القوة والأمانة، وقال بعض أهل العلم: وصف بالقوة لما رأت الفنانين من قوته في سقايته الأغنام ومزاحمته للرعاة على بئر مدين ولرفعه صخرة على البئر لا يستطيع أن يرفعها إلا العدد الكبير من الناس وتظهر قوته جلية واضحة عندما وكز القبطي وكزة خفيفة فقضى عليه. أما الأمانة

---

(١) ينظر: د. أحمد غلوش، دعوة الرسل ، ٢٨٧/١.

(٢) ينظر: د.عبد الوهاب عبد العاطي مناهج أولى العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم ، ١/ ١٦٣ .

فصفة خلقية يتجلى بها من جمع الله له الخير، وتظهر أمانة موسى ﷺ في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فكان أمينا على الأعراض عندما سقى للفتاتين أغنامهما احترازًا للاختلاط بالرجال، وحينما جاءت ابنة الرجل تدعوه لبيت أبيها وكانت تمشي أمامه والريح تضرب ثوبها فتصف جسمها فكره موسى ذلك وأمرها أن تمشي خلفه، وقد كان أمينا في عمله عندما وفى الأجل الذي اتفق عليه مع والد الفتاتين مقابل زواجه من إحداهما مما يدل على وفائه وأمانته ". (١)

٥. الواثق بنصر الله عند نبي الله موسى ﷺ

عندما اقترب فرعون وجنوده من موسى والذين آمنوا معه وتقابل الفريقان وجها لوجه ولم يبق أمام بني إسرائيل سوى أن يقعوا في يد الطاغية فرعون، لينكل بهم ويسومهم سوء العذاب، وأما الموت غرقا في اليم، ساءت بهم الظنون وكاد اليأس يطغى عليهم، وقد وصف تعالى حالهم فقال: ﴿ فَلَما تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنا لَمُدْرَكُونَ ﴾ الكهف: ٦٦ وعندها جاء جواب الواثق بالله ﴿ قَالَ كَلا أن مَعِيَ رَبي سَيَهْدِينِ ﴾(الشعراء: ٦٢)، لقد كان موسى ﷺ في حالة نفسية تغاير كليًا حالة الذين معه، لقد كان في غاية الاستقرار النفسي، فمعية الله التي يستشعر بها موسىﷺ سكبت في قلبه الأمن والأمان، وذكر أتباعه بهذه المعية التي تنم عن ثقة عالية بالله، وأن الله لن يمكن فرعون منهم، وأنه سيهديهم إلى طريق النجاة.(٢)يتبين جليا أن ما وصف به عليه السلام في الكتاب المقدس من أمره بسرقة المصريين، وإبادته لأهل مدين، وتذمره من أوامر الله تعالى له، إنما هو محض كذب افتراه عليه مؤلفوا الكتاب المقدس والذين فضحت مزاعمهم بالعودة إلى القرآن الكريم الذي وصف موسى عليه السلام بأحسن الصفات ومكارم الأخلاق والتي بوأته مبوأ أولي العزم من الرسل.(٣)

---

(١) ينظر: د محمد شوقي نصار، دعوة الحق لهداية جميع الخلق ، ١/ ٤٠.

(٢) ينظر: الفراء، أبو محمد بن مسعود ،معالم التنزيل البغوي ، ٣/ ٣٨٠ .

(٣) ينظر:دويكات، نضال عباس جبر قصة موسى ﷺمع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة أطروحة دكتوراه، ٢٢ .

ونخلص بذلك إلى أن موضوع الشخصية الإصلاحية تتمتع بمبدأ الرشد وصفات أخرى متتابعة والإشكالية في تحديد نوع هذه الشخصية التي يتبناها الثوري لوصول إلى العلة وتحقيق الصلاح المنشود ،ولكي يحقق التوازن الله سبحانه وتعالى وضع الأسباب والمسببات وجوهر التأثر والمؤثر والعلة والمعلول [1]ويعبر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف :٢٩)

الحق من ربك ولم يقل الحق مع ربك فالله أسمى من أن نقول إنهُ مع الحق بل هو الحق وكل حق إنما ينبع من ذاته المقدس، فإن صفات أولي العزم ويصفونهم أولي العظم لما يملكونه من صفات قد وضعها الله سبحانه وتعالى بغية الاقتداء بهم والإفادة من تجربتهم فإن السمو متصل بالقدرة الإلهية على توجيه المعلول، أما الإصلاح والعمل هو قالب من القوالب التي تصنع السعادة داخل المجتمع ولابد أن يكون شجرة مثمرة .

كما أن التاريخ الإنساني وذاكرته تختزن الكثير من الأحداث المأساوية التي كانت شاهدة على هذا الصراع[2]. فقضية السلام لم تكن وليدة اليوم أو الأمس، وإنما هي نتاج تراكم التجارب الإنسانية التي يرتبط بها الوجود الإنساني ذاته، ويتوق ف عليها بقاؤه واستمرار حياته، فلا يمكن أن نتحدث عن تواصل ثقافي وحضاري، ونتطل ع إلى مجتمع إنساني ينعم فيه هذا الأخير بالكرامة والعدالة الإجتماعية، إلا في ظل ثقافة يكون السلم والسلام ركيزتيهما الأساسيتين،من أجل ذلك تتالت الجهود البشرية في ترسيخ هذه المبادئ العالمية، ووضع اللبنات الأساسية في هذا الصرح المتعالي، وصولاً إلى العالم المعاصر، حيث تتبلور هذه القيم بشكل ظاهر عبْر منظمات حقوقية، وسياسات دولية، ومجتمعات مدنية.[3]

وتعد ثورة موسى عليه السلام هي من الثورات العميقة لما حملته من مواقف في مجتمع يسودُه الاستبداد، ونموذج سياسي شمولي، كما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا

---

(١) مطهري ،مرتضى ، سلوك واخلاق الإسلام ، ١/ ٢٨٢ .

(٢) ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ، ١٢/ ٧٧.

(٣) ينظر: أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها . ١/ ١٢.

مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر : ٢٩) تتضح معالم ثورة سياسية يقودها النبي موسى عليه السلام، من أجل تحرير الإنسان، ووضع حد نهائي لنظام طائفي ظالم، لم يكن موسى بدعًا من الر سل أو المصلحين أو من يقود ثورات بأسماء مختلفة، سواء كانت دينية أو سياسية أو ثقافية؛ فالثورة التي قادها موسى سياسية بامتياز، لكنْ مساراتها عرفت استراتيجيات تأرجحَت بين تبني العنف والسلم لقلب الأسُس التي بنى عليها فرعون فكره ونموذجه في الحُكم. فكما ذكر غوستاف لوبون، (فإن الثورة مهما كان مصدرها، لا تصبح ذات نتائج إلا بعد هبوطها إلى روح الجماعات؛ فالجماعة تُتِم الثورة، ولا تكُون مصدرها، وهي لا تقدِر على شيء ولا تريد شيئا، أن لم يكن عليها رئيس يقودها)[١].

أن مثال موسىعليه السلام في القرآن الكريم هو مثال القائد الثوري الذي يستند على أطروحة التحرير في مجابهة نظام يستند على إيديولوجية شمولية لا تترك مجالا للمعارضة السياسية. فقد حصرت الصواب والحق المطلق في إيديولوجيتها القمعية، فلم تعد ترى الصواب إلا في ما تراه أو تخطط له: "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد"[٢].

ففي ظل ذا النظام الطائفي التقسيمي ينشأ موسىعليه السلام وفي قلْب هذه البيئة ينفذ إلى عمق المجتمع، ويرى كيف حولت الإيديولوجية الشمولية الناس إلى قطيع وعبيد، ليس لهم من إنسانيتهم إلا اتخاذ الفرعون والمستبد رباً وإلهاً، ووسيلته في ذلك الآلة القمعية أو الجهاز القمعي والإيديولوجي للدولة، بتعبير لويس ألتوسير (كل الظروف والملابسات، تجعل من موسى الرجل الذي يتشكل لديه الموقف الصريح من كل من شايع النظام الحاكم، أو ناصر أطروحاته القمعية ليجد نفسه أمام تجربة نقرأ فيها رحلة البحث عن التحرر)[٣]، يجد موسىعليه السلام في قلْب التحولات ومخاطر الثورة التي يمكنُ أن يصادفها، منْ يحمل لواء التغيير رجلين يقتتلان؛ فيبدأ المشهد الإنساني الذي يرويه القرآن الكريم "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكَزه موسى

---

(١) ينظر: الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ، ٢/ ٥٨٥ .

(٢) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،١/ ٦٥ .

(٣)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٩٣ .

فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين[١]"

فلعل التأمل في هذا السرد القَصصي يعطينا انطباعاً واضحاً على خطورة التعصب الحزبي أو الطائفي أو المذهبي فكل إنسان يحمل عقائدية سياسية أو دينية، ولم يرتقِ ليستحضر البعد الأخلاقي والإنساني، لا بد له أن يصطدم بهول الهاوية التي يمكن أن ينحدر إليها؛ فهكذا دخل موسى عليه السلام في نفق الانتصار الحزبي والطائفي، فأراد مناصرة الذي من شيعته، والحقد على المخالف له، إلى درجة القضاء عليه والبطش به [٢]

وربما يظن الإنسان، في لحظة من لحظات مسيرته، أن القتل مبرر في حالة الاستعصاء التاريخي، أو المراحل الحساسة التي تمر منها المجتمعات، خاصة إذا ما اقترن هذا القتل بالانتقام من السلطة الحاكمة القمعية أو السلطوية، لكن الأمر يأخذ مساراً آخر، حين يدرك موسى عليه السلام خطورة منهج القتل.

كما سينتبه له أي إنسان بعده، يريد أن يتخذ مسلك موسى طريقاً للإصلاح والحوار؛ فأقر على نفسه بأن هذا العمل لا يمكن أن يكون إلا وهمًا شيطانيًا، وليس عملًا منبعثًا من قناعات نفسية: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ القصص : ١٥، بل ويزيد الأمر توضيحا أن ما قام به من قتل لتلك النفس، ولو كانت مخالفة له في الفكر والرأي، هو جريمة بكل المقاييس الإنسانية، ويردع نفسه أن يكون من صناع ثقافة الموت وفقيق قوله تعالى : {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ} (القصص:١٧)

وتشير الى أن رب قال بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين بالرغم من هذا الاعتراف الحاسم لموسى بجريمته، يكرر الأمر نفسه في الظروف نفسها مع رجلين آخرين وفي قوله تعالى { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ} (القصص : ١٨): "فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا

(١) ينظر:النجار ، البستاني ، قصص الانبياء ، ١٩٣-١٩٧ .

(٢) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل قصص الأنبياء، ، ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس أن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين[١] ،إنها النفس إذا اتخذت طريق القتل مسلكًا لها في حل مشاكلها وقضاياها. وموسى وأن أقر بجريمته يسقط فيها مجددا لولا أن تنبه إلى حجم الهاوية التي قد تسقطه فيها عصبيته، أو تصوره لحل مثل هذه القضايا: "أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس أن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين" ،فعلى من يسلك نهج موسى في تعاطيه مع حل القضايا بعصبية، أن يتذكر أنه اعترف إلى ربه بأن هذا مسلك المجرمين وليس مسلك المصلحين، مهمَا حاولوا أن يُلْبِسُوهُ من تبريرات، أو أوهام صنعتْها الثقافة الاحتكارية لهم[٢].

أن ما نحمله في ثقافتنا، ونكرسه عبْر ممارساتنا لمفهوم الثورة بأبعادها الراديكالية، لا يمكنُ أن يكون منهجًا للإصلاح، بعيدا عن الثورة الث قافية المتزامنة مع أية حركة إصلاحية؛ فثقافتنا مليئة بالأحداث والبنيات والوقائع التي تؤكد حضور العنف بوصفه بنية متأصلة، وليست عرضية في بعض المشاريع الدينية، خاصة حركات الإسلام السياسي، أن على مستوى الخطاب أو على مستوى الممارسة والتنزيل الفعلي؛ فيكفي أن نقف سويا على حجم ما تحويه هذه البنيات المؤسسة للخطاب الإسلامي في شقه الحركي، لندرك خطورة مآلات هذا الفكر من خلال رواية مروية في كتب الحديث.[٣]

،لكن لابد من التذكير بقاعدة نقد المتن، إلى جانب نقد الإسناد؛ ففي هذا الصدد يقول ابن الصلاح في المقدمة، كما نقله عنه ابن كثير: "أما اَلْحَدِيثُ اَلصحِيحُ، فَهُوَ اَلْحَدِيثُ اَلْمُسْنَدُ اَلذِي يَتصِلُ إسْنَادُهُ بِنَقْلِ اَلْعَدْلِ اَلضابِطِ عَنْ اَلْعَدْلِ اَلضابِطِ إلى مُنْتَهَاهُ، وَلَا يَكُونَ شَاذا وَلَا مُعَل لًا" وقال: "والحكم بالصحة أو الحسن على الإسناد لا يلزم منه بذلك على المتن، إذ قد يكون شاذا أو معللا [٤]"

---

(١) الشوكاني، فتح القدير ،٣/ ٣٥٧ .

(٢) ملكاوي ، محمد أحمد ،عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، ١/ ٢٠٠٠.

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٢ / ٢٤٨.

(٤) البسيوني ، حامد أحمد الطاهر، صحيح قصص القرآن، ، ٣١٤.

إذن؛ فالمستفاد هو أن نقد متن الأحاديث يستلزم أن تكون حصيلة معانيها ومقاصدها موافقة موازين القرآن الكريم، والعقل والمنطق، بعدم تعارضها مع مضمون آيات الله في القرآن الكريم، أو مقاصد الخلق والقيم الإنسانية، أو ما توصل إليه العلم، وصار حقيقة علمية في الكون والمجتمع والتاريخ.(١)

إن قيادة موسى للإصلاح كانت معقدة للغاية ضد فرعون كونه تمكن من اجبار مجموعة من الشبان على تعلم السحر؛ ليفرضوا سيطرتهم على المجتمع ويصدوهم عن عبادة الله تعالى قال ابن عباس أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل، فأمر أن يُعل موا السحر، وقال: علموهم تعليماً لا يعلمه أحد في الأرض، فبعث الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى وحدانية الله، وأبطل ما كانوا عليه من السحر بالمناظرة التي انتهت بإيمان السحرة، ويتبين ذلك من قول أولئك السحرة لما آمنوا بالله تعالى إذ لم يرهبهم التهديد والوعيد قال تعالى: ﴿ إِنا آمَنا بِرَبنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طه: ٧٣)

فالإصلاح السياسي لابد أن يبدأ من الحاكم بإقامة دين الله وتحري العدل وأن الدعائم التي تقوم عليها الدولة هي: الشورى، والعدالة، والمساواة، ووجود القوة والهيبة للدولة، مع الاهتمام ببطانة الحاكم وموظفيه. فقام الأنبياء بإصلاح هذه الأشياء.

المبحث الثالث

النبي الله شعيب عليه السلام

(١) عمارة، محمد. الإسلام والأمن الاجتماعي١/ ٢٥-٢٤ .

تظهر أهمية الإصلاح الإجتماعي في توفير السلام ، والأمن ، والطمأنينة ، والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، ووجود الرحمة والبر والتلاحم والأخوة والتسامح الإجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد.

أن الإصلاح قضية مهمة في حياة المجتمعات والأفراد، وهي قضية لا تقوم إلا على أسس راسخة، وقواعد ثابتة، وقد كان أنبياء الله هم قادة الإصلاح في جميع المجالات، وقد طرح الشيخ في هذه المادة أسس الإصلاح التي انطلق منها نبي الله شعيب عليه السلام حتى تكون منهاجاً لكل من يريد الإصلاح ، فالاصلاح **سبب لدفع البلاء والهلاك والضنك عن المجتمعات** لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧).

يقول سيد قطب : "وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم. فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صوره، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية ، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يَظلِم فيها الظالمون ، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر ، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تَحق عليها .

المطلب الاول

نبي الله شعيب عليه السلام يؤسس قواعد الإصلاح

ثم استمعوا معي إلى ما قاله شعيب عليه السلام في هذه الكلمات التي تؤسس القواعد مع ما سبق أن ذكرناه من قاعدة الإيمان وحسن الاعتقاد وصحته، وقاعدة الاستقامة وكمال الإلتزام بشريعة الله عز وجل ، قال عليه السلام عندما ردوا عليه بهذا الرد: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أن كُنتُ عَلَى بَيِنَةٍ مِنْ رَبي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أن أُخَالِفَكُمْ إلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ أن أُرِيدُ إلا الإصلاح مَا

اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨)، في هذه الآيات منهج لكل مصلح ما الذي ينبغي عليه في تكوين ذاته ونفسه، ما الذي يجب عليه في حسن عرضه ودعوته، ما الذي ينتهي ويرتكز عليه في قدرته ومواصلته[١].

وشعيب كان يحاول القاء الحجة وهو يقول: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أن كُنتُ عَلَى بَيِنَةٍ مِنْ رَبي﴾ (هود:٨٨)، أما إذا لم يكن المصلح على بينة من ربه، وعلى معرفة من نهجه، فربما اضطرب أو تشكك، وربما تراجع وتقهقر، وربما وافق وداهن أو جامل فيما لا ينبغي أن يكون؛ خاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه المفاسد والأطروحات والضغوطات المختلفة، حتى صار الناس يدعون أموراً ليست من الدين وينسبونها إليه؛ لأنهم ليسوا على بينة من ربهم.[٢]

وينبغي للمؤمن والمصلح والداعية والعالم وكل فاعل خير في هذه الأمة أن يتزود به، وأن يتحصن به، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِني عَلَى بَيِنَةٍ مِنْ رَبي وَكَذبْتُمْ بِهِ﴾ (الأنعام:٥٧)، حتى وأن كذبت الدنيا كلها، وأن صارت وسائل الإعلام تصك أذاننا كل يوم بمذاهب وضعية بشرية؛ فإننا نقول: إنا على بينة من ربنا.

﴿ وَكَذبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ (الأنعام:٥٧) أن هذا التشكك لا يزيله إلا يقين راسخ، ومعرفة تامة، وبينة واضحة في منهج، ثم قال شعيب عليه السلام: ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هود:٨٨ قال أهل التفسير: قصد النبوة، أو الرزق الحلال، قال ابن كثير : والأمر يحتمل، ومقصوده في سياق الآية: ﴿ ورزقني منه رزقاً حسنا﴾ أي: أخذت من الحلال ما كان موافقاً لشرع الله، وتركت ما كان من الحرام مخالفاً لأمر الله.[٣]

فالاستقامة هنا بعد وضوح المنهج، أن كل مصلح لا بد أن يكون قدوة ولا بد أن يكون مسابقاً لكل خير يدعو إليه، ومجتنباً لكل سوء أو شر يحذر منه، لا بد أن يكون قدوة

---

(١) ابن ماجة ، محمد بن يزيد سنن ابن ماجة ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٢١٣/٢ .

(٢) ابن عاشور ،محمد الطاهر ، أصول النظام الإجتماعي في الدين ، ١٦٩.

(٣) ينظر: ابن اخلالل ، أمحد بن حمد بن هارون بن يزيد ، عطية الزهراين ، ١ /٢٦٤ ، برقم : ٣٢٤ .

تتعلق بها القلوب، وتتأثر بها النفوس، وتكون أنموذجاً يقتفى، وأسوة تحتذى[1] ، فقال: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أن أُخَالِفَكُمْ إلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود:٨٨) أن أعظم أثر سلبي لدعوة الإصلاح أن يكون الداعي إليها أول مخالفٍ لها ، كما ينبغي أن يكون عليه الإصلاح، وهو يتلقى توجيهاته أو إرشاداته أو نظرياته أو أفكاره ممن ليسوا على دينه ولا على ملته [2] ، كذلك وقوله : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أن أُخَالِفَكُمْ إلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ (هود:٨٨) سواء كان ذلك في السر أو كان في العلن، ذكر ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: لا أنهاكم عن شيء وأخالفكم في السر فأفعله خفية عنكم، كما قاله قتادة ، وقال كذلك: لم أكن أنهاكم عن أمر وأركبه، لما كان لهذا الأمر أثره في عدم قبول دعوة الإصلاح والتأثر بها ،ثم قال: ﴿ أن أُرِيدُ إلا الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود:٨٨) وهذه قاعدة إصلاحية مهمة، قاعدة الإخلاص والتجرد عن المصالح الذاتية، قاعدة الارتباط بتغليب المصالح العامة للأمة [3]، كما أن الداعية صلح لا يريد شيئاً لنفسه، لا يريد شيئاً يتصل به أو بجماعته أو بقبيلته أو بفئته، أن المصلح الحق إنما يريد وجه الله أولاً، وخير أمته وأبناء أمته ثانياً، لا يوجهه لذلك مصلحة ولا يرده عن ذلك مفسدة، إنما أساسه ورغبته الإصلاح، فإرادته الجازمة وغايته الواضحة: ﴿ أن أُرِيدُ إلا الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود:٨٨).

وقضية الإصلاح والتغيير قضية ليست سهلة، ومن هنا جاء قوله عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:٨٨، فإنه لا يمكن أن تحقق دعوة إصلاحية أثرها إلا بتوفيق الله عز وجل، ولا يستدعى هذا التوفيق ولا يستجلب إلا بالإخلاص لله عز وجل، وكمال التجرد، والرغبة في خير هذه الأمة وإصلاحها وقوله تعالى :﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:٨٨ فالاعتماد عليه، والرجوع إليه، قال السعدي في تفسيره: وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكلْ عَلَيْهِ﴾ هود:١٢٣، وكما قال:﴿ إِياكَ نَعْبُدُ وَإِياكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥)

---

(١) ينظر: ابن كثير ، إمساعيل بن عمر ، تفسري القرآن العظيم، ٧ /٣٠٥ .

(٢) ينظر: الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٢ /١٤٥ .

(٣) ينظر: ابن كثير ، تفسري القرآن العظيم ، ٦ /٣٨٢ .

المطلب الثاني

اصلاح شعيب لقومه وثورته

يشمل الإصلاح الإجتماعي على مستوى المجتمع الإصلاح السياسي والاقتصادي والسلوكي، والإصلاح السياسي من مقاصد القرآن؛ لأن الدين دين هداية وسيادة وسياسة وحكم، فما جاء به القرآن من إصلاح البشر في جميع شؤونهم، يتوقف على السيادة وإقامة الحق، والحكم بالعدل، وحماية الدين والدولة [١]

أن صلاح المجتمع يكون بطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع والتفرق، [٢]لأن ذلك يؤدي إلى الفشل الذريع، والضعف الذي لا تقوم للأمة به قائمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ أن اللهَ مَعَ الصابِرِينَ﴾ الأنفال:٤٦ ، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ منَ النارِ فَأَنقَذَكُم منْهَا كَذَلِكَ يُبَينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَل كُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣).

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ قد وضع قواعد لإصلاح المجتمع، منها بناء المسجد، وللمساجد دورها العظيم في الإصلاح الإجتماعي، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو ما جاء في الآية السابقة ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ﴾ ، وكذلك ما ورد من أحاديث تمتن هذه الروابط الإجتماعية، منها حديث أنس عن النبي ﷺ قال: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَى يُحِبَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُ لِنَفْسِهِ " [٣٠] وحديث النعمان بن بشير قال: قال رسول اللهﷺ : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" [٣١].

---

(١) ينظر: الخازن ،علاء الدين علي بن حمد، تفسير الخازن لباب التاويل في معاني التنزيل ٣ /٢١٦ – ٢١٧

(٢) الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى ، كتاب الكليات ، ١ /٦٥٠ .

هذا وقد عد محمد رشيد رضا الإصلاح الإجتماعي من مقاصد القرآن الكريم، وهو يقوم على أصول أدبية وهي:[١]

– وحدة الأمة: قال تعالى مخاطباً أمة الدين : ﴿ أن هَذِهِ أمتُكُم أمةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء:٩٢.

– الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات:١٣، وقد بلغ النبي ﷺ ذلك للأمة في حجة الوداع.

ونخلص بذلك إلى أن الشخصية الثورية الإصلاحية تتمتع بعدة مميزات ومرتكزات تعتمد على مبدأ العقيدة وهو عملية تجديد تتصل بالحياة، بحيث تحمي المجتمع من شيوع المفاسد والمنكرات والانحراف، وبالتالي يتحقق إصلاح البشر من جميع النواحي، وبصلاح الإنسان يصلح العالم لا ينفك الإصلاح الإجتماعي عن باقي أنواع الإصلاح، كالإصلاح السياسي، والاقتصادي ، والتعليمي، والفكري، والسلوكي، لكنه الأهم بين هذه الأنواع، وهو بمثابة حجر الزاوية، وهذا ما جاء في تركيز المصلحين على هذا النوع من الإصلاح.

كما أن صلاح الفرد يكون بإصلاح عقيدته التي هي سبب في إصلاح عمله ثم عبادته، ثم خلقه وسلوكه، وبصلاحه يصلح المجتمع، ويتحقق الإصلاح المجتمعي الذي يقوم على الإصلاح السياسي والاقتصادي والسلوكي ، لذا فإن فلسفة الشخصية الإصلاحية الثورية تعتمد على العلة البنائية وهي غير علة البقاء التي هي قوة التماسك والقوة الحيوية الموجودة في الطبيعة وكلتا العلتين للشخصية الإصلاحية والعلة البنائية ترتكز على مبدأ العقيدة الغيبية . [٢]

المبحث الرابع

نبي الله يوسف عليه السلام

---

(١) محمد رشيد رضا ، الإصلاح الإجتماعي من مقاصد القرآن الكريم ، ٧٢.

[٢] الصدر ، محمد محمد صادق، ما وراء الفقه، ص٣٤

إن الأنبياء والمرسلون يتفاوتون في الصبر ، فبالرغم من الصبر العظيم من يوسف عليه السلام لا يعني إنهُ فاق أولي العزم من الرسل في الصبر والتقوى ، فقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أعظم ، والواقع فيها من الجانبين ، فما فعله الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ودينه، وإظهار آياته ، وأمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومجاهدة المكذبين لهم ، والصبر على أذاهم ، هو أعظم عند الله ، ولهذا كانوا أفضل من يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وما صبروا عليه وعنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه ، وعبادتهم الله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه أعظمُ من طاعة يوسف وعبادته وتقواه ، أولئك أولي العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبِيينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الاحزاب : ٧)وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبِيينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (الاحزاب : ٧).

نود الإشارة أمور مهمة أولها اختلاف طريقة رواية قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم عن بقية قصص الأنبياء، فجاءت قصص الأنبياء في عدة سور، بينما جاءت قصة يوسف كاملة في سورة واحدة.ولد سيدنا يوسف وكان له ١١ أخا وكان أبوه يحبه كثيراً وفي ذات ليلة رأى أحدعشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، فقص على والده ما رأى فقال له إلا يقصها على إخوته، ولكن الشيطان وسوس لإخوته فاتفقوا على أن يلقوه في غيابات الجب وادعوا أن الذئب أكله، ثم مر به ناس من البدو فأخذوه وباعوه بثمن بخس واشتراه عزيز مصر وطلب من زوجته أن ترعاه ولكنها أخذت تراوده عن نفسه فأبى فكادت له ودخل السجن، ثم أظهر الله براءته وخرج من السجن ، واستعمله الملك على شؤون الغذاء التي أحسن إدارتها في سنوات القحط، ثم اجتمع شمله مع إخوته ووالديه وخروا له سجدا وتحققت رؤياه.(١)

قال تعالى في سورة يوسف:﴿نَحْنُ نَقُص عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القرآن وأن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ واختلف العلماء لم سميت هذه القصة أحسن القصص؟ قيل إنها تنفرد من بين قصص القرآن باحتوائها على عالم كامل من العبر والحكم.. وقيل لأن يوسف

(١) فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم ،٤٥.

تجاوز عن إخوته وصبر عليهم وعفا عنهم.. وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والعفة والغواية، وسير الملوك والممالك، والرجال والنساء، وحيل النساء ومكرهن[١]، وفيها ذكر التوحيد والفقه، وتعبير الرؤيا وتفسيرها، فهي سورة غنية بالمشاهد والانفعالات وقيل: إنها سميت أحسن القصص لأن مآل من كانوا فيها جميعا كان إلى السعادة، ومع تقديرنا لهذه الأسباب كلها..

نعتقد أن ثمة سببا مهما يميز شخصية يوسف باصلاحه ورشده من الصغر وهو يعد مرتكز من مرتكزات أولي العزم. تتمحض قصة يوسف حول صبره وقدرته على تحمل المصاعب ورشده أن أهمية شخصية يوسف تتمثل في تضمنها أحداثاً ومواقف في غاية الإثارة، وهذه الإثارة ناجمة عن كونها تتصل بأهم الدوافع لدى الإنسان وأشدها إلحاحاً، وفي مقدمتها: الدافع الجنسي. يلي الحسد أو الغيرة، وهو دافع ملح بدوره لا يكاد يتحرر الانسان منه إلا بالتدريب الشاق من خلال الوعي الإسلامي بجذور هذا الدافع وطرائق تهذيبه أو التصعيد به، أو التخلص منه. هناك أيضاً دافع ثالث ملح بدوره، تكشف القصة عنه، إلا وهو دافع السيطرة أو التفوق. ذلك كله: ثمة دوافع وحاجات وميول ومواقف تكشف القصة عنها[٢]، مبينة لنا طرائق التعامل معها، واشباعها بالطريقة السوية أو الشاذة. وفضلاً عن أن والأنبياء والمرسلون يتفاوتون في الصبر ، فبالرغم من الصبر العظيم من يوسف عليه السلام لا يعني إنهُ فاق أولي العزم من الرسل في الصبر والتقوى [٣]، فقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أعظم ، والواقع فيها من الجانبين ، فما فعله الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ودينه، وإظهار آياته ، وأمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومجاهدة المكذبين لهم ، والصبر على أذاهم ، هو أعظم عند الله ، ولهذا كانوا أفضل من يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وما صبروا عليه وعنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه ، وعبادتهم الله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه أعظمُ من طاعة يوسف وعبادته وتقواه ، أولئك أولي العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبِيين مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب : ٧) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبِيينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

---

(١) ابن كثير تفسير ابن كثير ،٥/ ٨٨.

(٢) الطبري، تفسير الطبري ،١٧/ ٤٧٠.

(٣) نفس المصدر، ٥/ ٣٧٨.

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (الاحزاب : ٧) وقوله تعالى : ﴿الشرع لَكُمْ مِن الدينِ مَا وَصى بِهِ نُوحًا وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أن أَقِيمُوا الدين ولا تَتَفَرقُوا فيه﴾ (الشورى : ١٣)، وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة [١].

المطلب الاول

مكانة النبي يوسف عليه السلام

الإيمان بتفاضل الرسل يعني الإقرارَ والتصديق الجازم بأن الأنبياء والرسل ليسوا على درجة واحدة؛ فلقد فضل الله تعالى بعض النبين على بعض؛ فقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ فَضلْنَا بَعْضَ النبِيينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (الإسراء: ٥٥).

(١) ينظر: رواه أبو داود ٤٦٧٣، وابن ماجه ٤٣٠٨ عن أبو سعيد ، وصححه الألباني.

قال الطبري في تفسير الآية: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكل م موسى تكليماً، وجعل الله عيسى كَمَثَل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن، فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً... وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر[١]وفضل الله الرسل على الأنبياء، وفضل بعضهم على بعض، فقال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرسُلُ فَضلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَينَاتِ وَأَيدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

قال الطبري في تفسير الآية:«هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض، فكلمت بعضهم، والذي كلمته منهم موسى ، ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة، ورِفعة المنزلة».[٢]

وفي الشورى في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدينِ مَا وَصى بِهِ نُوحًا وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أن أَقِيمُوا الدينَ وَلَا تَتَفَرقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

ما يميز شخصية يوسف القيادية والثورية التي ذكَرَها القرآن، والتي أهلتْه لأن يكون قائدًا ناجِحًا، بل وأصبح مثالاً يُحتذى به في القيادة، فنَجِد فيها اشتراطات للقيادة: فالقائد الناجح له الحق في أن يشترط لنفسه بعض الاشتراطات التي يُعتَقد أنها تُعينه في مهمته، وذلك قبل اضطلاعه في مهمة القيادة، أو إنهُ يطلب بعض الصلاحيات التي تؤهله للنجاح في مهمته[٣]، فكان من أمر النبي يوسف عليه السلام إنهُ طلب عليه السلام من المَلِك إيضاح التهمة الباطلة التي أُلصقَت به في الماضي؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَما جَاءَهُ الرسُولُ قَالَ ارْجِعْ إلى رَبكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النسْوَةِ اللاتِي قَطعْنَ أَيْدِيَهُن أن رَبي بِكَيْدِهِن عَلِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٠، وكما هو معلوم فقد أُعلنت براءة يوسف عليه السلام على المَلأ علنًا، من أجل أن يَبدأ مع الناس بداية لا شكوك فيها ولا طعن.[٤]

---

(١) أبن كثير ، تفسير ابن كثير ،٥/ ٨٧-٨٨.

(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٨ / ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) ينظر: صالح حميد العلي : معالم الاقتصاد الإسلامي ،مراجعة نور الدين عتر، ٢٠١٢.

(٤) عمرو ، خالد ، قصص الأنبـياء ،٤ / ٢٨١ .

عين نبي الله يوسف عليه السلام المهمة التي يمكنه أن يُبدع فيها، والتي يَمتلك أدواتها؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٥) ، كما أن يَبلغ أشده: فإن الله – جل جلاله – لم يجعل يوسف عليه السلام يَسوس الناس حتى بلغ أشده؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٢٢)، وبلوغ الأَشُد لا علاقه له بالسن ، فقد جاء في "تاج العروس، من جواهر القاموس"؛ للزبيدي: "الأَشُد مَبْلَغُ

الرجُلِ الحُنْكَةَ والمَعرِفةَ؛ قال الله تعالى: ﴿ حَتى إذا بَلَغَ أَشُدهُ ﴾ (الأحقاف: ١٥)، وقال الأَزهري : الأَشُد في كتابِ الله تعالى على ثلاثةِ معانٍ يَقرب اختلافُهَا فأَما قوله في قصة يوسُفَ عليه السلام: ﴿ وَلَما بَلَغَ أَشُدهُ ﴾، فمعناه: الإدراكُ والبُلُوغُ، وحينئذٍ راودَتْه امرأَةُ العزيزِ عن نفْسه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ حَتى يَبْلُغَ أَشُدهُ ﴾ (الأنعام: ١٥٢) بفتْح فضَم ، ويُضَم أو لُهُ وهي قليلةٌ، حكَاها السيرافي ، قال الزجاج: معناه: احفَظُوا عليه مالَهُ حتى يَبلُغَ أَشُده، فإذا بلَغَ أَشُده فادْفَعوا إليه مالَه، قال: وبُلوغُه أَشُده: أن يُؤْنَسَ منه الرشْدُ مع أن يكون بالِغًا، قال: وقال بعضُهم: حَتى يَبْلُغَ أَشُدهُ حتى يَبلُغ ثَمانِيَ عَشرةَ سَنةً، قال أَبو إِسحاقَ: لسْتُ أَعرِف ما وَجْهُ ذلك؛ لأَنه أن أَدْرَكَ قبلَ ثمانِيَ عَشْرةَ سَنةً وقد أُونِس منه الرشْدُ فطلَبَ دَفْعَ مالِه إليه،[١] وجب له ذلك وأما قولُه تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَلَما بَلَغَ أَشُدهُ وَاسْتَوَى ﴾ القصص: ١٤، فإنه قَرَنَ بُلُوغَ الأَشُد بالاستواءِ، وهو أن يَجتمع أَمرُه وقُوتُه، ويكتَهِل وَيَنْتَهِيَ شَبَابُه.[٢]

وأما قولُه تعالى في سورة الأَحقاف: ﴿ حَتى إذا بَلَغَ أَشُدهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ (الأحقاف: ١٥)، فهو أَقصَى نِهَايَةِ بُلُوغِ الأَشُد ، وعند تمامها بُعِثَ محمدٌ ﷺ نَبِيا، وقد اجتمعَت حُنْكَتُه وتَمام عَقْلِه"[٣] ، فضلا عن أن النبي يوسف عليه السلام – كغيره من القادة الربانيين – أوتي علمًا من الله – جل جلاله – قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٢٢) ، والتمكين فرصة كبيرة للقائد لإثبات جدارته؛ لأنه يجد فيه الأدوات والصلاحيات اللازمة لذلك، والتمكين لا يكون إلا بعد ابتلاء شديد، وهذا ما حصل مع النبي يوسف عليه السلام، "وقيل للشافعي يومًا: أيما أفضل: الصبر أو المِحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي التمكين درجة

---

(١) زاهية الدجاني ، يوسف في القرآن الكريم ،١٨٨.

(٢) ينظر: الغزالي ،إحياء علوم الدين؛ ، باب: العلم الذي هو فرض كفاية ،١ / ٢٦.

(٣) أحمد مصطفى ، تفسير المراغي ، ٩/ ٢٧١ .

الأنبياء[١]، ولا يكون التمكين إلا بعد المِحنة، فإذا امتُحن صبَرَ، وإذا صبر مُكن، إلا ترى أن الله – عز وجل – امتَحَن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحَن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتَحَن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكًا؟ والتمكين أفضل الدرجات؛ قال الله – عز وجل –: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكنا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (يوسف: ٥٦)"[٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَما كَل مَهُ قَالَ إِنكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكنا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٦)، فيوسف عليه السلام يعلم أن كل ما أوتي من مواصفاتٍ أهلته للنجاح والتميز في القيادة وفي غيرها، هي من عند الله – جل جلاله – قال تعالى: ﴿ رَب قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيي فِي الدنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصالِحِينَ ﴾ (يوسف: ١٠١)ولما راودتْه المرأة عن نفسه كان أحد الأسباب التي منعتْه مِن الفاحشة بعد خوفه مِن الله – جل جلاله – هو أن ربه أحسن مثواه، فهو يعترف بالفضل لأهله[٣]؛ قال تعالى: ﴿ وراودته الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف: ٢٣، قال ابن كثير "وكانوا يطلقون الرب على السيد الكبير؛ أي: أن بعلك ربي أحسن مثواي – أي: مَنزلي – وأحسن إلي ، فلا أقابله بالفاحشة في أهله"[٤].

يرى بإن القائد الإيجابي يكون – في العادة – مُنشغلاً بهموم قضيته، وبهموم ناسه الذين يَنبغي أن يبذل ما يستطيع لمباشرة خدمتهم وتلبية احتياجاتهم، فهو في غنى عن السوء والفحشاء[٥]، فضلاً عن أن السوء والفحشاء من المحرمات التي لا يَنبغي له الخوض فيها؛ قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤)، فقد يقبل القائد الناجح بأن يعذب أو يقبع في السجن على أن يُمارس الفاحشة، وكذلك فعل نبي الله يوسف

---

(١) ينظر:عبد الحليم عويس ، الأعجاز التاريخي والأدبي والتربوي في سورة يوسف، ١٩٧.

(٢) زاهية الدجانـــي ، يوسف في القرآن الكريم ،١٩٩.

(٣) عبد الحليم عويس ، الأعجاز التاريخي والأدبي والتربوي في سورة يوسف، ٢٠.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن ،١/ ٤٥٥

(٥) محمد قطب، القصة فى القران، ٢٢.

عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُن الذِي لُمْتُنني فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَن وَلَيَكُونًا مِنَ الصاغِرِينَ ﴾ (يوسف: ٣٢) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَب السجْنُ أَحَب إِلَي مِما يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٣).

والسوء هو القُبح، أو هو ضد المَسرة، ويأتي مِن عمل القبيح مِن القول أو الفعل، وأما الفحشاء، فقد جاء في المصباح المنير للمقري الفيومي: "فَاحِشٌ" وكل شيء جاوز الحد فهو "فَاحِشٌ"، ومنه لبن "فَاحِشٌ" إذا جاوزت الزيادة ما يُعتاد مثله، و"أَفْحَشَ" الرجل أتى "بِالفُحْشِ"، وجرى استخدام الفاحشة تعبيرًا عن الزنا، فأراد الله – جل جلاله – أن يبعد عن نبيه يوسف عليه السلام كل شيء فيه سوء من القول والفعل ولو كان قليلاً، وكذلك يبعد عنه أن يتعدى حد السوء وصولاً إلى الزنا [1]، لقد كان هناك العديد من المبررات التي تدعو يوسف عليه السلام أن يقع في الفحشاء، أو حتى في السوء على الأقل، ولكنه رغم كل ذلك لم يقع في الفاحشة، ولم يقترب من مقدماتها، قال ابن قيم الجوزية : "وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف عليه السلام بصبره وعفتِه وتَقواه، مع أن الذي ابتُلي به أمر لا يَصبر عليه إلا مَن صبره الله عليه، فإن موافَقة الفعل بحسب قوة الداعي، وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة؛ وذلك لوجوه:أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة، كما يَميل العطْشان إلى الماء، والجائع إلى الطعام، حتى أن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء[2]، وهذا لا يُذم إذا صادف حلالاً، بل يُحمَد، كما في كتاب الزهد للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصغار عن ثابت البناني عن أنس عن النبي ﷺ : حُببَ إلي من دنياكم: الطيب والنساء، أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن .

اولاً : أن يوسف ﷺ كان شابا، وشهوة الشباب وحدته أقوى .

ثانياً : إنهُ كان عزبًا لا زوجةَ له ولا سرية تكسِر شدة الشهوة.

---

(١) الغامدي ، عبد الله بن أحمد، أدب الأنبياء عليهم السلام مع الخلق في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير،٢٠١٠ .،١/ ٦٤٥ .

(٢) لاوند، رمضان، الإمام الصادق علم وعقيدة ، ١/ ٨٣ .

ثالثاً: إنهُ كان في بلاد غُربة يتأتى للغريب فيها مِن قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

رابعاً: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال؛ بحيث أن كل واحد مِن هذَين الأمرين يدعو إلى موافقتِها.[١]

خامساً: أنها غير آبية، ولا ممتنعة، فإن كثيراً من الناس يُزيل رغبتَه في المرأة إباؤها وامتناعها؛ لما يجد في نفسه من ذل الخُضوع والسؤال لها، وكثير من الناس يَزيده الأباء والامتِناع زيادة حب ؛ كما قال الشاعر:وزادني كلفًا في الحُب أن منعتْ أحب شيءٍ إلى الإنسان ما مُنعَا فطِباع الناس مُختلفة في ذلك، فمنهم مَن يتَضاعف حبه عند بذْل المرأة ورغبتها، وتضمحل عند إبائها وامتِناعها، وأخبَرَني بعض القضاة أن إرادته وشهوته تضمحل عند امتِناع زوجته أو سريته وإبائها؛ بحيث لا يُعاودها، ومنهم مَن يتَضاعف حبه وإرادته بالمنع، ويشتد شوقه، وتَحصل له من اللذة بالظفر نظير ما يَحصل من لذة بالظفر بالصيد بعد امتِناعه ونفاره، واللذ ة بإدراك المسألة بعد استِصعابها وشدة الحرص على إدراكها[٢].

سادساً: أنها طلبَت وأرادت وبذلَت الجهد، فكفَتْه مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

سابعاً: إنهُ في دارِها، وتحت سلطانها وقهرِها؛ بحيث يَخشى أن لم يُطاوعها مِن أذاها له، فاجتمَع داعي الرغبة والرهبة.

ثامناً : إنهُ لا يخشى أن تنمي عليه هي ولا أحد من جهتها، فإنها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب، وغي بت الرقباء.

تاسعاً: إنهُ كان مملوكًا لها في الدار؛ بحيث يدخل ويَخرج ويَحضُر معها ولا يُنكَر عليه، وكان الأمن سابقًا على الطلَب، وهو مِن أقوى الدواعي، كما قيل لامرأة شريفة من أشراف العرب: ما حملَكِ على الزنا؟ قالتْ: قربُ الوساد، وطول السواد؛ تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي،

---

(١) الغضبان،منيرمحمد،المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ١٣٣/١.

(٢) ينظر: فاطمة سروي ، النص القراني ، ٧٣.

وطول السواد المُسارة بيننا. كما أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرتْه إياهن ، وشكَتْ حالَها إليهن ؛ لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن ، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣)، فضلا عن أنها تواعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه؛ إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوعُ ما هدد به، فيَجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضِيق السجن والصغار ، ويعد أن الزوج لم يظهر منه مِن الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما خاطَبَهما به أن قال ليوسف: ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾، وللمرأة ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾، وشدة الغيرة للرجل مِن أقوى المَوانع، وهذا لم يظهَر منه غيرة[١]،ومع هذه الدواعي كلها، فآثَر عليه السلام مرضاة الله وخوفه، وحمَلَه حبه لله على أن اختار السجن على الزنا، فقال: ﴿ رَب السجْنُ أَحَب إِلَي مِما يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٣)، وعلم إنهُ لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى أن لم يَعصمْه ويَصرف عنه كيدهن ، صَبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه، وفي هذه القصة مِن العِبَر والفوائد والحِكَم ما يزيد على ألف فائدة".[٢]

عاشراً العدل: فإن صفة العدل هي التي تبعَث روح الولاء لدى أتباع القائد، فيَنشطون مِن أجل البناء والتنمية انطلاقًا من العدل الذي يبعث فيهم الطمأنينة، فبالرغم من أن نبي الله يوسف عليه السلام قد استخدم حيلة مستحسنة من أجل أن يأخذ أخاه عنده، إلا أن ذلك لم يمنع من إنهُ يعدل في الحكم، فحين طلب إخوة يوسف عليه السلام أن يأخذ أحدهم مكانه، رفض؛ لأن ذلك ليس عدلاً؛ قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴾ يوسف: ٧٨، ٧٩.وعدْل القائد يكون سببًا في دوام الملك، "وقد ضمنَ الله النصر لمن نصَر الله ورسوله بالغيب، وهو القيام بالعدل؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَن اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ الحج: ٤٠، ثم إنهُ تعالى أوضح شرائط لنَصرِ المُلوك، وشرَط عليهم شرائط – كما ترى – فما تضعضعَت قواعدهم، أو ظهر عليهم عدو، أو اضطربت عليهم الأمور إلا لإخلالهم بالشرائط المأخوذة عليهم أو بعضها، وصلاحُهم وفلاحُهم

---

(١) ينظر: فضل الله ،محمد حسين ، من وحي القرآن، حارة حريك ، ٢٥٦/١.

(٢) القبانجي، صدر الدين ، الحركة الإصلاحية ، في الإمام المهدي ، ٢/ ٣٧٦.

بإقامة الميزان بالقسْط الذي شرعه الله تَعالى لعباده، وركوب سبيل الحق والعدل الذي قامت به السموات والأرض، ونصْر المظلوم، والأخْذ على يد الظالم".[١]

ويعد القائد الإيجابي عندما يتحلى بصفة العفو، فإنه يمارس دوره الطبيعي في مهمته، والتي هي في الأساس إنهُ يقوم بإنقاذ الناس من الظلم والحيف، وخاصة مع الأقربين، وهكذا فعَلَ يوسف عليه السلام مع إخوته؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الراحِمِينَ ﴾ يوسف: ٩٢.

المطلب الثاني

القائد والمربي لقومه

أن القائد الإيجابي يبر الناس ويُحسِن إليهم، فمِن الأولى إنهُ يبر أحق الناس ببره وعنايته – وهما والداه – قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (يوسف: ١٠٠)، لقد أجلس يوسف عليه السلام والدَيه على كرسي الحكم؛ تكريمًا لهما، وتعظيمًا لقَدرهما[٢]، وتأتي أهمية بر الوالدَين للناس من أمر الله – جل جلاله – بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبكَ إلا تَعْبُدُوا إلا إِياهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أما يَبْلُغَن عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُف وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذل مِنَ الرحْمَةِ وَقُلْ رَب ارْحَمْهُمَا كَمَا رَب يَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٣- ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء: ٣٦)، فالله – جل جلاله – يَقرن ببر الوالدَين بعبادته، وما ذلك إلا لأهمية بر الوالدين، فلما كان القائد

---

(١) فضل حسن عباس، قصص القرآن ، ٣/ ٢٣١.

(٢) ينظر:ياسر برهامي.. تأملات إيمانية في سورة يوسف ,١٩٨٢، ٥٦.

الإيجابي أسوة حسنة للناس، فعليه أن يُباشِره قبل غيره[١] ، فقد وصف القرآن العظيم نبي الله يوسف عليه السلام إنهُ مِن المُحسِنين من جهة القيادة، وقد ورَد ذكر صفة الإحسان ليوسف عليه السلام في سورة يوسف في أربعة مواضع، وما ذلك إلا تأكيدًا لها:[٢]

الموضع الأول: في قوله تعالى:﴿ وَلَما بَلَغَ أَشُدهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٢٢).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ نَبئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٣٦)، والذي يضعه الله – جل جلاله – في مرتبة الإحسان، فإن الناس تراه محسنًا كذلك.

الموضع الثالث: في قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ مَكنا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٦)، فمِن نتائج دوام الإحسان التمكينُ في الأرض.

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَيهَا الْعَزِيزُ أن لَهُ أَبًا شَيْخًا كبيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إنا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٧٨)، وهو متعلق بنفس المعنى في الموضع الثاني والإحسان مرتبة متقد مة مِن الإيمان، وعندها يعبد العبد ربه وكأنه يراه؛ قال رسول الله عليه السلام عندما سأله جبريل عليه السلام: ما الإحسان؟ قال ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا في جانب العبادة.[٣]أما في جانب التعامل مع ما يُحيط بالإنسان، فإن الإحسان هو إتقان العمل على أتم وجْه وأحسنِه؛ فعن شداد بن أوس ، قال: ثِنتان حفظتُهما عن رسول الله ﷺ، قال: أن الله كتَب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتُم فأَحسِنوا الذ بح، وليحد أحدكم شفرته، فليُرِحْ ذبيحته.(٤)

---

(١) ينظر: ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، ٥٧٦.

(٢) ينظر: عمرو خالد ،قصص الأنبـياء ، ٣٥٨/٤.

(٣) محمد إبراهيم كاظم،التطور وتنمية المجتمعات ، المجلة الاجتماعية ، العدد الثالث ، ٦٢.

(٤) محمد احمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، تحقيق : خليل عبد الكريم ، ١/ ٢٠٦.

قال السعدي: "والإحْسَان إلى الخَلْق: هو بذل جميع المنافع مِن أي نوعٍ كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتَفاوت بتفاوت المُحْسَن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحْسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعِه، وبحسب إيمان المُحْسِن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك".[١]

قال الجرجاني في التعريفات: "الإحسان هو التحقق بالعبودية على مُشاهَدة حضرة الربوبية بنور البصيرة؛ أي: رؤية الحق موصوفًا بصفاته بعين صفته، فهو يراه يَقينًا ولا يراه حقيقة؛ ولهذا قال ﷺ: كأنك تراه؛ لأنه يراه مِن وراء حجُبِ صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة؛ لأنه – جل جلاله – دون مقام المُشاهَدة في مقام الروح، ولغةً: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير، وفي الشريعة أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".[٢] يقول عبدالله الهروي في "منازل السائرين": "أن الإحسان اسم جامع نبوي يَجمع أبواب الحقائق، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسان في القصد بتهذيبه علمًا، وإبرامه عزمًا، وتصفيته حالاً.

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال، وهو أن تُراعيها غيرةً، وتسترها تظرفًا، وتُصح حها تحقيقًا.الدرجة الثالثة: الإحسان في الوقت، وهو إلا تزايل المُشاهَدة أبدًا، ولا تلحظ لهمتك أمدًا، وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدًا"[٣] قال ابن الجوزية:"فإن الإحْسَان: يفرح القلب، ويشرح الصدر، ويجلب الن عم، ويدفع النقم، وتركه يُوجِب الضيم والضيق، ويَمنع وصول النعم إليه، فالجبْن: ترك الإحْسَان بالبدن، والبُخل: ترْك الإحْسَان بالمال" فالإحسان في العبادة التي يقوم بها القائد الإيجابي يحقق أهداف المجتمع وإصلاحه: * حسن العبادة لله – جل جلاله – وهو مأمور بذلك.* ضمان معية الله – جل جلاله – ففي الإحسان في العبادة والمُداوَمة عليها، يَحصل القائد على معية الله – جل جلاله – فعندئذٍ يَسمع القائد بإذن الله ومعيته، ويُبصر بإذن الله – جل جلاله – ومعيتِه، يقول النبي ﷺ في الحديث القدُسي فيما يَرويه عن ربه جل جلاله وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل

---

(١) المصري ،محمود ، قصة يوسف عليه السلام ، ٢٨.

(٢) عبدالله الأنصاري الهروي، منازل السائرين ، ٧٥ – ٧٦.

(٣) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج ،التبصرة، ١/ ٤١٩.

حتى أحبه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصِر به، ويده التي يَبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وأن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته.[1]

* سمو الجانب الروحي عند القائد؛ لأن الجزء الروحي من الإنسان يرتقي بالعبادات، والخُضوع والتذل للرب العالَمين. وأما الإحسان للناس مِن جهة القائد، فيُحق ق:أ- إفشاء المحبة بينه وبين الناس؛ لأن القلوب مجبولة على حب مَن يُحسِن إليها، ومَن له يدٌ عليها، وبذلك تتوطد العلاقة بين القائد وبينهم، وهي قضية مُهمة لرفع درجة الولاء.

* تَنطفئ جذوة الحسد والحقد بين أعضاء المجتمع؛ لأنهم سيقل دون القائد في الإحسان، فيحب بعضهم بعضًا ويَفشو الود ، وهذا جزء من وظيفة القائد.

المبحث الخامس

الرسول الأعظم محمد ﷺ

لقد حاول نبي الإسلام الحبيب وأئمة الأثر (عليهم السلام) الذين تربوا في مدرسة القرآن والإسلام، دائما إصلاح المجتمعات الإسلامية والإنسانية قدر الإمكان بأقوالهم وأفعالهم بشتى الطرق والطرق وفقا لمتطلبات العصر في هذه الأثناء، فإن دور الإمام علي (عليه السلام) هو أبرز وأجدر بالنقاش الجاد والاهتمام بأبعاد مختلفة.

والحقيقة أن النبي الاكرم (ﷺ) والإمام علي (عليه السلام) هم رجال الحق والإصلاح والنضال الحقيقي بل هم مرشدي الإصلاح لكافة المجتمعات فضلا عن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الماضي الإسلامي لم يقتصر على بعض المسائل الفقهية، وكانت نصائح أئمة

(١) ينظر:البخاري ،صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب: التواضُع.

المسلمين أيضا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما هو الشر، ولم يعبدوا القضايا الأربع، بل اعتبروا هذا المبدأ الضامن لكل إصلاحاتهم الأخلاقية والاجتماعية.[١]

بحسب الثقافة المحمدية، لكل مسلم يحمل المنهج المحمدي فهو إصلاحي على الدوام أي أنه ما دام هناك ظلم في الحكومة وما دام هناك تفاوت وظلم وشرك ونفاق في المجتمع، فإن الحركة الإصلاحية يجب أن تستمر وكل من يخطو خطوة من صفوف الإصلاحيين في هذا بمعنى، لقد خرج من صفوف الفكر الإسلامي والشيعي. [٢]

و"إن الإصلاحات التي يريدها أهل البيت عليهم السلام لن ترحم أي فساد أو ظلم. يجب أن يحاسب كل من يتحمل مسؤولية في المجتمع ولا يشارك في العمل ويتحمل المسؤولية أو يفعل ما يظلم من هم تحت سلطته. وهذا هو منطق الإصلاحات العلوية والإسلامية[٣]،وعلى سبيل المثال الإصلاحات في حكومة الإمام علي (عليه السلام) تشمل إصلاح أي بنية فكرية سياسية واقتصادية وقضائية ودينية خاطئة ولا تقتصر على بعض المفاسد والتدمير، بل لا تزيل أي نوع من الظلم والفوضى به يواجه.[٤]

فالإصلاح في الإسلام يجب أن يكون بحسب حجم الفساد ونوعه، ويحدده مقتضيات العصر "في الإسلام لا توجد الدوغمائية* في صورة الإصلاح من حيث العام أو الجزئي أو السريع أو البطيء، ولكن شكله يتحدد بدرجة الفساد وشروط ومتطلبات الزمان والمكان والمعيار في هذه المدرسة هو شرعية النضال وقدسيته، سواء من حيث الهدف أو الوسيلة لتحقيق الاصلاح .

---

[١] لطفي بركات أحمد ،في فلسفة التربية الاسلامية المحمدية ، ١٠ / ٣٢٣.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٢٣

[٣] اكرم ابراهيم ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ١ / ١٨.

[٤]اكرم ابراهيم ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ص ١٩-٢٠.

* الدوغمائية هي حالة من الجمود الفكري، حيث يتعصب فيها الشخص لأفكارِهِ الخاصة لدرجة رفضهِ الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت لهُ الدلائل التي تثبت لهُ أن أفكارهُ خاطئة، سيحاربها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكارِهِ وآرائهِ، وتعتبر حالة شديدة من التعصب للأفكار والمبادئ والقناعات، لدرجة معاداة كل ما يختلف عنها. وهي تعدّ حالة من التزمّت لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل يناقضها لأجل مناقشته، أو كما هي لدى الإغريق الجمود الفكري. وهي التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي، أو موضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك.

وبحسب قول أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن دوام حضور النبي (ﷺ) وتواصله الوثيق مع الناس وتواجده بين الناس كان من وسائل إصلاح النبي ﷺ) فمن أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن النبي ﷺأن تكون بين الناس، وتتحدث بلغتهم وتتعاطف معهم، وتكون لك علاقة وثيقة بالناس.[١]

وكان الامام علي (عليه السلام) يصف النبي الاكرم (ﷺ) بالطبيب في قوله : {{ «طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وأَحْمَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وآذَانٍ صُمٍّ، وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، ومَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ}}. [٢]

أي إنه طبيب (متاح للجميع) يشفى منه جميع المرضى، مراهمه الشافية تشفي كل الجراح، وتشفي القلوب المريضة، وتشفي العيون العمياء، وتبصر الآذان الصماء، وتسمع وتخرس الألسنة.

قال هو يبحث عن علاج للمريض، وقد ترك دون علاج ومنسيًا. لإنقاذهم من الدمار، أرسله الله بعد زمن طويل، حيث لم يكن هناك أنبياء وفي العصر الذي كان فيه خلاف وصراع عميق بين أتباع الديانات المختلفة، جعله الله خاتم الأنبياء، وأنهى به الوحي ، ويذكر الشريف الرضي عن الإمام عليه (عليه السلام) : {{أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَة مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُع مِنَ الْأَلْسُنِ فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ}} منها: "في الدنيا"

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مَنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى، لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيئاً، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا[٣]

إن الوضع الزمني للرسالة، والوضع الاجتماعي والثقافي في بداية بعثة النبي الكريم (ﷺ) هو أحد المواضيع التي يشير إليها أمير المؤمنين الناس ويحللها ويشرحها الوضع عند زمن الرسالة، والمسافة الطويلة بين رسالته والأنبياء الآخرين واحدة، ويعلم أن من العوامل المهمة لغرق المجتمعات البشرية في الجهل هو أنه من هنا يمكننا أن نفهم دور ووظيفة النبوة والدين في حياة الإنسان، أنه إذا تم أخذ الدين من المجتمع وحياة الإنسان، فما هو نوع الوضع الذي سيسود في

---

[١] اكرم ابراهيم ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ٢٠ .

[٢] ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧ / ١٨٣

[٣] نهج البلاغة ت: الحسون نويسنده : السيد الشريف الرضي ، ٢٩٦.

المجتمعات، كما في القرن الحالي، يفقد وجه الدين في المجتمعات الأوروبية لونه الداكن والديني، وتصبح المجتمعات علمانية؛ إن المجتمعات الغربية تقترب من الوحشية والبدائية، ويحل القتل والسرقة، وهما من علامات البدائية والجهل، محل الإنسانية والعقلانية والمدنية في هذه المجتمعات.[١]

ولذلك فإن الإمام (عليه السلام) يعتبر البعد عن القيم الإلهية للإسلام خطراً جسيماً، ليعود ذلك الوضع من جديد، وهو يحذر الناس باستمرار، أي موقف كنتم فيه! وفي أي وضع أنت الآن قدّر الفرصة التي حصل عليها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وذكّر الأجيال القادمة بأن الأنبياء، عبر تاريخ البشرية، كانوا مسؤولين عن الدور الرئيسي في خلق الثقافة وتحقيق هدف الإنسانية؛ وبالنسبة للأشخاص الواعين، فهو يشير إلى دور الوحي والدين والروحانية في الهياكل الاجتماعية والنظام والأمن، وهي عناصر مهمة للحضارة.

ولذلك لم يتخلى رسول الله ﷺ عن الناس بل وضع العدل والإصلاح الإلهي، بل كان معهم دائما، وكان يعلم أن المجتمع لا ينبغي أن يترك، بل ينبغي مراقبته وتعليمه، وكان يرافقهم كالراعي المستعد، الدائم واليقظ، وكان يعلم أنهم إذا تركوا فقد يقعون في كمين ذئاب الجهل وعلى القادة الثقافيين في مجتمعنا ألا يتخلوا عن الشباب والناس بناءً على طلب رسول الله ﷺ، ونظراً للوضع والأحوال اليوم، يجب أن يكونوا مع الناس بشكل مستمر.[٢]

يشرح الإمام (عليه السلام) في عدة خطب الوضع الاجتماعي المعاصر للنبي (صلى الله عليه وآله)، ولعل هذا الاهتمام هو أن يفهم الناس ويهتموا بمكانة النبوة وأصلها؛ حتى لا يقعوا في الخطأ والضلال في فهم مقام الإمامة وفهم أصلها ومكانتها ولذلك فهو يحاول تفسير وتوضيح هذه الحقيقة بعبارات مختلفة: {{أَرْسَلَهُ عَلَي حِينِ فَتْرَة مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعَة مِنَ الْأُمَمِ وَ انْتِقَاض مِنَ الْمُبْرَمِ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ النُّورِ الْمُقْتَدَي بِهِ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ}}

---

[١] شلتوت محمد ، تفسير القرين الكريم، ٣ / ٩٤٢ .

(٢) فضل حسن عبّاس،القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته ، ١/ ٩٤

لقد بعث الله النبي (ﷺ) في زمن الشفاعة والظلمة الرهيبة، ولم يكن هناك أنبياء، ومضى وقت طويل على بعثتهم، ولهذا السبب ساد الإهمال العام في المجتمعات البشرية، وسادت العداوة، وترابطة الروابط بين الناس. انقطعت الصداقة والمحبة تماماً، فبعث النبي (ﷺ) مصدقاً لكتب الأنبياء السابقين (بينما كان أتباع ديانات بعضهم البعض ينكرون بعضهم بعضاً وكانوا في صراع وحرب فيما بينهم).[١]

لقد أرسل الله تعالى النبي (ﷺ) وقد بلغت الدنيا نهاية الصف لشدة أزمات الجاهلية. وكانت مشبعة بالظلام والظلمة، وكادت أن تنفجر من الفساد والدمار، وكشفت للناس علامات الآخرة، وانقلبت فرحة النور وبهجته إلى الجهل والجهل، وأهلها عاش العالم في بؤس ونحو الدمار، واستمر الدمار؛ وكانت آياته واضحة وظاهرة؛ وكانت الكائنات الحية على حافة الموت والدمار، وانكسرت دائرة الحياة وتعرضت للدمار؛ وتحولت أسبابه إلى الدمار والخراب، وتعفنت أعلام العالم وتمزقت ستائره واهترأت وقصرت الأعمار (يقال في الرواية أنه لو لم يكن هناك برهان والله لحظة) في العالم، ينكسر النظام بأكمله، ويفقد توازنه.[٢]

«جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامَةً لِأُمَّتِهِ وَ رَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ وَ شَرَفاً لِأَنْصَارِهِ»[٣]

يصف الإمام (عليه السلام) الزمن والأحوال الاجتماعية في عصر النبي بأجمل العبارات وأفصح الكلمات؛ ويطرح حقيقة واعتقادًا أساسيًا بأن وجود ولي الله والخليفة الإلهي على الأرض هو الضامن لصحة وسلامة جميع الكائنات وإن آل النبي الأكرم (ﷺ) وشجرة آل بيته من أطهر وأشرف الأجيال البشرية. وهذه الحقيقة يكرّرها الإمام (عليه السلام) في خطبه العديدة بأنهم أهل أصلاح في هذه الامة فمنذ أن خلق الله الخلق مجموعتين، وجعل للبشر طريقين، جعل آل نبيه في أفضلهم حتى لا يصدر منهم فسق وفسق، وجعل لهم مقام العصمة بعيداً عن أي زلات وأخطاء.

---

[١] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي ، ظلال القرآن، ١ / ٢٦٩

[٢] شرح ينظر: القرطبي ، محمد ابن احمد، الجامع لأحكام القرآن ،تح : عبد الله بن عبد المحسن ، ٩ / ١٢٠

(٣) الإمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة الخطبة ١٩٨

ولذلك فإن وجود جماعة أو أفراد كقادة في المجتمعات الإنسانية هو أمر مؤكد من وجهة نظر التنمية، وهو من الضروريات، ويجب أن يتم اختيار القائد من بين أطهر الناس ، ولذلك فإن الحكومة لا تليق بالضالين والظالمين، فهي استمرار لهذه الفكرة؛ أنه في عصر التنجيم يجب أن يكون الفقيه التقي هو حاكم المجتمع، وفي غياب الفقهاء تنجرف المجتمعات البشرية نحو الفساد والانحطاط، لأن دور الفقيه في العصر الحالي هو نفس دور الفقيه، الإمامة والنبوة في الماضي.[١]

المطلب الاول

إزالة السلبيات واصلاح الثقافات الانسانية

إن أثر الرسالة في محو الشذوذات وإصلاح الثقافات الإنسانية والتضامن وبناء الثقافة بين الناس وبنية الحضارة الإنسانية والشؤون الاجتماعية واضح للغاية، إن تأثير الإسلام والأديان السماوية الأخرى في جميع الثقافات وإنشاء الحضارات الإنسانية وإصلاح أفكارها وترتيب جميع الأفكار والآراء هو نقاش جدي للغاية ولا يمكن إنكاره.[٢]

فقد مرت على البشرية سنوات طويلة، امتدت فيها الروحانية بينهم وجفت عروقها، ولم يبحث إلا عدد قليل من الناس عن الحقائق الروحية. لقد تحولت المجتمعات البشرية فعلاً إلى مستنقعات وملوثات من عبادة الهواء، وغرقت الإنسانية في أزمة عميقة، وتسلطت الوحشية على المجتمعات، ورفع أدعياء الألوهية الإلهية الراية، ووقع كثير من الناس تحت نير العبودية والسبي، الذل والاستغلال والاستعمار، وكانوا يغرقون في المعاناة والعذاب؛ واتخذوهم مخلوقات أدنى، ولم يعطوهم أي سلطان أو إرادة؛ وفي الواقع فإن قانون الغاب الذي يسيطر عليه القوي ويسيطر على الضعيف ويجعله فريسة له، كان هو القاعدة في عالم الإنسان.[٣]

---

(١) توفيق الواعي، الدعوة الى الله ، ص ١٩.

(٢) محمد بن سيدي بن الحبيب،الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل،٢٣٣

(٣) ينظر: العز، ابن أبو العز علي بن محمد ، شرح العقيدة الطحاوية ، تح: شعيب الأرناؤوط، ١/ ٣٠٨.

أصبحت العبودية والإتجار بالبشر قانونًا رسميًا؛ وكان شائعاً في جميع أنحاء العالم؛ ومن ناحية أخرى، لم تتمتع المرأة بأي حقوق، بالإضافة إلى كونها مخلوقًا وضيعًا، فقد تم دفنها وهي على قيد الحياة، وكان العرب محبطين جدًا من إنجاب البنات. واعتبروا ولادة البنت عارًا لا يغتفر وهو ما جاء في القرآن.[١]

وكان في هذا الوضع الاجتماعي والثقافي؛ وأن نور الإسلام أشرق وطغى على كل جهل ومحا نور الحقيقة ودمر كل الرذائل وغسل كل الشذوذات الثقافية مثل الماء الصافي المملوء بالحياة؛ ومنح حياة جديدة ونضرة، وجعل الآمال حية في القلوب، وحول اليأس إلى أمل ، وعلى هذا الأساس فإن غالبية المظلومين، فور سماعهم لدعوة رسالة الله، لجأوا إليها واعتنقوا الإسلام إن هذه النقائص البشرية وهذه النقائص لا يمكن تعويضها إلا بالوحي الإلهي، وغير ذلك لا يمكن لأي فكر أو فكر أو قوة أن تحل هذه الأزمة المستفحلة، وكانت الإنسانية في أزمة رهيبة تحولت فيها كل الآمال إلى يأس وتحطمت وتحطمت. لقد تم تحريف الأديان وتشويهها، وكان هذا الوضع في جميع البلدان معقدًا وبائسًا.[٢]

فقد غرقت المجتمعات البشرية في الشهوات والأوهام، وبسبب أقصى الجهل، كان العالم على وشك الدمار والانهيار الكاملين، عندما توجهت نعمة الله إلى أبناء الأرض من جديد، وبنور الحق ورسالة الرسول الكريم (ﷺ) نفخت الحياة في عروق الوجود من جديد ونجا العالم وبشارة الخلاص من المصائب، وصلت إلى آذانهم، وحدثت في العالم ثورة ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية عظيمة، و قامت، ورأت جميع المخلوقات الدافع الواحد الواهب للحياة، فتحركت واتجهت نحو الحياة مرة أخرى ومثل العطاش على حافة الموت انسكبوا نحو حياة الوحي الإلهي تلك.[٣]

وظهرت حركة روحية عظيمة وصوت العدل والمساواة والتوحيد هز كل عناصر الشرك والجهل بعنف وأرعبهم هزة مدمرة وشتت صفوفهم وجيوشهم من محيطهم ودوائرهم، كما وصف الإمام علي (عليه السلام) أعمالها بما يلي: «فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَ بَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ

---

[١] ينظر: د. سعيد عبد العظيم، قدوتنا في الضيق يوسف الصديق، ١.

[٢] ينظر: طباره ،عفيف عبد الفتاح ، مع الأنبياء في القرآن ا ، قصص ودروس وعبر من حياتهم ، ١/ ١٣٣

[٣] ينظر: الحجاجي، حسن بن علي، الفكر التربوي عند ابن القيم، ، ص٥٦.

وَ رَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَ أَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَ الضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ»[1]

ولقد أنزل النبي الكريم (ﷺ) ما أمر به (الوحي)، وبلغ رسالات ربه إلى الناس، مما أدى إلى إزالة الانقسامات الاجتماعية، والمصطلحات والمسافات، والتباعد وتحول إلى مفصل أصبح الأقارب قريبين ومتحدين وانطفأت نار الكراهية والعداوة والحروب التي هي عدو الحضارة الإنسانية وملأ الحب مكان الكراهية وإن منجزات رسالة نبي الإسلام (عليه السلام) لا تعد ولا تحصى يشرح الإمام علي (عليه السلام) أجزاء منها للمجتمع والأجيال القادمة: لتعرف أهمية الرسالة ومكانتها ومكانة النبوة للناس ولا تبقى مجهولة: «فَانْظُرُوا إِلَي مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَي دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَ أَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَ الْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ...»[2]

"أن الإصلاح الذي قدمه النبي الأعظم هو من نعم الله العظيمة، ومكانتها التي أنفقت على البشرية أثناء بعث الرسول الكريم(ﷺ) وربطتهم بالدين وجمعتهم على دعوة التوحيد. انظر كيف كانت نعم الله عليهم" الله اتسع الناس ببعثة الرسول الكريم (ﷺ)، وفتحت أبواب الراحة والأمان، وعمت بركات التوحيد الأرض كلها، فغرقوا في النعم، ووصلوا إلى حياة مزدهرة وسعيدة، وظلت الشؤون الاجتماعية وفسادها في ظل السلطة والحكومة الإسلامية، وحققوا الأمن والسلام النفسي والروحي وحكومة شاملة ومستقرة، "لقد أرسل الله النبي نور الإسلام واصطفاه على الجميع، حطمت مهمته الانقسامات وأذلت المستغلين وطالبي الهيمنة، وحطمت المصاعب والاضطرابات الاجتماعية التي سيطرت على الناس وكبلتهم ودمرت الاضطرابات الاجتماعية ونظم الثقافة وقمع الضلال ودمره بكل الطرق.[3]

---

[1] ابن أبي الحديد المعتزلي، الأصل – تهذيب شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٥٥

[2] محمدي الريشهري ، محمد الزهم ،النبي الأعظم من وجهة نظر القرآن وأهل البيت الطباع، ٨٠/١

[3] ينظر : شرح الشرباصي، أحمد أخلاق القرآن ، ٢ / ١٧٣.

اولا : إعطاء الأولوية للإصلاح الثقافي

ومن المعلوم أن العرب قبل الإسلام كانوا يعانون من فقر ثقافي كبير وكان الأساس الثقافي أيضًا جاهلا لدرجة أن العلم لم يكن شعبيا بأي حال من الأحوال، ولم يكن العلم موجودا بينهم وعلموا المسلمين أن تعلم العلوم فريضة وكان هذا التوجه بمثابة نقطة تحول سرعت اقتراب المسلمين من المعرفة، ويصف الإمام الوضع الثقافي والعلمي العربي على النحو التالي: {{وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَ لا يَدَّعِي نُبُوَّةً فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّي بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ...}}[1]

وفي الوقت الذي لم يكن فيه العرب يعرفون الثقافة والكتب، ولم يكن فيهم علم النبوة الصادقة والكاذبة، انطلق الرسول الكريم(ﷺ) مع أصحابه لنشر الإسلام، ودعوة الناس إلى الهدى والحق وأنقذهم من موتهم، واحتمل المتعبين وأخذ المنكسرين تحت جناحه، حتى أرشد الجميع إلى الطريق الصحيح... أنقذ الجميع ووضع الخلاص في مكانه، حتى يكون الذي كان ثبتوا على الطريق وازدهرت حياتهم.. وبحسب أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن النبي (ﷺ) في هذا الموقف أعطى الأولوية للشؤون الثقافية، مع أن الفقر الاقتصادي كان منتشراً أيضاً في المجتمع الحجازي، إلا أن رسول الله (ﷺ) خاطب المشكلة الأولى والأكثر جوهرية وتصحيحها حتى يتم حل الأبعاد الأخرى، بما في ذلك الفقر الاقتصادي.[2]

ثانيا : درس عملي في إصلاح المجتمع

ومن المؤكد أن من أهم طرق فعل الخير التي يمكن رؤيتها في حياة النبي خلال ٢٣ سنة من نبوته وكانت فعالة هو أسلوب عيش حياة بسيطة لم تجعل المجتمع مجتمعا طبقيا و ولم يفرق ولم يتحقق النجاح الكبير في إصلاح المجتمع؛ لذلك، يروي أمير المؤمنين طريقة حياة النبي الكريم بالطريقة التي كان بها فعالاً في إصلاح المجتمع وتحسين الأمور؛ وفي قول للإمام عليه السلام: ﴿ قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَ صَغَّرَهَا وَ أَهْوَنَ بِهَا وَ هَوَّنَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً وَ بَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا

---

[1] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٨٥

[2] ينظر:شرح القاسمي ، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل ، تح: فؤاد عبد الباقي ، ٢ / ٢٤٥.

عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً وَ دَعَا إِلَي الْجَنَّةِ مُبَشِّراً وَ خَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً﴾[1].

"كان الرسول الكريم (ﷺ) في حياته يرى الدنيا صغيرة حتى يبدو صغيرا في أعين الآخرين ويعتبر نفسه متواضعا حتى يبدو متواضعا في أعين الآخرين، ويعلم أن الله، لاحترامه ومكانته الرفيعة أبعدت عنه الدنيا وأعطتها لغيره لتفاهتها، وقد قتلت المادة قلبه وقمعته، وأراد الله أن ينزع زينة الدنيا عن نبيه حتى لا يتمني الدنيا اللباس الفاخر أو البقاء فيه إلى الأبد ولذلك من أجل نشر الأحكام التي تقطع حاول أن يعتذر وينصح الأمة الإسلامية بالتحذيرات اللازمة وقام بالتحذير والتبشير والتحذير وهو من الواجبات المهمة الرسالة، ودعاهم إلى الجنة، وحذرهم من النار، وحذرهم".[2]

ويعتبر الإمام علي (عليه السلام) أن رسول الله (ﷺ) قدوة لنفسه ولغيره، وجميع الواجبات والأوامر والنواهي التي يقوم بها تكون بموافقة ذلك الإمام، وليس أمامه شيء – يعد الإمام علي تلميذ مدرسة رسول الله، يطبق كل ما تعلمه، ويرافق رسول الله (ﷺ) وحياته، لا يأخذ على عاتقه قط يشير إلى أنه تعلم منه بذلك الإيجاز، ويدعو الجميع إلى ذلك النبي: {{"أيها الناس، في سيرة الحياة، اقتدوا بنبيكم الكريم (ﷺ)، الذي هو أطهر الأطهار، خذوا من سبيله ومنهج عيشته، الذي هو خير أسوة لطالبي القدوة والشرف" ، المجد والشرف. فهو أحب العباد إلى الله، ومن اقتدى بنبيه كان أحب العباد}}.[3]أن القرآن أكد على وجود الإصلاح من قبل شخصيات ورسل وأنبياء قد مكنهم الله عز وجل في الأرض وكان النبي الأكرم (ﷺ) خاتم الأنبياء قد مكنه من إصلاح كافة مستويات المجتمع وبدأ في :

- **إصلاح شؤون الأسرة:**

الأسرة هي أصغر المجتمعات الإنسانية، وهي النواة المركزية لها، وأي تغيير وتحول في هذا المحور يترك آثاراً وآثاراً إيجابية وسلبية على المستوى الفردي والجماعي، ولذلك فإن تحسين

---

[1] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ٧ / ٢١٧

[2] ينظر: شرح سعيد النورسي،العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، البحوث، ٢٠٤.

[3] الغزالي ، أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، ٣/ ٥٨.

الأمور الأسرية سيكون له الأثر الكبير في تحسين الفرد والمجتمع. ولأن أساس الإصلاح الفردي وأجواءه يتحققان داخل الأسرة، وهي بلا شك أسرة بعيدة عن الظلم أو متحولة بالإصلاحات، فإن المجتمع أيضا سيصلح من ذلك الظلم ، ولقد أولى القرآن الكريم اهتماماً خاصاً بهذا الأساس، وشرع العديد من الوصايا والتعليمات والتعاليم بما يتوافق مع الواجب المهم للأسرة وتحقيق التوازن وتجنب الظلم والشذوذ. ويؤكد القرآن أن الزوج والزوجة يجب أن يجتهدا في إصلاح وصيانة حقوق مركز الأسرة، وإحلال السلام والوئام، وهو أحد أسس الأسرة المسالمة. وفي قوله تعالى :﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨) أي الإصلاح في الأسرة تحسين الخلافات التي تنشأ بين الزوج والزوجة، مما يؤدي إلى المغفرة الإلهية.

- **إصلاح الشؤون الاجتماعية:**

في الاصطلاح القرآني يشير "الإصلاح الاجتماعي" إلى الجهد المبذول لتحقيق تعاليم الإسلام وأوامره الاجتماعية، ويقال "المصلح" هو من يسعى لتحقيق الشريعة الإلهية؛ ولذلك يُسمى الأنبياء في القرآن بالمصلحين ومن واجبات الأنبياء كمصلحين الاهتمام بإصلاح الشؤون الاجتماعية للمجتمعات البشرية، وبهذا الافتراض نرى الكثير من الآيات التي تؤكد على إصلاح الشؤون الاجتماعية؛ لأن إصلاح الشؤون الاجتماعية مهم من نواحٍ عديدة. [١]

وخلق منصة مناسبة لتنمية الإنسان في المجتمع، وخلق الأمن، ومنع العقوبة الإلهية، ومعالجة الفساد، وتجنب الانحرافات الاجتماعية وحرم الله على الإنسان قتل المؤمنين وإضلالهم وارتكاب المعاصي بعد أن أصلح الله ذلك الناس بالكتاب وأنبيائه وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الاعراف:٥٦)

كما أن مجال الإصلاحات الاجتماعية يتعلق فقط بشؤون البنية الفوقية، ولكن وفقا للقرآن فإن إصلاحات الشؤون الاجتماعية لا تتعلق بالبنيان الفوقي فقط، بل لقد أوضح القرآن الكريم و إن

---

[١] ينظر: تفسير وشرح ، معارج القبول بشرح سلم الوصول – وخمسة منهم من أولي العزم المحقق : عمر بن محمود أبو عمر ، ١/ ٦٧٩

إصلاحات البنية التحتية المؤكدة وإصلاحات البنية الفوقية تستند إلى إصلاحات البنية التحتية ومن إصلاحات البنية التحتية هناك إصلاحات في مجال الفكر ورؤية وموقف الفرد والمجتمع تجاه الوجود وأهداف الحياة، ولذلك يعتبر تحقيق الإصلاحات بالمعنى الحقيقي بعد تنفيذ الأحكام الإلهية في المجال الفردي والتقوى الإلهية. [١]لأن تطبيق القوانين الإلهية في المجال الفردي سيوفر منصة لإصلاح الأسرة والمجتمع ولذلك، قبل إثارة مسألة الإصلاح الاجتماعي، يذكر القرآن مسألة التقوى الفردية، وهي من القضايا الأساسية في الإصلاح عندما يتمتع المجتمع بمثل هذا الهيكل والقدرة على الإصلاح في مختلف المجالات، سيتم تحقيق الإصلاحات، وفي حالة حدوث شذوذات اجتماعية وسياسية، سيتم إزالة المشاكل بسهولة من المجتمع بسبب البنى التحتية.[٢]ويدل على هذا الادعاء تأمل آيات إصلاح ذات البين التي جاءت بعد الإيمان والعمل الصالح والتقوى وفي قوله تعالى : ﴿أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء : ٤٩) إن التأكيد على الإصلاح بين المؤمنين من خلال ضرورة مراعاة الأقساط والعدل يجعل من الواضح تماما أن الإصلاح يجب أن يكون الأساس وفي حالة ذلك في الآيات المتعلقة بالتهذيب والتهذيب الداخليين. إن إصلاح النفس الذي يوضحه حال الإصلاح الداخلي بشكل واضح، سنجد أساس كل الإصلاحات إذا تأملنا وحرصنا ومن مبادئ الإصلاح الاجتماعي: ذكر بعض الباحثين عدة علامات وشروط للمجتمع الصالح:

١) ألا يكون هناك قلق وقلق لدى أفراد المجتمع، وألا يهدد صحتهم أي شيء، وأن ينعم الجميع بالأمن.

٢) يتمتع أعضاء المجتمع بالأمن المالي.

٣) أن يحفظ شرفهم وهيبتهم وكرامتهم في المجتمع.

٤) يجب أن تكون هناك وحدة وتعاطف ومشاعر متبادلة بين أفراد المجتمع.

---

[١] ينظر: الأنصاري ، د. عيسى بن حسن و العثمان، أ. سعد بن عبد العزيز ، أخلاقيات المهنة ، ١٢ .

[٢] يُنظر: مناع القطان، شرح مباحث في علوم القرآن، ٢/ ٦٧٩.

٥) يجب الحفاظ على الكرامة الروحية لأفراد المجتمع. [١]

أن الإصلاح الاجتماعي هو تنظيم العلاقات الاجتماعية بحيث يتحرك المجتمع في اتجاه الكمال المنشود والهدف النهائي، ولذلك فإن إقامة العدل والتقسيط بمعناه الواسع سيكون بمثابة إجراء الإصلاحات والإحسان مثال آخر على مجال الإصلاح الدلالي؛ لأنه إذا كان الإنسان قادراً على إدارة حياته نتيجة عوامل طبيعية أو غير طبيعية فإن مساعدته بأي شكل من الأشكال هو مثال للخير والإصلاح، رغم أن الإنسان ليس عليه أي مسؤولية تجاه المعاق من الناحية الشرعية. والقانون، وما هذا العمل إلا على الإحسان، فهو يقع وهذا الفعل من أمثلة التصحيح، ولن يكون من أمثلة العدالة. وفي الواقع، فإن الآيات التي تدعو الناس إلى العدل والكرم والإحسان قد أصدرت أوامر بالإصلاح وفي قوله تعالى :﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٦).

- **إصلاح الشؤون الاقتصادية:**

المقصود بالإصلاح الاقتصادي من منظور الدين، وإحياء تعاليم الإسلام ومحاربة البدع والانحرافات في مجال الاقتصاد، ومع أن هذا المعنى للإصلاحات له علاقة وثيقة بالمعنى الثاني، إلا أنه سيكون كذلك إذا تم الاهتمام بتعاليم الدين لحل المشكلات يُستخدم هذا المصطلح اليوم بمعنيين:[٢]

١) مجموعة الإجراءات التي يتم اتخاذها لتحرير الاقتصاد والخصخصة وتقليص نطاق التدخل الحكومي في الاقتصاد.

٢) مجموعة الإجراءات التي يتم اتخاذها لحل المشكلات الاقتصادية مثل التضخم والبطالة ونقص الاستثمار والتوزيع غير العادل للدخل ونحوها.

تؤكد الآيات التي نزلت على الرسول الاكرم(ﷺ) على أهمية الإصلاح الاقتصادي، بحيث أصبح تحسين الشؤون الاقتصادية من أهم مهام بعض أنبياء الله بعد الدعوة إلى التوحيد وقد تم

---

[١] يُنظر: البغوي، الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي ، المحقق: محمد عبد الله النمر ،٢٠٧/٤.

[٢] يُنظر: ابن كثير، طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن قيم الجوزية،المحقق : يوسف بديوي، ٣٤٩.

التأكيد في كثير من الآيات على إصلاح وترميم الشؤون الاقتصادية بالتقسيط والعدالة ومعالجة الفساد الاقتصادي وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

وهنا الإشارة إلى أن مهمة الإصلاح الهيكلي الاقتصادي هي أن تكوين الحركات الاجتماعية ونمو المجتمع يعتمد على نمو الشؤون الاقتصادية. والعدالة في مجال الاقتصاد، فهي توفر مستقبلاً متنامياً في كافة المجالات، فإذا تحرك كل فرد من أفراد المجتمع في تحقيق العدالة الاقتصادية، فإن المجتمع سيكون في مأمن من الفقر، الذي هو أساس تعرض المجتمع لأي نوع من أنواع الجريمة والشذوذ والظلم.[١]

[١] ابن الجوزي ، تفسير ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير ، ٤ / ١١٤ .

المطلب الثاني

الأدوات الأساسية للإصلاحات عند المنهج المحمدي

ونظراً لأهمية الإصلاحات فإن دين الإسلام المبين جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القواعد الأولى، ولهذا السبب فإن الإصلاحات في النظام الديني دائمة، وفي الثقافة الدينية، وتعد الإصلاحية والإصلاحية من المفاهيم العامة التي تشمل جميع أنواع التغيرات والتطورات الاجتماعية القائمة على البنية الدينية، ولذلك، فإن أصغر التغييرات في الثورات والحركات الاجتماعية الأكثر جذرية يمكن أن تكون من فئة الإصلاحات. [١]

ونرى بان المنهج المحمدي أكد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوضح الأمثلة والأدوات الفعالة لتحقيق الإصلاحات الدائمة وهذا ما أشار اليه الإمام الحسين (عليه السلام) الذي يقدم ثورته على أنها انتفاضة إصلاحية (ونظر الإصلاح في بلدك) إلى واجبين مهمين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأهم الأمثلة وأدوات الإصلاح. نظرًا لكون المشهور وكذلك السيئ يتضمن معنى واسعًا كما أن الإصلاحات في النظام الديني هي أيضًا في جميع الأبعاد الشخصية والاجتماعية والسياسية وباعتبارها واجبًا على كل طبقة من كل طبقة، يجب على بعض المفكرين أن يتعلموا و كما أشار العموم إلى أهمية ظاهرة الإصلاح ويعتقدون أن "الإصلاحية هي روح إسلامية، فكل مسلم هو إصلاحي، وعلى الأقل مؤيد للإصلاحية بحكم كونه مسلما؛ لأن الإصلاحية مذكورة كرامة نبوية في القرآن، وهي مثال للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أحد أركان التعاليم الاجتماعية للإسلام. [٢]

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعطي معنى في مكان يتم فيه فعل الخير والشر، لكن مثل هذا المجتمع سينحرف عن طريق السعادة وسيظهر فساد الفرد بترك الواجبات، ونتيجة لذلك، ينحرف المجتمع عن طريق الخير والنهي عن المنكر. سوف ينحرف أيضاً عن الطريق

---

[١] ينظر : سالم الكعبي ، مقال نجاة الامم ، ، ٢٢ .

[٢] كاشف الغطاء ،محمد الحسين ، أصل الشيعة وأصولها ، ١٣٣ –١٣٤.

الرئيسي، سينحرف ويتجه إلى الفساد. وفي هذه الحالة يكون أداء هذين الواجبين فعالاً وضرورياً لإصلاح تنظيم الأمور وقيادة المجتمع.[١]

ولذلك فإن العلاقة بين هذين الواجبين ستتوضح بقليل من التأمل؛ لأنه إذا تم التخلي عن هذا الواجب، سيسود الفساد في المجتمع، وسيسيطر الفاسقون على الناس والمجتمع، وسيعتبرون أي ظلم في المجتمع مباحاً، وفي قوله تعالى : ﴿ كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَو ءَامَنَ أَهلُ ٱلكِتَٰبِ لَكَانَ خَيرا لَّهُم مِّنهُمُ ٱلمُؤمِنُونَ وَأَكثَرُهُمُ ٱلفَٰسِقُونَ﴾ (ال عمران : ١١٠)

ولذلك يعتبر القرآن الكريم في الآية الأمة الاسلامية هم الافضل الذين يتركون الخير والشر من الشر، وهو واجب إصلاحي، ويدعون المجتمع إلى السعادة. "كنتم خير أمة خروج للناس تعمرون بالمعروف"، ومن مجموع الآيات التي استخدمت فيها كلمتي الإصلاح والفساد، يتضح أن القرآن يعتبر كل قاعدة يضعها في الإصلاح مشهورة، وكل ما يقدمه من فساد يعتبر مثالا للنفي. . . مثل الآيات التي تعتبر الكفر والنفاق والكبر والتمرد والإسراف وأي معصية منكرة أمثلة على الفساد، والآيات التي تعتبر الجهاد والوعظ والتقوى والإيمان والعفو والمغفرة من أمثلة الشهيرة، كأمثلة على الإصلاح.[٢]

ولذلك ينبغي عليكم في المنهج الإصلاحي العام أن تستخدموا سلاح التوجيه والوعظ والنصح، وأن تتعاملوا مع مشاكل من اتجهوا إلى الفساد بالصبر المناسب، ولذلك فإن محاولة إصلاح المجتمع والنهي عن المنكر واجب ومسؤولية على كل من يجب عليه القيام بواجبه، ولا يقبل عند الله عز وجل إلا عذر من نهى عن المنكر في المجتمعات الفاسدة الخير والشر والنهي عن المنكر هم الأنبياء والمصلحون، وهو فريضة تقوم بها فرائض أخرى.[٣]

---

[١] جلال الدين العمري، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ١٦٧ –١٦٨. .

[٢] الشِيرازي، ناصِر مَكارم الدين، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، ص ٢٣١.

[٣] ينظر: المعتزلي ،أبو الحديد، تهذيب شرح نهج البلاغة ،٢ /٦٠٨.

لذا أكد علماء الإسلام بأن الإصلاحية روح إسلامية. كل مسلم هو إصلاحي، وعلى الأقل مناصر للإصلاحية، شاء ذلك أم أبى لأن الإصلاحية مذكورة في القرآن الكريم ككرامة نبوية وهي مثال للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أحد أركان التعاليم الاجتماعية الإسلامية[١]

يمكن أن يكون العمل الصالح باعتباره العامل الأكثر أهمية. إن العمل الصالح الخالي من العيوب، المصلح، الخالص، المبني على التقوى، المقبول والمستحق، والعمل النافع والمفيد للمؤمن والمجتمع والفرد في جميع المجالات، وجدير بالعرض أمام الله، ينبغي أن يكون مصحوباً بالإيمان. ؛ لأن الإيمان بالله يهدي إلى العمل الصالح ويهدي المصلحين وفي قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَزِقِينَ﴾ (الجمعة : ٩.١١).

والنتيجة التي يمكن الحصول عليها من مجموع الآيات التي تتحدث عن "العمل الصالح" هي أن الإصلاحات القرآنية تعني العمل الصالح الوحيد الذي يمكن لأي شخص أن يفعله. ولا يجوز أن يصدر بأي دافع أو اعتقاد. بمعنى آخر، ليس العمل الذي يحتوي على "الصلاح الفعلي" فقط، بل يجب أن يكون له "الصلاح الفعال" الذي يقبل الدافع الإلهي ليتحقق بالإيمان بالله لذلك في القرآن الكريم، العمل الصالح دائمًا بجانب الإيمان .[٢]

ومن وجهة نظر الأنبياء والقرآن، فإن أي شيء يضر بالبنية الفكرية والأخلاقية للإنسان يمكن أن يكون آفة تعمل على تحسين حالة الإنسان تعتبر حالات مثل الكفر والنفاق والكبر التي يعيق كل منها الإصلاح في مجالات مختلفة، من أكبر عوامل الفساد وضد الإصلاح، وتكون نتيجة هذه العوامل التمرد والإثم والإسراف والإسراف في الأمور – سيجعل الإنسان يخرج عن

---

[١] ينظر: د. خورشيد أحمد ١٩٩٤م. الانسان ومستقبل الحضارة من منظور اسلامي ٦٢٧.

[٢] عبد الفتاح إسماعيل، القيم السياسية في الإسلام ، ص ٢٤٤.

الاعتدال ولذلك، سيكون من الضروري دراسة هذه الحالات كغيرها من العناوين من وجهة نظر الأنبياء والقرآن الكريم.[١]

أن طرق التصحيح عند النبي الأعظم (ﷺ) والأنبياء عليهم السلام أعتمد على الرحمة والإنسانية لأن قوة المودة التي هي مصدر آخر للرغبة عند الإنسان تسبب ظهور الثقة تجاه الطرف الآخر وسوف تصبح عاملاً في إقامة علاقة قوية ومتينة، وهذا يجعل الإنسان قادراً على التعامل معه و التواصل معه بسهولة ومحاولة تصحيحه ولتحفيز هذا الشعور، يستخدم القرآن كلمة الأخوة تجاه المؤمنين لتحقيق النجاح في مجال الإصلاح وكذلك الأساليب التصحيحية التي اعتمدها الرسول فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والأسرية، اختيار التحكيم الذي يتم تجريبه وقبوله من قبل أطراف النزاع في قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ ... واصبروا إن الله مع الصابرينين﴾ (الأنفال/ ٤٦) والإشارة إلى أن هذه الطريقة التصحيحية قد تم اقتراحها لحل النزاعات الأسرية، إلا أنه في الواقع يمكن تعميم هذه الطريقة واستخدامها لحل النزاعات بين فردين أو مجموعتين[٢]

ولذلك لا بد لكل مصلح أن يثق بالحقيقة التي تؤدي إلى نجاح الإصلاح في الإنسان إن بناء الثقة في حركات الإصلاح الاجتماعي ضرورة لا يمكن إنكارها وهو ما اكد الرسول الأعظم (ﷺ) واهل بيته عليهم الصلاة والسلام على إقامة العدل والرحمة والإصلاح ومناصرته لأنه من أسس شرائع الله تعالى ويدفع البلاء والفاسقون .[٣]

---

[١] عفيف عبدالفتاح طبارة، مع الانبياء في القرآن الكريم، ص ٤٠.

[٢] طهطاوي ، سيد أحمد: القيم التربوية في القصص القرآني " رسالة ماجستير، ١/ ٣٥.

[٣] ينظر: شرح أبو العينين ،علي خليل: القيم الإسلامية والتربية، ص ٥-٨.

الخاتمة

اولا : الاستنتاجات

فقد تمثلت الدراسة بعدة استنتاجات ومنها :

١- أن الشخصية الثورية الاصلاحية اتسمت بجوانب متعددة وقد حددها الانبياء عليهم السلام كونهم قادة وثوار الاصلاح لأممهم ولهذا قدموا أولو العزم اصلاحات على مستويات العقل واللغة الدينية القديمة فكان الاصلاح نابع من المنهج الالهي .

٢- امتاز الاصلاح النبوي يعني أن كل نبي في سلسلة الأنبياء الإبراهيميين (كما ورد في التوراة والقرآن وحتى في الكتاب المقدس) بالهداية والاصلاح الشامل ولهذا اتصفوا بأولو العزم لما قدموه من تضحيات كان الصلاح والفساد ودور الأنبياء في هذا الوسط، يتمحور حول إصلاح المعتقدات والأخلاق وبعض القواعد والعادات والتقاليد والطقوس الدينية، ولكن في الممارسة العملية، غالبا ما يكون ذلك وقد شملت الصراعات الاجتماعية والسياسية والصراعات الطبقية أيضا وهذا ما يقوله النبي هود: . . "" إِنَّهُ لَيْسَ لِي إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ"" (هود، ٨٨).

٣- إن الإصلاح الديني المعاصر في المجتمعات الإسلامية يختلف جوهريا عن الإصلاحيات السابقة من حيث الكم والكيف، والشكل، والطبيعة، والأهداف والغايات لا يحسم النزاع الدنيوي إلا بشخصية (مختارة من الله عز وجل) وهذه الحقيقة بقية حتى يومنا هذا وهي جزء من القضية الغيبية وايضا يخضع إلى بحث الجبر والتفويض والامر بين الأمرين لأن اثبات اختيارية الفعل تترتب عليها المسؤولية عن الفعل وضرورة أن ثبوت المسؤولية وهو فرع الإختيار الالهي لتلك الشخصية.

٤- أن فكرة الاحتمال العقلي وفكرة البحث عن نسب تستجيب لحقائق الوجود كما هو، بوصفها الصيغة المثلى والاصل الثابت في وجود الاشياء كلها، فالحق والحقيقة هو بسبب ما فيهم من تناسق النسب الذاتية المثلى، ولكل نسبة مستوى يعادل معنى الاعتدال، والإصلاح في جوهره هو بحث عن الاعتدال الامثل، من هنا نفوره من "الاعوجاج" وبحثه عن الأصول المثلى والمثل المتسامية، أي كل ما يمكنه تجاوز "الواقع السيئ" وتذليل مختلف اشكاله والوانه.

٥- امكانية صناعة الشخصية القيادية من مجموع العوامل المادية والمعنوية والوراثية والعملية ايضا، وهذا يؤكد بدوره أن الخبرة المتراكمة تمثل عاملا مهما في نجاح القادة باتخاذ القرار الملائم، وأن لا تغيب الموهبة القيادية في الأزمات والقرارات الملحة، لاسيما أن الواقع الداخلي يشهد ازمات شبه يومية في عموم ارجاء البلاد، قد يكون بعضها على قدر كبير من الخطورة

والتعقيد، الأمر الذي يستدعي حضورا متفردا للشخصية القيادية القادرة على الحسم والتوجيه والمضي .

٦- أن رؤية الحقيقية للقاعدة الإصلاحية للشخصية الثورية والموسومة بالعقيدة والأخلاق وارتباطهما معا وتجليهما الأمر الأول الأخلاق الحميدة من ثمرات الإيمان ويتضح من خلال ما تدم أن هنالك علاقة طردية بين الإيمان والأخلاق، فكلما كان الإيمان صحيحا وقويا اثمر اخلاقا حميدة، وفي هذا يقول اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا، فالايمان يعد جزء من الكينونة الروحية للشخصية الثورية المناهضة ضد الظلم والاستبداد والصبر على الجوارح الداخلية للشخصية لحين نضوجها ، والصبر على الم المستبدين والامر الثاني وكان الأخلاق السيئة والايمان ضدان لا يلتقيان فاذا جاء احدهما ارتفع الأخر.

٧- احتواء الفكرة الإصلاحية دوما على معنى النقد والتعديل لمجرى الحياة والتفكير والعقائد بما يتطابق مع الحق والحقيقة، وذلك لأن معنى الأصول والمثل المتسامية يتطابق مع معاني النفي الضروري لاشكالها الجامدة والقاتلة للعقل والضمير، الأمر الذي جعل من الفكرة الإصلاحية على الدوام تتضمن على نقد ونفي للنزعة التقليدية السائدة واليابسة التي تعادل معنى التحنيط والتمويت البطيء للحياة نفسها.

٨- الإصلاح جزء ملازم للوجود، بوصفه حركة التجديد الدائم، أي الحالة الطبيعية للصيرورة التاريخية في حياة الأمم، كما لو إنهُ يعبر عن الدورة الابدية للوجود والعدم، أي لدراما الولادة والموت، وفي هذا تكمن "دورته" الخالدة، كما لو إنهُ يمثل حقائق الوجود الكبرى عبر تمثلها واعادة صياغتها بمرجعيات عامة، لعل اكثرها جوهرية هي مرجعية "الرجوع إلى الأصول" ومرجعية "البدائل المثلى"، والصيغة الأولى مظهرها الرجوع للماضي بينما حقيقتها تقوم بالتوجه صوب المستقبل، بينما الثانية مظهرها التوجه صوب المستقبل، بينما حقيقتها تقوم في التمثل النقدي للحاضر والماضي، وكلاهما وجهان ونمطان واسلوبان يكمل احدهما الأخر بوصفهما مساع وتجارب متنوعة في فلسفة الإصلاح، فاذا كانت الفكرة الإصلاحية المحددة بمرجعيات "قديمة" لكنها "حديثة"، عادة ما تميز الفكرة الإصلاحية الدينية(الاديان).

٩- أن موضوع الشخصية الإصلاحية تتمتع بمبدأ (الرشد) وصفات أخرى متتابعة والإشكالية في تحديد نوع هذه الشخصية التي يتبناها الثوري لوصول إلى العلة وتحقيق الصلاح المنشود

،ولكي يحقق التوازن الله سبحانه وتعالى وضع (الأسباب والمسببات) وجوهر (التأثر والمؤثر) (والعلة والمعلول)

١٠- أن التاريخ الإنساني وذاكرته تختزن الكثير من الأحداث المأساوية التي كانت شاهدة على هذا الصراع فقضية السلام لم تكن وليدة اليوم أو الأمس، وإنما هي نتاج تراكم التجارب الإنسانية التي يرتبط بها الوجود الإنساني ذاته، ويتوقف عليها بقاؤه واستمرار حياته. فلا يمكن أن نتحد ث عن تواصل ثقافي وحضاري، ونتطلع إلى مجتمع إنساني ينعم فيه هذا الأخير بالكرامة والعدالة الإجتماعية، إلا في ظل ثقافة يكون السلم والسلام ركيزتيهما الأساسيتين.

١١- أن دعوة النبي موسى (عليه السلام) هي من الثورات المهمة لما حملته من مواقف في مجتمع يسودُه الاستبداد، ونموذج سياسي شمولي، لتحرير الإنسان، ووضع حد نهائي لنظام طائفي ظالم، لم يكن موسى بدعًا من الر سل أو المصلحين أو من يقود ثورات بأسماء مختلفة، سواء كانت دينية أو سياسية أو ثقافية؛ فالثورة التي قادها موسى سياسية بامتياز، لكنْ مساراتها عرفت استراتيجيات تأرجحَت بين تبني العنف والسلم لقلب الأسُس التي بنى عليها فرعون فكره ونموذجه في الحُكم..

١٢- أن الإقرار بفكرة التعددية (القومية) دون وضعها بموضع التضاد مع فكرة "الوحدة الإسلامية" أو "المصالح الإسلامية العامة، غير أن لهذا الخاتمة المنطقية منطقها المعقد في الروح والجسد الفردي والاجتماعي والقومي و"الإسلامي"، والقيمة الحيوية للفكرة الإصلاحية الإسلامية الحديثة بهذا الصدد تقوم في أنها حاولت التدليل، متأثرة بتيارات الفكر العقلاني والإنساني الإسلامي والعالمي، على أن الإدراك الخالص للحقيقة يفترض الإخلاص لها، أي التجرد المادي والمعنوي والروحي والأخلاقي، بمعنى الارتقاء على الجسد ورميه تحت أقدام الحدس الروحي، بوصفها المقدمة الضرورية لكل إبداع حق.

١٣- تمتع خليل الله إبراهيم عليه السلام بميزة (الرشد) وقوة الإرادة منذ صغره وهو ما جعله يتسم بصفة ألو العزم وهو انتقاء الله عز وجل على أمته واتصف أيضا بالامامة كونه يمثل الامة وليس فئة معينة .

١٤- وتبنى نبي الله شعيب عليه السلام بالتعقل والتدبر والإرادة القوية في تحقيق الصلاح واختيار الفئة الناجية كونه عاش في مجتمع طاغي كافر ولكنه استطاع في تحديد الشخوص الكافرة

والطاغية واستخلاص الفئة الناجية والتعامل بحكمة عالية وصبر وقوة الإرادة الحرة وتحمل المسؤولية فكان من اهل العزم .

١٥- تمتع نبي الله يوسف عليه السلام ، بأن من الشخصيات التي تمتعت بصفات مختلفة بسبب التجارب التي رافقته منذ صغره حتى كبره فكان من أهل الرشد والحكمة والصبر حتى بلغ مراتب النبوة وأخذ بالأسباب الشرعية واستطاع هداية الناس إلى سبل الرشاد من خلال طرحه العقلي لقومه الذين يملكون مكانة من العلم والمعرفة وكان لابد تقديم لهم مستوى علمي وموضوعي ودامغة أعلى من عقولهم وحججهم.

التوصيات

١- أوصي المسلمين في مشارق الارض ومغربها بتقوى الله والتمسك بالقرآن فأن القرآن نبراس المسلمين .

٢- يجب على الحكومات الإسلامية أن تحمي عقائد المسلمين من كل الانحرافات والفساد .

٣- نتمنى من كليتنا المكرمّة أن تكثر من مثل هذه الموضوعات التي نحتاجها اليوم .

٤- من ضروري دفع الباحثين الى تحليل المفردات الخاصة بالاصلاح والهداية وغيرها من الكلمات السامية التي اوردها الله سبحانه عز وجل في القرآن الكريم لإفهام مقاصده ومعانيه، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني.

٥- ان قصص الانبياء تحمل عبر كبيرة ولابد من توضحيها للاجيال لكي يتسنى للجميع فهم ما هو أصيل لتفادي التلاعب بالعبر والقصص وهو ما نراه اليوم من جعل بعض الكلمات تحمل تتمازج مع كلمات معاصرة غير صحيح كالثورات التي يقوم بها الذين يدعون الاسلام وغيرهم .

٦- نجد في القصة القرآنية الكثير من الدروس والعبر لما انمازت به من واقعية وأنبأتنا عن الأحداث التي جرت على الأمم السابقة فأن القصة الغنية الحرّة ، التي تَرمي إلى أداء غرض فني طليق – إنما هي وسيلة من وسائل القران الكثيرة إلى أغراضه الدينية..

٨- الاصلاح من القيم التربوية وركيزة أساسية من الركائز التي تؤكد على الأخلاق الإنسانية العالية في مقابل التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصية الإنسان والتربية على الاهتمام بالغرائز.

المصـــــادر

- **القرآن الكريم**

١.ابن قتيبة الدينوري ، تح: محمد طه الزيني، الإمامة ،ط١ دون سنة طبع .

٢.ابن أبي العز الحنفي،شرح العقيدة الطحاوية، مكتبة المؤيد،بيروت، ١٩٨٨.

٣. ابن الجوزي ، تفسير ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م .

٤.ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج ،التبصرة، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م

٥.ابن عاشور محمد الظاهر تفسير التحرير والتنوير تونس: الدار التونسية للنشر .

٦.ابن عاشور، محمد الطاهر،تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد.

٧.ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ط١ ،٢٠١٨.

٨.ابـن فارس، أحمد ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكـر، ط١، ١٩٧٩م.

٩.ابن المبرد ، الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد ، المحقق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ٢٠٠٠ .

١٠.ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، ط٤، دت، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة – جمهورية مصر العربية .

١١. أبو العينين ،علي خليل: القيم الإسلامية والتربية، المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم حلبي

١٢.ابو الفضل ياسر الزيدي ، الامامي الشريف المرتضى علي بن حسين الموسوي العلوي.

١٣.أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين – المجلد الثاني ، دار المنهاج ، ٢٠١١

١٤.أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م

١٥.أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . مقاييس اللغة: المحقق : عبد السلام محمد هارون – ، المعارف العامة للنشر ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩.
١٦.أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي، تفسير القرآن، دار الفكر ، ١٩٨١.
١٧.أبي بكر، محمد بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، مطبعة النهضة العربية . القاهرة ، ١٩٨٨.
١٨.أحمد الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي ، الاحتجاج، النجف ،ط١/ ١٣٥٤ .
١٩.احمد عزيز الحبّابي، دراسات في الشخصانية الواقعية من الكائن إلى الشخص، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨.
٢٠.اكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة العلوم والحكم الطبعة السادسة ١٩٩٤.
٢١.أحمد غلوش ،دعوة الرسل ، مؤسسة الرسالة،ط١، ٢٠٠٢.
٢٢.أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، ، دار الكتاب المصري ،القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٧
٢٣. أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، القاهرة، ط١ ، ١٩٧٨.
٢٤.إبراهيم أحمد العدوي ، تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٨.
٢٥.المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات ، حامد عبد القادر محمد النجار ، دار الفكر العربي للنشر ، بيروت ، لبنان، ٢٠١٣
٢٦.إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر محمد النجار ، دار الفكر العربي للنشر ، بيروت ، لبنان، ٢٠١٣
٢٧.الأصفهاني الراغب مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط٣ ٤ ابن فارس أحمد. ٢٠٠٢م،
٢٨.الالباني، محمد ناصر الدين، صحيح السيرة النبوية ، ما صح من سيرة رسول لله المكتبة الإسلامية ، عمان ٢٠٠٣.
٢٩.الآلوسي ، روح المعاني ، العلاّمة شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، دار الفكر، بيروت ، لبنان.

٣٠.الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار التب العلمية، بيروت ، ١٩٩٤.
٣١.الأنصاري ، عيسى بن حسن و العثمان، أ. سعد بن عبد العزيز ، أخلاقيات المهنة ،برنامج الأمير محمد ابن فه ، ١٤٢٧هـ.
٣٢.إيمان احمد رجب الثورات المفاهيم الخاصة بتحليل انهيار النظم السياسية، ملحق مجلة السياسة الدولية بعنوان: اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، العدد ١٨٤ ٢٠١١،.
٣٣.البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء ، تفسير البغوي ، المحقق: محمد عبد الله النمر / المعارف ، بيروت ، ٢٠١٣ .
٣٤.البقري. احمد ماهر ، القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨١.
٣٥.البستاني ،محمود، دراسات فنية في قصص القرآن،مشهد ، ايران،، ط١ ،١٩٨٧.
٣٦.الترمزي أبو عيسى محمد ، الشمائل المحمدية، مؤسسة الاشراق ، الرياض ، ٢٠٢٠
٣٧.التصوير الفني في القرآن الكريم ، الناشر: دار الشروق الطبعة: السادسة عشر ، ٢٠٠٢
٣٨.التوحيدي، أبو حيان تفسير البحر المحيط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٣م
٣٩.التيجاني، عبد القادر حامد الإصلاح في القرآن: استكشاف المفهوم وبناء النظرية"، مجلة إسلامية المعرفة عدد ٦٦ ٢٠١١م
٤٠.الجنابي ، ميثم ،الفكرة الصلاحية ، الطبعة الاولى ، المكتبة العباسبة ، المركز الاستراتجي ، ٢٠١٨ .
٤١.الحاكم الحسكاني ،عبيد الله بن أحمد،شواهد التنزيل ، مؤسسة العلمي للمطبوعات ،بيروت ، ٢٠١٢.

٤٢. الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد ،المستدرك على الصحيحن ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٩٩٠. ١/ ٤٠٣٦.
٤٣.الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله ، مستدرك الحاكم ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٢
٤٤. الحجاجي ، حسن بن علي ، الفكر التربوي عند ابن القيم، دار حافظ للنشر والتوزيع، ١٩٨٨
٤٥.الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان، طه، ١٩٩٩م.
٤٦.الريشهري،محمد، ميزان الحكمة ،تح: دار الحديث، ط١ ، ١٩٨٥.
٤٧.الزبيدي ، باسم ، الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه، دار الجندي للنشر ، ،ط١، ٢٠٠٥..
٤٨.الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت، ٢٠٠١.
٤٩.الزرباطي،حسين،بغية الحائر في احوال اولاد الإمام الباقر عليه السلام ط١، ٢٠١٨
٥٠.الزرقاني محمد عبد العظيم ،مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الكتاب العربي ،بيروت، ١٩٩٥.
٥١.الزركلي، الأعلام، دار العلم للنشر ، بيروت ،١٩٩٢. الزبيدي، معجم تاج العروس،
٥٢.السيّد محمّد حسين فضل الله، تأملات في داخل الشخصية الإسلامية، [محاضرة]، المؤتمر الثاني عشر لرابطة الشباب المسلم، لندن، ١٩٨٧،.
٥٣.السيوطي، ابو بكر جلال الدين عبد الرحمن، باب النقول في اسباب النزول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ٢٠٠٢
٥٤.الشاطبي ، رضوان ابن محمد بن سليمان ، الوجيز فى فواصل الكتاب العزيز .
٥٥.الصابوني،محمد علي، صفوة التفاسير ، دار الصابوني للنشر ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٧ .

٥٦.الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ، فلسفة الإيمان والحياة، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٩.
٥٧.الصفار، حسن ، الإصلاح الإجتماعي والتحديات التي تواجه المصلحين، العدد:٥٨٤٩، مقال .
٥٨.الصدر ، محمد باقر، فلسفتنا ، تح: عبد الجبار شرارة، دار الصدر للنشر،١٤٢٩ هـ ، فقه الأخلاق ،النجف ،٢٠١٠، ،دار التعارف ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠١٢.
٥٩.الطبابائي ، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القران ،موسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة .
٦٠. الطبري ، الجرير بن محمد جعفر ، تفسير الطبري، دار المعارف ٢٠١٦ .
٦١.الطويلي احمد ، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية في تونس .دار النشر، مؤسسة سعيدان للطباعة. سنة النشر، ١٩٩٢.
٦٢. العبوسي ، جعفر صالح ،الانبياء في القرآن الكريم قصص وعبر مؤسسة الرسالة ٢٠٠٤.
٦٣.العز، ابن أبو العز علي بن محمد ، شرح العقيدة الطحاوية ، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة · ١٤١١ – ١٩٩٠.
٦٤.العسقلاني ،أحمد بن حجر ،الإصابة في تمييز الصحابة، المطبعة الشرفية. ٢٠٠٧،.
٦٥.العنان خليل، الثورات العربية بين النجاح والفشل ، مجلة شؤون عربية ،عدد ١٤٩
٦٦.الغامدي، عبد الله بن أحمد، أدب الأنبياء عليهم السلام مع الخلق في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير،٢٠١٠ .
٦٧. الغزالي ،إحياء علوم الدين؛ ، باب: العلم الذي هو فرض كفاية .
٦٨. الغضبان،منيرمحمد،المنهج الحركي للسيرة النبوية ،دار الوفاء المنصورة، ٢٠٠٨.
٦٩. القاسمي ، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل ، تح: فؤاد عبد الباقي ، ٢٠٠٠

٧٠. القبانجي، صدر الدين ، الحركة الإصلاحية ، في الإمام المهدي مركز الدراسات التخصصية النجف ، ٢٠١٢، .
٧١.القرشي، باقر شريف ، حياة الامام الحسين بن علي عليهما السلام، كربلاء: العتبة الحسينة المقدسة، ٢٠٠٨
٧٢.القرطبي ، محمد ابن احمد، الجامع لأحكام القرآن ،تح : عبد الله بن عبد المحسن الناشر: مؤسسة الرسالة؛ سنة النشر: ٢٠٠٦ .
٧٣.كاشف الغطاء ،محمد حسين ، المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، المطبعة الحيدري ، النجف ، ١٩٤٥.
٧٤.الكفوي ،أبو البقاء أيوب، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، الافاق العربية القاهرة ، ٢٠٠٢.
٧٥.الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب ، الكافي ، منشورات الفجر ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٧.
٧٦.الكوراني، الشيخ علي العاملي ، السيرة النبوية ، دار المرتضى للطباعة ، ٢٠٠٩ .
٧٧.الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية المؤسسة العربية ،بيروت ،١٩٩٤.
٧٨. لاوند، رمضان، الإمام الصادق علم وعقيدة، دار مكتبة الحياة بيروت ، دون سنة نشر
٧٩. لتوت محمد ، تفسير القرين الكريم، دار القلم القاهرة ، مؤسسة الهنداوي ، بيروت ، ٢٠١٩ ،
٨٠.لطف الله الصافي الگلپايگاني منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر(عليه السلام): دار المرتضى . بيروت ،الطبعة، الثالثة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م
٨١. لطفي بركات أحمد ،في فلسفة التربية ، الناشر: دار المريخ ١٩٨٩م.
٨٢.المدرسي،محمدتقي،المنطق الإسلامي،اصوله ومناهجه،دار الجبل،ط١ ١٩٩٢م
٨٣. المصري ،محمود ، قصة يوسف عليه السلام، مكتبة الصفا · سنة النشر: ١٤٢٩.

٨٤.المفيد ،أبي عبدالله محمد بن نعمان البغدادي ،الإرشاد ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ط١ ، ١٩٦٢.

٨٥.الموصلي ، محمد بن عبدالكريم ،حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، دار الوطن للنشر، الرياض ، ١٤١٦.

٨٦.الميرزا النوري ،مستدرك الوسائل، مطبعة دار الخلافة،طهران ،١٩٨٨

٨٧.الميلاني، علي، شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ط١ ،١٤٢٨

٨٨.النابلسي، عفيف، الإصلاح وقوة الإسلام امام الغرب ، ٢٠٢١.

٨٩.النجار ،محمد عبد الوهاب ، قصص الانبياء ، ١٩٧٨.

٩٠.النعماني ، محمد بن أبراهيم، الغيبة ، مؤسسة الاعلمي ، لبنان، بيروت ١١٩٧.

٩١.النيسابوري ابن المنذر محمد بن إبراهيم ، تفسير القرآن ، ١٩٨٧.

٩٢.الوائلي ،عامرعبد زيد ،نحن وتراثنا الأخلاقي ،كربلاء ،العراق، ٢٠١٨.

٩٣.الهتيمي ،أحمد بن محمد بن علي ،الصواعق المحرقة ،تح: عبد الرحمن بن عبدالله التركي ،مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ١٧٢٨.

٩٤.اليكس كارل؛ تأملات في سلوك الإنسان تأليف ، ترجمة محمد محمد القصاص؛ مراجعة محمود قاسم، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠٢٠

٩٥.باقر شريف القرشي ، حياة الإمام الباقر عليه السلام دراسة وتحليل ،دار البلاغة للطباعة والنشر ،ط١ ،١٩٩٣.

٩٦.بناسي احمد ، الإسلام والحداثة الغربية ، منشورات محاضرات ، مؤسسة الامام الصادق ، العدد : ٤ ، ٢٠١٠

٩٧.تفسير الرازي المرسروم بـ مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير» دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ط٣ ، ١٤٢٠هـ.

٩٨.تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت،ط٢، ١٩٤٧.

٩٩.توكلي ، علي مهجري ، الازمة الروحية والثورة الروحية ، دار اقلام عربية ط١، ١٩٩٣.

١٠٠.حسن طبل، د. زكريا سعيد، بلاغة النظم القرآني، مؤسسة التراث ، ٢٠١٩

١٠١.حسين مؤنس ، الكتاب مطبوعاً ضمن موسوعة الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ،١٩٨٧.

١٠٢.حسن أبو الأشبال الزهيري ، الدفاع عن الله ورسوله وشرعه ،، المكتبة الشاملة ، ، ٢٠١٦ .

١٠٣.حفظاوي سعيد ، العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراعات لمفاهيم السياسة الأخلاقية ما بعد الحرب الباردة ، رسالة ماجستير غير منشورة .

١٠٤.الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ، مكتبة المعارف، بيروت، ط٤ .

١٠٥.الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ. ، المحقق سالم بن غتر بن سالم الظفيري ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ٢٠١٧ .

١٠٦.الخالق ، محمود ، معالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٤.

١٠٧.الخضري بك ، محمد بن عفيفي الباجوري ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الإيمان ،١٩٨٨

١٠٨.خطاب، اسماعيل احمد ، السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧

١٠٩.خليف، سلطان احمد، القيادة الملهمة والمفاجاة الاستراتيجية، مجلة جامعة البصرة، المجلد ٧، العدد١٣

١١٠.خليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١١١. خورشيد أحمد. الانسان ومستقبل الحضارة من منظور اسلامي عمان الأردن مؤسسة ال البيت للفكر الاسلامي ، .١٩٩٤م

١١٢.خير الدين حسيب، حول الربيع الديمقراطي العربي : الدروس المستفادة مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٨٦، ابريل ٢٠١١،

١١٣. دويكات، نضال عباس جبر قصة موسىﷺ مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة أطروحة دكتوراه.

١١٤.رجب بودبوس، محاضرات في علم الثورة (القاهرة: المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، ٢٠١١

١١٥.رمضان، يحيى، "القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة"، بحث منشور في الملتقى الفكري للابداع.

١١٦.رؤوف شلبي الدعوة الاسلامية في عهد المكي ،مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٧٤م.

١١٧.زاهية الدجاي ،يوسف في القرآن الكريم ، ١ ،الناشر،دار التقريب بين المذاهب ، بيروت، لبنان ،ط١، ١٩٩٤م.

١١٨.زرادشت، تران يم، من كتاب الافستا المقدس ، روافد للثقافة والفنون ، دمشق ،٢٠٠٨.

١١٩.زكريا ، ابو الحسين احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة :تحقيق محمد هارون ، ١٤٠٤.

١٢٠.زكريا خليفة المحرمي ، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ،مكتبة الغبيراء، ٢٠٠٤.

١٢١.زكي احمد كمال ، الاساطير دراسة حضارية مقارنة الهيئة العامة لقصور ، ١٩٦٢.

١٢٢.الزمخشري ، محمود بن عمر بن محمد، اساس البلاغة دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٨.

١٢٣.زيدان ، عبد الكريم ، المستفاد من قصص القرآن للدعوى والدعاة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٨.

١٢٤.سامي الفراشي، همه الهمام في نشر الاسلام ، مجلة العرقي ، ١٩٨٥،.

١٢٥.السردي ، نجود فارس احمد ، الحكمة من دعوة إبراهيم اللي رسالة ماجستير غير منشورة

١٢٦. سعيد النورسي،العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، البحوث، ٢٠٤.

١٢٧. سعيد عبد العظيم، قدوتنا في الضيق يوسف الصديق، دار الايمان ، ٢٠٠٩ ،

١٢٨.سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي ،في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٧ ، ١٩٩٢ .

١٢٩.سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ، في ظلال القرآن ، دار الشروق العراق، ٢٠١٣ .

١٣٠.شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .٢٠٠٣.

١٣١.الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير ، دار المعرفة ، بيروت ط٤ ، ٢٠٠٧.

١٣٢. الشِيرازي، ناصِر مَكارم الدين، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى٢٠٠٢ م.

١٣٣. صالح حميد العلي : معالم الاقتصاد الإسلامي ،مراجعة نور الدين عتر، ٢٠١٢.

١٣٤.طاشكبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية ، لبنان ،ط١ ، ١٩٨٥.

١٣٥. طباره ،عفيف عبد الفتاح ، مع الأنبياء في القرآن الكريم، قصص ودروس وعبر من حياتهم ، دار العلم ، بيروت، ٢٠١٨ ،

١٣٦.طه حسين علي – وبنوه ، الفتنة الكبرى ،دار المعارف، مصر ،٢٠١٧.

١٣٧. طهطاوي ، سيد أحمد: القيم التربوية في القصص القرآني " رسالة ماجستير،مصر ، دار الفكر العربي،٢٠٠٠.

١٣٨.عادل عبدالله ، عبء الإثبات في الحوار الفلسفي ، مجلة الحوار المتمدن،العدد: ٧٢٨٥

١٣٩.العاطي ،عبد الوهاب عبد ،مناهج أولى العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم،١٩٩١.

١٤٠.عامر ، محمد محمد صادق، اسرار علم الشخصيات وتطويرها ، رسالة لنيل شهادة الماجستير،٢٠٠٥.

١٤١.عبادي، أحمد مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م،

١٤٢.عبادي، أحمد. قراءة في كتاب "مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج"، الرباط: دار الرباط للنشر، مجلة الترتيل العدد ١، ٢٠١٣م،
١٤٣.عبد الامير مهنا ، تاريخ اليعقوبي ، شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ،ط١ ، ٢٠١٠.
١٤٤.عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، مؤسسة القضاء الاسلامي ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٧ .
١٤٥. عبد الحليم عويس ، الأعجاز التاريخي والأدبي والتربوي في سورة يوسف.
١٤٦.عبد الحليم عويس ، الأعجاز التاريخي والأدبي والتربوي في سورة يوسف، ٢٠٠٦.
١٤٧.عبد الحميد شاذلي ، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية المكتبة الجامعية ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ٢٠٠١
١٤٨.عبد الرازق ، مصطفى ، الدين والوحي والإسلام، الطبعة الاولى ، مؤسسة الهنداوي ، القاهرة ، ٢٠٢٢
١٤٩.عبد الرسول الموسوي ،الشيعة في التاريخ، ط١، ١٩٨٣.
١٥٠.عبد الغني أبو العزم . معجم الغني، موقع معاجم صخر ،، الرباط : مؤسسة الغني للنشر، .٢٠١١ م
١٥١. عبد الفتاح إسماعيل: القيم السياسية في الإسلام القاهرة : الدار الثقافية، ٢٠١٠.
١٥٢.عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤.
١٥٣.عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات ، الجزء الأول .١٩٧٩،
١٥٤. عبد الوهاب عبد العاطي مناهج أولى العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم.
١٥٥.عبد الوهاب عزا محمد اقبال سيرته وفلسفته، ط١، مؤسسة هنداوي، القاهرة،٢٠١٤ .

١٥٦.علي صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، مكتبة لينه، دمنهور.

١٥٧.علي بن نايف الشحود ، خصائص الرسول ﷺ، مؤسسة فضل الله للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠٠٩ .

١٥٨. عبدالله الأنصاري الهروي، منازل السائرين دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦.

١٥٩.عزمي بشارة، في مفهوم الثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، مركز الدراسات الاستراتجية ، القاهرة ، ٢٠١٢

١٦٠. عفيف عبدالفتاح طبارة، مع الانبياء في القرآن الكريم، الناشر دار العلم للملايين.

١٦١.عقراوي، منهل الهام، علاقة الازمنة بالشخصيات، عمان الاردن ، دار غيداء، ٢٠٠٥.

١٦٢.عبد الله يوسف الشاذلي،الدعوة والإنسان، ، ط١، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.

١٦٣. عمرو خالد ،قصص الأنبـياء ،دار المعـرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م

١٦٤.فاطمة يحيى زكريا الزبيدي ،استخدام منهج المحدثين في حركة التدوين التاريخي ، مؤسسه كان التاريخية ، المجلد السابع العدد ٢٥ ،٢٠١٤.

١٦٥.فاطمة سروي ، النص القراني ، المركز الإسلامي ، نجف ، ٢٠٢٠ .

١٦٦.الفرد كريمر ، الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، دار الفكر العربي ٢٠١٧.

١٦٧.فروخ، عمر، الإسلام السياسي والسياسية الإسلامية، مجلة قضايا عربية

١٦٨. فضل الله ،محمد حسين ، من وحي القرآن، حارة حريك ، لبنان ،١٩٩٨..

١٦٩. فضل حسن عباس،قصص القرآن ،دارالنفائس للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٠ .

١٧٠.فضل حسن عبّاس، القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، الأردنّ، ط١، ١٩٤٩

١٧١. قصص الأنبياء، تح: محمد أحمد عبد العزيز،بيروت ،القاهر دار الكتب العلمية ،دار الحديث ،ط١، ١٩٨٨، ٢٠٠٤.

١٧٢.كمالي مهراني علي، الشخصيات على مر الازمن من مجلة « المعرفة العدد: ١٠٠ ، ١٩٩٩ .

١٧٣.مارسيل غوشيه، اصل الدولة، ضمن مجلة الفكر العربي، العدد ٢٢

١٧٤.مجيد الصائغ ، الشيعة رواد العدل والسلام،مؤسسة البلاغ، ط٣، ٢٠١٤

١٧٥.محجوب بن ميلاد ، التقاليد والتحرر ، حظوظ حرية الفكر في الإسلام ، ط١ والثانية دار نور الإسلام للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ٢٠١١.

١٧٦.محجوب بن ميلاد ، حقوق الإنسان على ضوء مقتضيات الضمير الإسلامي، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة العربية للنشر ، ٢٠١٤ .

١٧٧.محسن زيدان الموسوي ، دراسة مقارنة القبض والبسط النظري للشريعة: نظرية تكامل المعرفة الدينية،٢٠١٠.

١٧٨.محمد بن الحسن، المعروف بالطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تح: علي اكبر الغفاري ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠.

١٧٩. محمد إبراهيم كاظم:، التطور وتنمية المجتمعات ، المجلة الاجتماعية ، العدد الثالث ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية ، ٢٠١٠ .

١٨٠. محمد احمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، تحقيق : خليل عبد الكريم ،الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ١٩٩٩م.

١٨١.محمد السويدي، علم الاجتماع السياسي ميدانه و قضاياه. الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية .

١٨٢.محمد رشيد رضا ، تفسر الاصلاح في القران الكريم مجلة المنار، مصر ، القاهرة ،

١٨٣.محمد رشيد رضا ، تفسير المنار، الجزء السابع، دار العربية للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥- ٢٠٠٧ .

١٨٤.محمد شوقي نصار، دعوة الحق لهداية جميع الخلق ، ط١، ٠ ١٩٩ .

١٨٥.محمد صفار، إدارة مرحلة ما بعد الثورة ، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٤ ٢٠١١

١٨٦.محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ط.١، مكتبة النهضة للنشر ، ٢٠٠٦

١٨٧.محمد عزيز الحبّابي، محمد عزيز الحبّابي الإنسان والأعمال، الفيلسوف، الدار البيضاء، لجنة رعاية الترشح لجائزة نوبل، ١٩٩١.

١٨٨.محمد قطب، القصة فى القران، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠٠٢.

١٨٩.محمد محمد صادق الصدر, ما وراء الفقه ،المطبعة : قلم، ٢٠٠٧م.

١٩٠.مصطفى ، محمود الدسوري ، دراسات اسلامية لمعنى ثوار الإسلام ، ط١ ، مؤسسة الثقافة الوطنية ، الكويت ، ٢٠١٧ .

١٩١.مصطفى حلمي ، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية ، بيروت،٢٠٠٤.

١٩٢.معارج القبول بشرح سلم الوصول ، وخمسة منهم من أولي العزم المحقق : عمر بن محمود أبو عمر : دار ابن القيم – الدمام ، ط١ ، ١٩٩٠.

١٩٣.معوض ، جلال عبد الله ، علاقة القيادة بالظاهرة لانمائية، دراسة في المنطقة العربية، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، القاهرة.

١٩٤.مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة ، القاهرة ،ط٧، ٢٠١٥ .

١٩٥.مهجور ، مصطفى اسماعيلي ، الامة والامامة والعقيدة بشخصية الإمام علي، المركز الاستراتجي ، العتبة العباسية ، ٢٠١٧

١٩٦.مهدي كريمي،المعجم الفلسفي، اصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة ،ط١ ،١٩٨٢.

١٩٧.مولود زايد الطيب ، علم الاجتماع السياسي ، ليبيا ، دار الكتب الوطنية .٢٠٠٧.

١٩٨.مونتجمري وات ، السيرة النبوية دراسة تحليلية مقارنه ، ط١ ،٢٠١٩،

١٩٩.الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٩٧٩م.

٢٠٠.محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٥ .

٢٠١.محمد المغازي ، كتاب فقه السيرة ، دار الشروق ، القاهرة مصر، ٢٠٠٦.
٢٠٢.محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط٣، ١٩٩٥ .
٢٠٣.محمد الصادق إبراهيم ، محمد رسول الله منهج ورسالة، دار القلم دمشق.
٢٠٤.محمد باقر الحكيم ، كتاب علوم القرآن ، سنة الطبع، ربيع الثاني ١٤١٧ هـ .
٢٠٥.محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح ، مطبعة جامعة القاهرة ، مصر ، ١٩٢٧.
٢٠٦.محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري أبو محمد ، المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد ، مكتبة التوبة.١٩٩٨ .
٢٠٧.مغازي عروة، جمع الأعظمي، نشره مكتب التربية العربي لدول الخليج ٢٠١٢ .
٢٠٨.محمد يسف ، المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها ، مطبعة المعارف الجديدة ١٩٩٧ .
٢٠٩.ناصر السيد سلطان ، محاضرات محمود نعمة ،دار تراتيل ،نجف، ٢٠٢٢
٢١٠.ناهد عز الدين خريطة محدودة: ثبات الفاطين وتغير الأدوار بعد الثورات العربية مجلة السياسة الدولية العدد ١٨٨ ابريل ٢٠١٢
٢١١.نزار العاني ، الشخصية الانسانية في الفكر الاسلامي ، سلسلة بحوث علمية ، العدد ١٥ ، ط١-٢ ، دار الفرقان للنشر، ٢٠٠٥- ١٩٩٨ .
٢١٢.نوري، موفق سالم، فقه السيرة النبوية ، قراءة سياسية دعوية حركية، بغداد ،٢٠٠٦
٢١٣.هلال ،علي الدين ، مدخل في علم السياسية المقارنة، محاضرات فلسفية .
٢١٤.وهبة الزحيلي ،التفسير المنير، افاق للنشر ، ط٢، ٢٠٠٩.
٢١٥. ياسر برهامي.. تأملات إيمانية في سورة يوسف، ١٩٨٢.
٢١٦.يوري كرازين، علم الثورة في النظرية الماركسية، سمير كرم (مترجم) بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٥،
٢١٧.يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي ، جمال الدين،

Abstract

The systematic understanding of reform is the most important thing absent from the thought and practices of contemporary Islamic movements. The reformist idea, in essence, is a call and an establishment of the necessity of correcting and amending the "crooks" in the lives of nations and beliefs (religious and worldly), meaning that it is consistent with the content of "righteousness" and "the right path" as The symbolic and illustrative formula for reforming the "deviation" and "aberration and misguidance" from the "first ideas," "lofty ideals," and "principles." The emergence of the idea of rectitude and the straight path is equivalent to the meaning of steadfastness on the path of right and truth, and it is linked to the idea of mental possibility and the idea of searching for lineages that respond to facts. Existence as it is, as it is the ideal formula and the fixed principle in the existence of all things. Truth and truth are because of their consistency in optimal self-ratios. The researcher set the desired goals of the current study, which were to study the reformist personality, the concept of reform, its characteristics and manifestations, and the semantic stories of Aulul Azm, who were among those who God chose them to reform nations and peoples, and the researcher relied in the methodology of his study on the objective, scientific approach to analyze reform and the revolutionary personality. Finally, the researcher reviewed the results he reached regarding the objectivity of the reformist formal personality in the Holy Qur'an.

Therefore, the Great Qur'an is a book revealed by God (□) to His Prophet Muhammad (the Seal of the Prophets), and its religion is general to all creation and the conclusion of all religions. It is the Creator's constitution for the reform of created human beings, and the law of heaven to guide the people of the earth, in terms of matters of his religion and worldly life, and it is the proof and evidence of the message: □ Falsehood does not come to him from before him, nor from behind him, a revelation from the Wise, the Praiseworthy□ (Sajdah: ٤٢) It is the source of Islamic legislation upon which it relies in its beliefs, worship, wisdom, rulings, etiquette, morals, stories, sermons, sciences, and knowledge, and the means for reforming Islamic society if they proceed. In his light, and they took into account his rulings and teachings, They did not deviate from its laws and regulations.

key words: reform, personality, revolution, the Holy Qur'an, prophets of determination..

Ministry of Higher Education and Scientific Research
The Republic of Iraq
University of Babylon / College of Islamic Sciences
Department of Quranic Sciences

The reformist revolutionary personality in the Holy Quran

(study (thematic

A dissertation submitted by the student
(Mohammed Jaber Alwan
To
Council of the College of Islamic Sciences at the University of Babylon is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in Quranic Interpretation Sciences

Supervised
by
Prof. Dr. Amer Omran Al-Khafaji